كتاب جمل
من
أنساب الأشراف

صنّفه
الإمام أحمد بن يحيى بن جابر
البلاذري
المتوفى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

الجزء الرابع

أمر العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم وولده

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار
الدكتور رياض زركلي

بإشراف
مكتب البحوث والدراسات
في

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الأولى



بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١٢٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

أمر العباس بن عبد المطلب بن هاشم ووَلَده

وأما العباس بن عبد المطلب فكان محباً لرسول الله ﷺ ، مائلاً اليه ، وكان رسول الله ﷺ يأتي منزله فيُقيل فيه ، واسلمت لبابة بنت الحارث امرأته حين بُعث رسول الله ﷺ ، فقال الشاعر :

بها ثُلِّثَ الاسلامُ بعد محمدٍ وزوج رسول الله بنتِ خُوَيلدِ

حدثني يحيى بن معين ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، اخبرنا مغيرة عن أبي رزين أنه قيل للعباس أنت أكبر أمْ رسول الله ، فقال:هو أكبر مني وأنا ولدتُ قبله .

وحدثني بعض المدنيين أن العباس قال : أبعَدُ عقلي أنه قيل لأمّي:قد وَلَدتْ آمنةُ غلاماً ، فخرجتْ وخرجتُ معها فكأنّي أراهُ يمصَعُ برجليه فاجتذبني النساء اليه وقُلنَ قَبِّلْ أخاك .

وأما عبد الكعبة بن عبد المطلب فماتَ صغيراً قبل النّذر الذي نذره عبد المطلب في ذبح ولده .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح ، قال : قال العباسُ : أنا أسنُّ من رسول الله ﷺ بثلاثٍ ، وُلِدَ عام الفيل وولدت قبل الفيل بثلاث سنين .

حدثني أبو مَشْعَرْ ـ رجلٌ من أهل اليمن ـ عن عبد الرزاق ، عن معمر عن ابن عباس ، أنّ رجلاً من قريش رأى العباس فقال : هذا عم النبي وما أسلم حتى لم يبقَ كافر ، فشكا العباس قوله إلى النبي ﷺ فخرج مغضباً فقال : «من آذى العباسَ عمّي فقد آذاني ، إنّ عمَّ الرجل صنُو أبيه» .

قالوا : وقال رسول الله ﷺ يوم بدر: «إني قد عرفتُ أنَّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم أُخرجوا مُكرهين منهم عمي العباس ، فمن لقيه منكم فلا يعرضنّ له فإنه خرج مُكرهاً . ومن لقي أبا البختري ـ يعني العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ـ فلا يعرضنَّ له»، وكان ابو البختري ممن أعان على نقض الصحيفة التي كتبتها قَريش على بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف حين دخلوا الشِّعب ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وأخواننا ونترك العباس ، لئن لقيتُه لأضربنَّ وجهه بالسيف؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص، أيُضرَبُ وجه عم محمد رسول الله بالسيف»؟ فقال عمر: دعني اضرب عنق أبي حذيفة فقد نافق ، فكان أبو حذيفة يقول : ما آنا بامن شرّ كلمتي ولا أزال خائفاً منها إلاّ أنْ يُكفّرها الله بشهادة ، فقُتل يوم اليمامة .

وحدثني بكر بن الهيثم ، حدثني أبو الحكم العدني عن أبيه عن عكرمة ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أنه قال : كنت غلاماً للعباس وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت ، أسلم العباسُ واعتقد البيعة لرسول الله

ﷺ على الانصار ليلة العقبة ، على قبه[1] وقريش تطلبُه ، وأسلمتْ أمّ الفضل فكانت ثالثة ، أو قال ثانية النساء بعد خديجة ، وكان العباسُ يهاب قومه فيكتم اسلامه وكان ذا مال متفرّق على قريش وكان يحامي على مكرمته ومكرمة بني عبد المطلب من السقاية والرفادة ويخاف خروجهما من يده ، فخرج مع المشركين يوم بدر وأطعَم تجلّداً مع المطعمين ، وكان يكتب إلى رسول الله ﷺ بخبر المشركين ، فكتب إليه بخبرهم وما أعدّوا له يوم أُحُد وحذرّه إياهم كيلا يصيبوا غِرتّه .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده ، عن أبي صالح ، عن جابر بن عبد الله قال : كتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ عند خروج المسلمين إلى بدر يعلمه السبب الذي خرج له من مداراةِ قريش وأنه غير مقاتل مع المشركين وإن أمكنه أن ينهزم بهم ويكسرهم فعل ، فلما أُسِر يوم بدر بعث إلى رسول الله ﷺ أنْ ألزِمني من الفِداء أغلظَ ما يؤخذ مِن أحدٍ ؛ وكان كتابُه من مكة مع رجل من بني كنانة ومعه كتابه إلى رسول الله ﷺ باستعداد قريش لغزوه يوم أُحد إشفاقاً من أن يصيبوا غرَّتَهُ ، وبلغه فتح خيبر فأعتق غلاماً له يكنى أبا زبيبة .

قالوا : وكان العباس آخذاً بلجام بغلة رسول الله ﷺ يوم حُنين ، ويقال بحَكمَته ، وأقبل يومئذ نفرٌ من بني ليث من كنانة يريدون رسول الله ﷺ فدنا منه أحدُهم فاحتضنه العباس وأحدق به موالي رسول الله ، فقال العباس لأقرب الموالي منه : اضرب ولا تتّقِ مكاني ولا تُبَلْ أيُّنا قتلت ، فقتل

---

١ ـ قب القوم يقبون : صخبوا في الخصومة .

المولى الليثي وجاء أخو المقتول فرفع يده إلى رسول الله ﷺ أيضاً فاحتضنه العباس وقال كما قال أوّلاً فقُتل ، حتى فعل ذلك بستة منهم ، فدعا له النبي ﷺ وقبّل وجهه ، وفي يوم حنين يقول العباس :

ألا هل أتى عرسي مكَرِّي ومقدَمي ... بوادي حنينٍ والأسنّةُ شُرَّعُ
وقولي إذا ما النفسُ جاشت ألاقري ... وهامٌ تَدَهْدَي يوم ذاكَ وأذرعُ
وكيف رددتُ الخيلَ وهي مُغيرةٌ ... بزوراءَ تعطي في اليدين وتمنعُ
وقولي إذا ما الفضلُ شدَّ بسيفِه ... على القوم : أخرى يا بُنيَّ فيرجعُ
كأنّ السهامَ المرسلاتِ كواكبٌ ... إذا دَبَرَت عن عَجْسها[1] وهي تلمع
نصرنا رسول الله في الحرب سبعةً ... وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقْشَعوا

يعني بالسبعة : نفسه ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس ، وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وأبا رافع مولى رسول الله ، وأيمن بن عُبيد أخا أسامة لأمّه أم أيمن ، ويقال إن السابع مكان أيمن بعضُ ولد الحارث بن عبد المطلب ، ويقال إنهم : العباس ، وعلي ، وأبو سفيان بن الحارث ، وعقيل بن أبي طالب ، وعبد الله بن الزبير ، والزبير بن العوام ، وأسامة بن زيد ، وبنو الحارث يقولون : إن جعفر بن أبي سفيان شهد حُنيناً أيضاً .

وحدثني مظفّر[2] بنَ مُرَجّى ، عن ابن أبي أويس عن أبيه ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

---

١ ـ العجس : مقبض القوس . القاموس .
٢ ـ في هامش الأصل «مطرف» .

قال : قال رسول الله ﷺ لعمه العباس : «فيكم النبوة وفيكم الخلافة»[١] .

حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني إبراهيم بن حمزة الزبيري عن اسماعيل بن قيس الانصاري عن أبي حازم[٢] بن دينار عن سهل بن سعد قال : نزل رسول الله ﷺ منزلاً فقام يغتسل ، فأخذ العباس كساءً فستره به ، قال : فرأيتُ النبي ﷺ رافعاً رأسه من جانب الكساء وهو يقول : «اللهمَّ استر العباس من النار» ، أو قال : «العباس وولده من النار»[٣] .

وحدّثني مظفّر[٤] بن المُرجّى ، حدثنا ابراهيم الهروي عن عبد الله بن عثمان الوقاصي عن جده أبي أمه مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي قال : دخل رسول الله ﷺ على العباس وبنيه فقال : «تقاربوا» ، فزحف بعضهم إلى بعض ثم اشتمل عليهم بملاءته وقال : «يا رب هذا عمي وصنُو أبي ، هؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي» ، فأمِنَتْ أسْكُفَّةُ البيت وحوائطُ البيت .

وحدثني هشام بن عمار الدمشقي عن اسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن كثير بن مرة الحضرمي قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ : «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً ، وإن منزلي في الجنّة تجاه منزل إبراهيم ، ومنزل العباس عميّ فيما بين منزله ومنزلي ، مؤمنٌ بين خليلين» .

١ ـ انظر موسوعة أطراف الحديث ج ٥ ص ٦٠٣ .
٢ ـ في هامش الأصل «اسمه سلمة» .
٣ ـ موسوعة أطراف الحديث ج ٢ ص ١٨٢
٤ ـ في هامش الأصل «مطرف» .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا خلاد بن يحيى عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى قال : قال العباس بن عبد المطلب لرسول الله ﷺ : إني لأعرف ضغائن في صدور أقوام أوقعتْ بهم ، فقال : «أما إنهم لن يَنالوا خيراً حتى يحبّوكم ، أوَ يرجوا سِلْهِم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب» ! سلهم حيٌّ من ولد حكم بن سعد العشيرة وعِدادهم في مراد .

حدثني عمرو بن محمد ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن موسى بن كردم عن مجالد بن سعيد عن الشعبي قال : «كان النبي ﷺ إذا رأى العباس عمه أوسع له وقال : هذا عمي وبقيّة آبائي» .

وحدثني بعض أصحابنا عن زبير بن بكار عن عتيق بن يعقوب عن عبد العزيز بن محمد الدّراوردي عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن عبد الله بن أبي بكر أنه بلغه أن النبي ﷺ قال : «احفظوني في العباس عمّي فإنّ عمَّ الرجل صِنُو أبيه» .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال : قال علي بن أبي طالب : لم أرَ رأياً قط أوثقَ فَتْلاً ، وأحكم عَقْداً من رأي عمي العباس .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين ، أن العباس بن عبد المطلب قال لابنه عبد الله بن عباس حين اختصه عمر بن الخطاب وقَرَّبَهُ : يا بُنَيّ لا تكذِبْه فيطرحك ، ولا تَغْتَبْ عنده أحداً فيمقتك ، ولا تقولنَّ له شيئاً حتى يسألك ، ولاتُفشين له سراً فيزدريك ، ويقال أنه قال له : إن هذا الرجل قد أدناك وأكرمك فاحفظ عني ثلاثاً : لا يُجرّبَنّ عليكَ كذباً ، ولا تَفْشِينّ له سرّاً ، ولا تغتابن عنده أحداً .

حدثني الأعين ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دُكين ، حدثنا زهير عن ليث عن مجاهد عن علي بن عبد الله بن عباس قال : أعتق العباسُ عند موته سبعين مملوكاً .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك الطفاوي عن سفيان بن حبيب عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ذكوان عن صهيب مولى العباس قال : رأيت علياً يُقبّل يَدَ العباس ورجله ويقول : يا عم ارضَ عنّي .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا وكيع بن الجراح عن اسرائيل الملاّي عن الحكم بن عُتيبة ، أن النبي ﷺ بعث عمر بن الخطاب مصدّقاً ، فشكاهُ العباس إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «أما علمتَ أن العم صنُو الأب ، وأنا قد استسلفنا زكاةَ العباس العام عام أول» .

وحدثني إسحاق الفَرْوي أبو موسى ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله العمري عن نافع قال : خرج عمر عام الرَّمادة يستسقي فقال : اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فَسُقُوا .

وحدثني إسحاق الفَرْوي ، حدثنا وكيع عن أسامة بن زيد عن ميمون بن ميسرة عن السائب بن يزيد قال : نظرت إلى عمر يومَ غدا ليستسقي عام الرّمادة متواضعاً خاشعاً عليه بُرْدٌ لا يبلغ ركبتيه ، فرفع صوته بالاستسقاء وعيناهُ تفيضان والدموع تجري على خده ولحيته ، وإن العباسَ لَعَنْ يمينه ، فاستقبل القبلة يعجّ إلى ربه ، وأخذ بيد العباس فقال : اللهم إنا

نستشفع إليك بعم نبيك ، والعباسُ قائمٌ إلى جنبه مُلحّ في الدعاء وعيناهُ تَهملان .

حدثني أبو بكر الوراق ، حدثنا اسحاق بن البهلول عن محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرج عمر يستسقي فأخذ بضبعي[1] العباس وقال : اللهم هذا عمّ نبيك فاسقنا ، فما برح الناس حتى سقوا .

ويروى عن الكلبي عن أبي صالح قال : أجدبت الأرض على عهد عمر حتى التقت الرِّعاء وأُلقيت العصيّ وعُطلَت النعم ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين إن بني اسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء ، فاستسقى عمر بالعباس فجعل عمر يدعو والعباس يدعو .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال : استسقى عمر بن الخطاب بالعباس عام الرمادة فقال : اللهم إن هؤلاء عبادك وبنو إمائكَ أتوك راغبين متوسلين إليك بعم نبيك ، فاسقنا سقيا نافعة تعمّ البلادَ وتحيي العباد ، اللهم إنّا نستسقيك بعم نبيك ونستشفع إليك بشيبته ، فُسقوا ، فقال في ذلك الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب :

بعميَ سقى الله الحجازَ وأهلَه ... عشيّة يستسقي بشيبتهِ عُمَرْ
توجَّه بالعباس في الجَدْب راغباً ... إليه فما أن رام حتى أتى المطر
ومنا رسولُ الله فينا تُراثُهُ ... فهل فوق هذا للمفاخرِ مفتخر

١ ـ الضبع : العضد كلها ، أو وسطها بلحمها ، أو الإبط ، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه . القاموس .

وقال ابن عفيف النضري :

مازال عباس بن شيبة عائلاً للنـاس عند تنكُّـر الأيـامِ
رجل تفتحتِ السماءُ لصوتِه لما دعـا بفضيلة الاســلام
عرفتْ قريشٌ يومَ قام مقامه فيهِ له فضلٌ على الاقـوام

وقال آخر :

رسـول الله والشُّهـداءُ منّـا وعبـاسُ الذي فتق الغـماما

وقال الواقدي في روايته : لما كان عام الرمادة ، وهو عام الجدب سنة ثماني عشرة ، استسقى عمر بن الخطاب بالعباس وقال : اللهم إنّا كنا نستسقيك بنبيّنا إذا قحطنا ، وهذا عمُّه بين أظهرنا ونحن نستسقيك به ، فلم ينصرف حتى أطبق السحاب ، قال : وسقوا بعد ثلاثة أيام ، وكان عام الرمادة الذي كان فيه طاعون عَمْواس[1] بالشام .

حدثنا خلف بن هشام البزار عن خالد بن عبد الله الواسطي عن يزيد بن عبد الله بن الحارث أن النبي ﷺ قال : «من آذى العباس فقد آذاني ، إنَّ عم الرجل صنُو أبيه» .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال للعباس : «يا عم من حفظني فيكم حفظه الله ولن يستكمل رجل الايمان حتى يعرف لك فضلك يا عم» .

---

١ ـ قرية تقع جنوب شرق الرملة ، . فتحها عمرو بن العاص ، وأصبحت مقر جند المسلمين . معجم بلدان فلسطين لمحمد محمد شراب ـ ط . دمشق ١٩٨٧ .

حدثني عمر بن بكير، حدثني هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن الصلت بن عبد الله عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال للمغيرة بن نوفل الهاشمي: بأبي وأمي أنتم يا بني هاشم، كيف تُفلح هذه الأمة وترجو شفاعة نبيها وقد ترك فيهم عمه، فاستأثروا بالرأي عليه؟

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال للعباس: «من سمعتُ منه مكروهاً أو رأيتهُ في جاهلية أو اسلام فلم أسمعه منك قط ولم أره، ولقد سألتُ ربي أن يعضدني بأحب عمومتي إليه وإليّ، فعضدني بحمزة وبك.

وحدثني محمد بن زياد الأعرابي، حدثني شبابة عن اسرائيل عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير قال: وقع رجل في بعض آباء العباس فلطمه العباسُ، فأخذ قومُه السلاحَ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فصعد المنبر ثم قال: «أيها الناس، أيُّ الخلق أكرم على الله؟ قالوا: أنت يا رسول الله، قال: فان العباس منّي وأنا منه، لا تسبّوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا»، قالوا: نعوذ بالله من غضبك، فاستغفر لنا يا رسول الله.

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن كريب أبي رشدين مولى ابن عباس قال: «لقد كان رسول الله ﷺ يُجِلّ العباس من بين الناس إجلالَ الولد والدَه». وحُدثتُ أنّ كريباً قال: ما ينبغي لنبي أن يُجل إلّا أباً أو عمًّا.

وحدثني الوليد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «لقد رأيتُ من تعظيم رسول الله ﷺ العباس عمه

أمراً عجيباً ، أغمي على رسول الله ﷺ في مرضه فَلدَدْناهُ[1] ثم سُرِّي عنه فأفاق ، فلما علم أنّه قد لُدَّ قال : والذي نفسي بيده لا يبقى في البيت أحد إلّا لُدَّ سوى عمي العباس ، فرأيتهم يلدّون رجلاً رجلاً وفي البيت رجال يُذكر فضلهم حتى لقد لُدّت امرأة صائمة» .

حدثني رجل من أصحابنا عن زبير بن بكار عن إسماعيل بن عبد الله عن بكار بن محمد عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت الخاصرة تأخذ رسول الله ﷺ ولا نهتدي لاسم الخاصرة ونقول عرق النَّسا ، فأخذته يوماً فلددناه ، فلما أفاق قال : «والذي نفسي بيده لا يبقى أحد في البيت إلاّ لُدّ غير عمي العباس» ، قالت : وفي البيت رجال يذكر فضلهم فلُدّوا رجلاً رجلاً .

وحدثني الزبير بن بكار عن إبراهيم بن حمزة عن محمد بن طلحة عن نافع أبي سهل عن سعيد بن المسيب قال : سمعتُ سعد بن أبي وقاص قال : خرج رسول الله ﷺ إلى نَقيع الخيل[2] ، وهو موضع سوق النخاسين اليوم ، فطلع العباس ، فقال النبي ﷺ : «هذا العباس أجود قريش كفّاً وأوصلها» .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أن النبي ﷺ اشتكى الشكاةَ التي

---

١ ـ اللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم . القاموس .
٢ ـ أورد الفيروز أبادي عدة روايات حول مكان النقيع وأنه كان يبعد عن المدينة المنورة ما لا يقل عن عشرين فرسخاً .

توفي فيها فغُمر[1] من شدة الوجع فلدّوه ، فلما أفاق قال : من فعل هذا ؟ قالوا : خشينا ان تكون بك ذاتُ الجنب ، فقال ﷺ : ما كان الله ليعذبني بها ، ثم قال : «لا يبقينَّ في البيت أحد إلّا التدّ غير عمي العباس» عقوبة لهم ، فالتدّت ميمونة وهي صائمة[2] .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال : خرج رسول الله ينظر إلى بعث أو يجهزه ، فطلع العباس فلما رأوه قال : «هذا عم نبيكم أجود قريش كفّاً وأوصلها لرحم» .

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن الثقات من آل عثمان وغيرهم ، أن العباس لم يمر بعمر وعثمان وهما راكبان وهو راجل إلا نزلا حتى يجوزهما إجلالاً له أو يمشيان معه حتى يبلغ منزله أو مجلسه .

حدثني يوسف بن موسى القطان ، حدثني جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال : جاء عبد الرحمن بن صفوان ، وكان صديقاً للعباس ، بأبيه يوم فتح مكة إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة ، فقال ﷺ : «إنّه لا هجرة» ، فقال العباس : أقسمتُ عليك لما بايعته ، فقال بيده : «هاه ، أبررتُ قسمَ عمي ولا هجرة» .

حدثني أبو مسلم الأحمري المؤدِّب ، حدثني هشام الكلبي عن أبيه محمد بن السائب عن أبي صالح عن عدّة من الهاشميين ، «أن النبي ﷺ

١ - أي أغمي عليه . النهاية لابن الأثير .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

اشتاق إلى عمه العباس وقد خرج إلى بعض بوادي المدينة فزاره وأقام عنده أياماً» .

حدثني أبو بكر الأعين ، حدثنا اسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن أبي هارون موسى بن عيسى قال : كان للعباس ميزابٌ يصُبّ في المسجد فكسره عمرَ فقال العباس : أما إن رسول الله ﷺ وضعه بيده ، فقال عمر : لا جرم والله لا يكون لك سلّمٌ إلاّ ظهري ، فطأطأ له حتى ركب ظهره ثم وضعه .

وذكروا أن العباس بنى داره التي كانت إلى المسجد وجعل يرتجز :

بنيتُها باللِّبن والحجارهْ فباركنْ لأهلِ هذي الدّارهْ

فدعا له رسول الله ﷺ بالبركة .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثني يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن أبي حصين قال : أمر عمرُ بقلع الميازيب التي تصبُّ في المسجد ، فأتاه العباسُ فقال : أرأيت لو أتاك عم موسى عليه السلام مُسلْماً ما كنت تصنعُ به ؟ قال كنت أفعل به كذا ، فذكر إعظاماً وإجلالاً واسعاً ، قال : فأنا عم محمد ﷺ ، قال : اذهب فاصنع ما شئت .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن عكرمة ، أن العباس كان يأمره فتوضع مائدته في السفر فيأكل من حضره ومن مرّ به ثم يلقي فضلها للطير والسباع .

حدثني عبد الله بن صالح عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهري عن ابن المسيب قال : لقد جاء الاسلام وان

جفنة العباس لتدور على فقراء بني هاشم وإنّ سوطه وقدّه معه لسفهائهم ، يطعم الجائعَ ويؤدّب السفيه ، وقال الزهري : هذا والله السّؤدد .

قال إبراهيم بن علي بن هَرْمة :

وكانت لعباسٍ ثلاثٌ يعدّها اذا ما شتاءُ الناس أصبح اشهبا
فسلسلةٌ تنهى الظلومَ وجفنةٌ تباح فيكسوها السنامَ المُرَعّبا
وحلّة عصبٍ ما تزال معـدةً لعارٍ ضريـكٍ ثوبهُ قد تهبّبا[١]

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن رجل من أهل المدينة قال : كنت عند الحسين بن علي فأتاه رجل فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من عند عبد الله بن عباس فأُطعم طعامه وأيطب كلامه ، فقال الحسين : إن أباه كان سيد قريش غير مدافع ، وإن رسول الله ﷺ قال : «يا بني هاشم أطعموا الطعام وأيطبوا الكلام» ، فأخذها والله العباس وولده

حدثني أبو حسان الزيادي ، حدثنا موسى بن داود عن الحكم بن المنذر عن عمر النخعي عن أبي جعفر قال : أقبلَ العباس بن عبد المطلب وعليه حُلّة وهو أبيض له ضفيرتان ، فلما رآه النبي ﷺ تبسَّم ، فقال له : يا رسول الله ممّ تَبسّمت ؟ قَالَ : «من جمالك يا عم» ، قال : وما الجمالُ في الرجل بأبي أنت وأمي قال : «اللسان» . قال أبو جعفر ، يقول : أعجب من بيانك ولسَنَك[٢] .

١ - ديوان ابراهيم بن هرمة - ط . دمشق ١٩٦٩ ص ١٣ - ١٤ .
٢ - في هامش الاصل : بلغ العرض، لله كل حمد وفضل وافضال.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر : عليك العير فإنه ليس بينك وبينها كبير شيء ، فناداه العباس : انها لا تصلح لك ، فقال رسول الله ﷺ : «ولم ؟» قال : لأن الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك . قال أحمد بن ابراهيم : وفي حديث آخر مثله ، فقال رسول الله : «صدق عمي» .

وحدثني أحمد بن ابراهيم ، حدثنا ابو داود الطيالسي عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ذكوان عن صهيب مولى العباس قال : أرسلني العباس إلى عثمان بن عفان أدعوه ، فأتيته وهو يغدّي الناس ، فلما فرغ أتاه فقال : افلح الوجه يا أبا الفضل ، فقال : ووجهك يا أمير المؤمنين ، ثم قال عثمان : أتاني رسولك وأنا أغدّي الناس فما زدتُ حين غدّيتهم على أن أتيتك ، وذكر كلاماً .

حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله عن نافع ولا أعلمه ألّا عن ابن عمر ، أن العباس استأذن رسول الله ﷺ في المبيت بمكة ليالي منى فأذِنَ له .

حدثني بعض أصحابنا عن الزبير بن بكار عن ساعدة بن عبيد الله عن داود بن عطاء عن موسى بن عُبيدة الرَّبَذي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، ان النبي ﷺ قال : «اللهم إن عمي العباس حاطني بمكة من أهل الشرك وأخذ لي البيعة على الأنصار ونصرني في الاسلام ، اللهم فاحفظه وحُطْهُ واحفظ ذريته من كل مكروه» .

وحدثني هشام بن عمّار قال : سمعتُ الوليد بن مسلم يقول : قُرِىء علينا كتاب أبي جعفر أمير المؤمنين يذكر فيه سابقة جده العباس فقال فيه : ومن ذلك أنه جهز في جيش العسرة بثمانين ألف درهم .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله ، أن غلاماً للعباس بن عبد المطلب يقال له كلاب قدم على رسول الله ﷺ المدينة بألطافٍ بعث بها إليه عمّه العباس ، وكان رسول الله ﷺ قد شكا القيام على رجليه ، وكان كلاب نجاراً مُجيداً ، فأمره فعمل له مِنْبَرَهُ من أثلِ[1] الغابة درجتين ومقعداً وذلك قبل فتح مكة .

وحدثنا وهب بن بقيّة الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا أبو أمية بن يعلَى عن سالم أبي النضر قال : لما كثر المسلمون على عهد عمر ضاق بهم المسجد ، فاشترى عمر ما حوله من الدور إلاّ دار العباس وحُجَر أمهاتِ المؤمنين ، فقال عمر للعباس : يا أبا الفضل إن المسجد قد ضاق وقد ابتعتُ ما حوله من المنازل لأوسّع بها على المسلمين مسجدهم إلاّ دارك وحجر أمهات المؤمنين ، فأما حُجَر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها ، وأما دارك فإما أن تبيعنيها بما شئت من بيت المال ، وإما أن أخطك خطة حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين ، وإما أن تتصدق بها على المسلمين فتوسّع بها مسجدهم ، فقال العباس : لا ولا واحدة منها ، فقال عمر : أنت أعلم ، اذهب فلن أعرض لك في دارك ، قال العباس : أما إذا قلت هذا فإني قد تصدّقتُ بها على المسلمين ، فخطّ له عمر داره التي هي له اليوم ، وبناها من مال المسلمين .

---

١ ـ الأثل : شجر واحدته أثلة . القاموس .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أسامة بن محمد بن أسامة بن زيد عن أبيه عن دحية بن خليفة الكلبي قال : أهديتُ إلى النبي ﷺ زبيباً وتيناً من الشام فقال : «اللهم أدخلْ عليّ أحبّ أهلي إليك» ، فدخل العباس فقال : «ها هنا يا عمّ ، دونك فَكُلْ» .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس قال : لما صار أمرُ السقاية والرفادة لبني عبد مناف بن قصي اقترعوا فخرج سهم هاشم فولي ذلك وقام به ، فلما مات هاشم بغزّة قام بأمر السقاية والرفادة بعده بوصية منه المطلب بن عبد مناف أخوه ، ثم لما مات المطلب قام بذلك عبد المطلب بن هاشم ثم ابنُه الزبير بن عبد المطلب بن عبد مناف ثم أبو طالب بن عبد المطلب ؛ ثم إن أبا طالب أمْعَر[1] واختلّت حالُه فعجز عن القيام بأمر السقاية والرفادة فاستسلف من أخيه العباس بن عبد المطلب للنفقة على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلما كان العام المقبل سأله سلف خمسة عشر ألف درهم ، أو قال اربعة عشر ألف درهم ، فقال له العباس : انك لن تقضيني ما لي عليك فأنا أعطيكَ ما سألت على أنك إن لم تؤدِّ إليَّ مالي كله في قابل فأمرُ هذه المكرمة من السقاية والرفادة إليَّ دونك والمال لك ، فأجابه إلى ذلك ، فلما كان الموسم من العام المقبلِ ازداد أبو طالب عجزاً وضعفاً لقلة ذات يده فلم تمكنه النفقة ولم يَقْضِ العباس ماله ، فصارت السقاية والرفادة إليه ، وكان للعباس كرم بالطائف يؤتى بزبيبه فينبذ في السقاية ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة أخذ مفتاح الكعبة وهمَّ بدفعه إلى العباس ، فنزلت

---

١ ـ أمعر : افتقر وفني زاده . القاموس .

﴿إن الله يأمركم ان تؤدوا الامانات إلى أهلها﴾[١] فأقرّ السقاية والرّفادة في يد العباس وأقرّ الحجابة في يد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي . وقال رسول الله ﷺ حين فتح مكة : «ألا إني قد وضعت كل مأثرة ومكرمة كانت في الجاهلية تحت قدمي إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاج» .

وحدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة قال : قام العباس بالسقاية والرفادة ، ثم قام بذلك عبد الله بن عباس ثم علي بن عبد الله ثم محمد بن علي ثم داود بن علي ، ثم سليمان بن علي ، ثم عيسى بن علي ، فلما استخلف أمير المؤمنين أبو جعفر قال : انكم تقلدون هذا الامر مواليكم فموالي أمير المؤمنين أحقّ بالقيام به ، فولّى السقاية ونفقاتِ البيت مولى له يقال له زَربى ، وجُعلت الرفادة من بيت المال .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : دخل عثمان بن عفان على العباس رضي الله تعالى عنهما ، وكان العباس خالَ أمه أروى بنت كُرَيز فقال : يا خال أوصني ، فقال : أوصيك بسلامة القلب ، وترك مُصَانَعة الرجال في الحق ، وحفظ اللسان ، فإنك متى تفعلْ ذلك تُرضِ ربك وتصلُحْ لكَ رعيتك .

المدائني عن ابن جُعْدُبة عن محمد بن علي بن عبد الله ، أن العباس قال لعبد الله بن العباس : يا بنيّ إن الله قد بلَّغك شَرَفَ الدنيا فاطلب شرف الآخرة ، واملك هواك واحرزْ لسانك إلاّ مما لَكَ .

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٥٨ .

حدثني عمر بن حماد بن أبي حنيفة عن محمد بن الفضيل بن غزوان عن زكريا بن عطية عن أبيه قال : أخذ كعب الأحبار بيد العباس وقال : اختبئها لي عندك للشفاعة ، فقال : وهل لي شفاعة ؟ قال : نعم ليس أحد من أفاضل أهل النبي يُسْلم إلاّ كانت له شفاعة .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم عن أبي أسامة وعبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عروة بن الزبير قال : أخذ العباس بيد رسول الله ﷺ حين وافاه السبعون من الأنصار بالعقبة فجعل يأخذ لرسول الله البيعة ويعتقدها عليهم ويشترط له ، قال عروة : وذلك في غُرَّة الاسلام وأوله وَليس يُعبدُ الله علانيةً .

حدثني علي بن حماد بن كثير ، حدثنا الحزامي عن محمد بن طلحة عن اسحاق بن إبراهيم الأنصاري عن أبيه قال : لما قدم صفوان بن أمية الجمحي على رسول الله ﷺ قال له : «على من نزلت يا أبا وهب» ؟ قال : على عمك العباس ، قال : «نزلت على أشدّ قريش لقريش حُبّاً» .

المدائني عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس قال : سمعتُ عمر بن الخطاب يقول : قريش رؤساء الناس وليس منهم أحد يدخل في أمر إلا دخل معه فيه طائفة ، فلما طعن عمر أمر صُهَيباً أن يصليَ بالناس ويطعمهم ثلاثة أيام حتى يجتمعوا على رجل من الستّة ، فلما وُضعت الموائد كفَّ الناسُ عن الطعام ، فقال العباس : أيها الناسُ إن رسول الله ﷺ قبض فأكلنا بعده وشربنا ، وتوفي أبو بكر فأكلنا بعده وشربنا ، وإنه لابدَّ من الأكل ، فأكل وأكل الناس ، قال : فعرفتُ قولَ عمر .

ومن حديث الواقدي وغيره ، إن الله فتح على نبيه ﷺ خيبر ، وكان الحجاج بن عِلاط السُّلَمي قدمَ من غارةٍ له يوم خيبر فأسلم وأستأذن رسول الله ﷺ في إتيان مكة ليأخذ مالاً له هناك عند زوجته أم شيبة بنت عمير أخت مصعب بن عمير العبدري ، فأذن له رسول الله ﷺ في ذلك ، فقدم مكة وأهلُها لا يعلمون بخبر خيبر ولا بإسلامه ، فقال لقريش متقرباً إليها : إن محمداً قد أسِر ونُكب أصحابه ، فلما بلغ العباس ذلك اشتد عليه وغمَّه فخرج مُدَلَّهاً حتى لقي الحجاج في خلوة فسأله عن الخبر ، فقال : اكتم عليَّ فداك أبي وأمي جميعَ ما أقول لك ثلاثاً حتى آخذ مالي عندَ زوجتي ثم أظهر الأمر ، إني قد أسلمتُ وإن رسول الله قد ظفر ، وجئتك وهو عروس بابنة ملك خيبر ، فَسُرِّيَ عنهُ ؛ فلما مضت ثلاثة أيام وخرج الحجاج يريد رسول الله ﷺ ، غدا العباس على قريش وعليه حُلّة خزّ مصبوغة وهو متعطِّر فوقف على باب أم شيبة فقال : أين الحجاج ؟ قالت : خرجَ يبتاعُ مّما غنم أهل خيبر من محمد وأصحابه ، فقال : ذاك والله الباطل ، لقد خلص ماله ، وإنك لا تَحِلّين له حتى تتبعي دينه ، فقالت : صدقت والثواقب ، ثم أتى قريشاً فقالوا : ما هذا التجلد يا أبا الفضل ؟ فأخبرهم الخبر فسيء بهم واكتأبوا وجعل بعضهم يصدّق وبعضهم يكذّب ، حتى ورد عليهم الخبر بعد يومين أو ثلاثة أيام ، وذلك في سنة سبع .

حدثني الوليد بن صالح عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق بن يسار عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس .

وعن محمد بن اسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، أن عاتكة بنت عبد المطلب رأت في منامها ـ قبل قدوم ضمضم بن عمرو

الغفاري مكة برسالة أبي سفيان ، حين استأجره وأرسله إلى قريش ، يُعلِمها طلب رسول الله ﷺ العيرَ التي قدم بها أبو سفيان من الشام ويأمرها بالخروج لمنعها والذبّ عنها بثلاثة أيام - كأنّ راكباً أقبل على بعيره حتى وقف بالأبطح ثم قال بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فمَثَل به بعيره فوق الكعبة ثم صرخ بمثل ذلك ، ثم مثَل به بعيره فوق أبي قبيس فصَرخ بمثل ذلك ، ثم أخذ صخره فأرسلها فأقبلت تهوي حتى ارفضّت فما بقي بيتٌ من بيوت مكة إلا دخلته منها فلقة ، فقال لها العباس : اكتمي رؤياك يا أخت ، وخرج فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان له صديقاً ونديماً مع أبي سفيان بن حرب ، فذكر له الرؤيا فأخبر بها الوليد أباهُ عتبة ، ففشا الحديث حتى جعلت قريش تقول : امضوا بنا إلى الوليد بن عتبة نسأله عن رؤيا عمّه محمد ، ولقي أبو جهل العباس فقال : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبّية ! أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تَنَبَّت نساؤكم ! والله لئن مضت ثلاثة أيام ولم يكن لهذه الرؤيا تأويل لنكتبنّ عليكم كتاباً أنكم اكذب العرب . قال العباس : فانكرتُ الرؤيا ، ثم لم يلبث ان جاء ضمضم وقد جدع أنف بعيره وحوّل رَحْله وشقّ قميصه وهو يقول : اللطيمةَ اللطيمةَ ، أموالكم أموالكم ، فقد عرض لها محمد ، الغوثَ الغوثَ ! فتجهز الناسُ سراعاً ، وخاف العباس على نفسه فخرج معهم ليوري بذلك عليهم ، وأطعم مع المطعمين تجلداً ، وأظهر انه داخل فيما دخلوا فيه لئلا يقال انه مسلم فيصيبوه بشرّ . وقالت عاتكة بعد بدر :

ألم تكن الرؤيا بحقٍّ أتاكمُ بتأويلها فلٌّ من القوم هاربُ
أتى فأتاكم باليقين الذي رأى بعينيه ما تفري السيوفُ القواضب
فقلتم ، ولم اكذبْ ، كذبتِ وانّما يكذّبني بالصدق من هو كاذب

وسمعت أن العباس قال لأبي جهل ، حين قال لنكتبن عليكم كتاباً أنكم أكذب العرب : يا مُصفّر استِه ، أنت أولى منّا بالكذب[1] .

وأنشدني بعض قريش شعراً ذكر أنه قاله ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ويقال غيره :

يا قوم كيف رأيتم تأويلَ رؤيا عاتكه
قلتم لها يا آفكه جهلاً وما هي آفكه
حتى بدا تأويلها بكداء غير متاركه
خصّت وعمّت معشراً أرحامهم متشابكه
هلكوا ببدرٍ كلهم فابكوا النفوسَ الهالكه

قالوا : ولما كانت عُمْرَةُ القضاء ، وقدم رسول الله ﷺ مكة ، زوّجهُ العباس ميمونة بنت الحارث اخت امرأته أمّ الفضل لُبابة بنت الحارث .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبد الله بن صالح المصري عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال : خرج العباس من مكة مُجاهراً باسلامه فلقي النبي ﷺ بذي الحُلَيْفَة وهو يُريد مكة ، فأمره أن يمضي ثَقَلَهُ إلى المدينة ويكون هو معه وقال : «هِجْرَتُكَ يا عم آخرُ هجرةٍ كما أن نبوّتي آخر نبوة» .

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٣ .

وقد روي أنه لقي النبي ﷺ بالسُّقيا فلم يفارقه حتى دخل معه مكة، ففتحها، ثم انصرف معه إلى المدينة. وكان العباس وهب رسول الله ﷺ غلامه أبا رافع، ورسولُ الله بمكة، فلمّا قدم على رسول الله ﷺ بشّر أبو رافع رسول الله بقدومه معلناً لإسلامه فأعتقه.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي السائب المخزومي عن أبيه قال: كان العباس أكرم قريش: له ثوب لعاريهم، وجفنة لجائعهم، ومِقطرة لجاهلهم؛ وكان في الجاهلية نديماً لأبي سفيان، فجاور رجل من بني سليم رجلاً لم يحمد جواره، فقال له عباس بن مرداس السلمي:

إن كان جارُك لم تنفعكَ ذِمَّتُهُ   حتى سُقيتَ بكاسِ الذلّ أنفاسا
فَأتِ القبابَ فكن من أهلها سدداً   تلقى ابن حرب وتلقى المرء عباسا
قَرْمَيْ قريشٍ وحلّاً في ذوائِبها   بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا
ساقي الحجيج وهذا ماجدٌ أنِفٌ   والمجد يُورِثُ أخماساً وأسداسا[1]

وحدثني بكر بن الهيثم، حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان أبي أبيض بَضّاً رجل الشعر[2]، حسن اللحية في رقة، تام القامة رحب الجبهة أهدب الأشفار، أو قال اوطف، أقنى الأنف عظيم العينين سهل الخدين بادناً جسيماً، وكان قبل أن تكبر سنّه ذا ضفيرتين، وكفّ بصره قبل موته بخمس سنين، وقد كان خضب ثم ترك الخضاب.

---

١ ـ للعباس بن مرداس ترجمة في الأغاني ج ١٤ ص ٣٠٢ ـ ٣٢٠ ووردت هذه الأبيات في ج ١٧ ص ٢٨٨ مع فوارق واضحة.
٢ ـ شعر رجل: بين السبوطة والجعودة. القاموس.

وقال الواقدي وغيره : توفي العباس في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وكان معتدل القناة ، ودفن بالمدينة بالبقيع ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، وكان يقول حين نشب الناسُ في أمر عثمان : اللهم اسبق بي أمراً لا أحبّ أن أدركه .

قالوا : ونزل في حفرة العباس : علي بن أبي طالب ، وعبد الله وعبيد الله ابنا العباس ، والحسن والحسين ابنا علي ، وقثم بن العباس ، ويقال إن عثمان بن عفان نزل في قبره ، وقال عبد الله بن العباس : لقد كنا محتاجين إلى نزول أكثَرَ منّا لبدنه وعظمه .

فولد العباس بن عبد المطلب

الفضل وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقثم ، وعبد الرحمن ، ومعبد بن العباس ، وأم حبيب ، وأمهم لُبابَةُ بنت الحارث بن حَزْن بن بُجير بن الهُزَم بن رُؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وأمها هند بنت عمرو وهي خولة ، ويقال إن أباها عوف من حَمامة من جرش ؛ وتَمَّام بن العباس ؛ وكثَير بن العباس ، وأمهما أم ولد . والحارث بن العباس وأمه حجيلة بنت جندب بن الربيع ، هُذَلِيّة . وصفيّة بنت العباس وأمها أم ولد . وآمنة بنت العباس ، ويقال أمينة ، كانت عند العباس بن عتبة بن أبي لهب فولدت له الفضل الشاعر وأمها أم ولد . وكانت أم حبيب عند الأسود بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي. فولدت له رزق بن الأسود ، ولبابة بنت الأسود وهم يسكنون مكة ، وكانت صفية عند محمد بن عبد الله بن مسروح واسمه الحارث بن يعمر أحد بني سعد بن بكر .

قال عبد الله بن بُريَدْ الهلالي :

ما ولدت نجيبةٌ من فحلِ بجبلٍ نعلمُهُ أو سهلِ
كستةٍ من بطنِ أمِّ الفضل أكرمْ بها مِن كهلةٍ وكهل
عمّ النبيّ المصطفى ذي الفضل وخاتم الرُّسْلِ وخير الرسل

وقال أيضاً :

ونحن ولدنا الفضلَ والحَبْر بعده عنيتُ أبا العباس ذا الدين والندى
ألا وعبيدُ الله ثم ابن امه ألا قثماً أعني وذا الباع معبدا
غيوثٌ على العافين خُرْسٌ عن الخنا أسودٌ إذا ما موقد الحرب أوقدا
اذا افتخرت يوماً قريش رأيتهم يفوقونهم حلماً وجوداً وسؤددا

وقال أيضاً :

ألا إنني صهرُ النبيّ محمد وخالُ بني العباسِ والخالُ كالأب

الفضل بن العباس

فأما الفضل بن العباس :

ابن عبد المطلب ويكنى أبا محمد ، فإن رسول الله ﷺ دفع من المُزدَلفة وهو ردفُه إلى منى فسمى الرّدف ، وكان ممن غسَل رسول الله ﷺ ، ونزل في حفرته . وقال له رسول الله ﷺ : «يا غلام احفظ أمر الله يحفظك ، واعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن الخلائق جميعاً لو اجتمعوا على إعطائك شيئاً لم يُقدّر لك لم يقدروا عليه ، ولو أطبقوا على مَنعك شيئاً قد قدر لك لم يستطيعوه» . ويقال انه قال ذلك لعبد الله بن عباس .

وحدثني حفص بن عمر المعروف بالعمري عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال : لما أراد الفضلُ بن العباس الخروج إلى الشام ودّع أباه فقال له أبوه : أي بني إن عمود الجهاد النيّةُ ، وتمامهُ الصبر والاحتساب فجاهد صابراً محتسباً. فإنَّ نبيّ الله قال : «الجهاد رهبانية الاسلام» ، وانك ستُسأل عن حديث رسول الله ﷺ لموضعك منه فلا تَعْدُ في ذلك اليقين والغِ الشك ، واجعل ما رويتَ عنه تديّناً ولا تجعله فخراً .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش الهمداني عن أبي علاقة الحضرمي عن أبيه قال : حضرت الفضل بن عباس في سفره إلى الشام فكان يطعم طعامه ويأمر فيتصدّق بفضلته ويقول : كثرة الطعام وسعته في السفر من المروءة . وكان إذا سار تعجل على فرسه حتى يسبق ثقله ورفقاءه ، ثم لايزال يصلي حتى يلحقوا به وهو مطول لفرسه وفرسه يرعى وعنانه في يده ، وكان يُجدّد الوضوءَ لكل صلاة مكتوبة ، وينامُ من أول الليل ثم يقوم فيصلي إلى وقت الرّحيل ، واذا مَرّ بركب من المسلمين سلّم عليهم ، وأتاه مولى له وقد نال الناسَ طاعونُ عمواس فقال له : بأبي أنت وأمي لو انتقلتَ إلى مكان كذا ، فقال : والله ما أخاف ان أسبق أجلي ، ولا أحاذر أن يغلظ[1] بي ، وان ملك الموت لبصير بأهل كلّ بلد .

المدائني عن حُبَاب بن موسى عن جعفر بن محمد ، وأنه ذكر العباس وولده فقال : كان عبد الله أعلم الناس بكل شيء ، وكان عبيد الله أجود الناس كفّاً وأوسعهم بذلاً ، وكان الفضل أجمل الناس وجهاً وأثبتهم زهداً وأصدقهم قولاً .

حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال : كان يقال من أراد الجمال والفقه والسّخاء فليأت دار العباس بن عبد المطلب : الجمالُ للفضلِ ، والفقه لعبد الله ، والسخاء لعبيد الله .

حدثني عمرو الناقد ، حدثنا محمد بن الفضيل بن غزوان الضبي عن يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن

---

١ ـ أغلظ : نزل بها . القاموس .

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال : مشى بنو عبد المطلب الى العباس فقالوا له : تُكلّمُ لنا رسول الله ﷺ في أن يجعلَ إلينا ما يجعل إلى الناس من هذه السّعاية على الصدقات ، قال : فبعث العباس ابنه الفضل ، وبعثني أبي ربيعةُ بن الحارث إلى النبي ﷺ حتى دخلنا عليه فأجلسنا عن يمينه وشماله ، ثم أخذ رسول الله بأذني وأذن الفضل فقال : «أخرجا ما تُسِرّان» ، فقلنا : بَعَثنا إليك عمّك واجتمع اليه بنو عبد المطلب يسألون ان تجعل لهم نصيباً في هذه السعاية ، فقال : «إن الله أبى لكم يا بني عبد المطلب أن يطعمكم أوساخَ أيدي الناس ـ أو قال غُسَالةَ أيدي الناس ـ ولكن لكما عندي الحباء والكرامة ، اما أنت يا فضل فقد زوجتك فلانة ، واما انت يا عبد المطلب فقد زوجتك فلانة» ، فرجعنا فأخبرنا بقول رسول الله ﷺ .

وحدثني عمرو الناقد قال : ويروى عن أبي اسحاق وغيره أن العباس مشى إلى النبي ﷺ ومعه الفضل ، وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث فكلّمه في توليتهما مما ولّاه الله وقال : إن هذين ابنا عمك ، وقد بلغا وليس لهما نساء فلعلهما يصيبان مما يصيب الناس فيتزوجان ، فقال رسول الله ﷺ : «انما هي أوساخ الناس وما أنا بموليهما» .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي السائب المخزومي عن أبيه قال : أخبرني رجل من قريش أنه سمع الفضل بن العباس يقول بالشام : والله ما بخل بالمال من أيقن بالخلف ، ولا استغني بالكثير من لم يغنه الكفاف ، ولا خاف العواقبَ من أمن شرَّ الناس .

وقال هشام بن محمد الكلبي : قال الفضل بن عباس حين نزل به

الموت : هذا أمرُ الله الذي لا مردَّ له ، فصبراً واحتساباً وتسليماً ، والله ما أخافُ الموت الذي له خُلقتُ ولكني أخاف التقصير في العمل .

حدثني أبو حفص الشامي ، حدثني أبو الزبير الدمشقي عن أبيه قال : بلغني أنه لما نزل الطاعون قال الفضل بن عباس ، وكان فتى قريش يومئذ عقلاً وجمالاً وشجاعة ومروءة : إن أحقَّ ما صُبِر عليه ما لا سبيل إلى تبديله .

وحدثني أبو حفص عن أبي الزبير ، حدثني أبي قال : نفق فرس لرجلٍ كان مع الفضل بن عباس في رفقته ، فأعطاه فرساً كان يَجنِبُه ، فعاتبه بعض المنتصحين إليه فقال : أبتبخيلي تنتصح إليّ ؟! إنه كفى لؤماً أن تمنع الفضل وتترك المواساة ، والله ما رأيتُ الله حمد في كتابه إلا المؤثرين ﴿على أنفسهم ولو كانتْ بهم خصاصة﴾[1] .

قالوا : وتوفي الفضل في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة ، وكان له يوم قبض النبي ﷺ ثماني عشرة سنة وأشهر ، ولم يولد للفضل إلا أم كلثوم بنت الفضل ، وأمها صفيّة بنت مَحْمِية بن جزء الزبيدي حليف بني جمح ، وأمها جمحيّة ، فتزوج الحسن بن علي أم كلثوم وكان أبا عذرها ، وهي أول من تزوج من النساء ، فولدت له ثلاثة بنين وابنة درجوا كلهم ، **وفارقها فخلف عليها أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري فولدت له موسى بن أبي موسى ، ويقال إنها ولدت له أيضاً ولدين آخرين ، وتوفي أبو موسى عنها فخلف عليها عمران بن طلحة بن عبيد الله ، ثم فارقها فرجعت إلى دار أبي موسى بالكوفة فماتت بها ، وهي أول قرشية دفنت في ظهر**

---

١ ـ سورة الحشر ـ الآية : ٥٩ .

الكوفة ، ويقال بل دفنت قبلها أمِ عمرو بن سعيد الأشدق . وكان أول من دُفن بظهر الكوفة من الرجال خباب بن الأرتّ في سنة سبع وثلاثين أو ست وثلاثين .

وقال بعض الرواة : وكانت أم كلثوم بنت الفضل عند أبي موسى فمات عنها وتزوجها الحسن ، فتوفي عنها في سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين ، فتزوجها عمران بن طلحة ولا عقب له .

عبد الله بن عباس

وأما عبدالله بن عباس :

فيكنى أبا العباس وهو حبْرُ الأمة ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال : ولد عبد الله بن عباس وبنو عبد المطلب في الشِّعب ، وذلك قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين ، فجاء به أبوه إلى النبي ﷺ فقبّله ومسح وجهه ورأسه ودعا له ، فقال : «اللهم املأ جوفه فهماً وعلماً ، واجعله من عبادك الصالحين ، ثم قال : يا عم ، هذا عن قليل حبرُ امتّي وفقيهها والمؤدي لتأويل التنزيل» .

قال أبو صالح : وكان عبد الله بن عباس مقدّماً عند أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم ، وحجَّ بالناس سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان وعثمان محصور ، وولاه علي بن أبي طالب البصرة وشخص معه إلى صفين ، ثم رجع إليها والياً عليها ، ثم كتب أبو الاسود فيه إلى علي فغاضَبَ عليّاً وشخص إلى الحجاز .

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن خالد بن الياس عن شعبَة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس قال : ولدتُ قبل الهجرة بثلاث ونحن في الشعب ، وتوفي رسول الله ﷺ ولي ثلاث عشرة سنة .

وحدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : كنت في حجة رسول الله ﷺ مراهقاً للحلم[1] .

وحدثني الزبير بن بكار عن سفيان بن عُيَيْنة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : سمعتُ ابن عباس يقول : أنا في من قدَّمه رسول الله ﷺ من ضَعَفةِ أهله مع الثقل من المزدلفة إلى منى .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا زهير بن معاوية عن عبد الله بن عثمان بن خثيْم عن سعيد بن جبير أنه سمع عبد الله بن عباس يقول : وضع رسول الله ﷺ يده بين كتفي ، أو قال منكبيّ ، وقال : «اللهم فقّهْهُ في الدين وعلّمه التأويل» .

حدثنا عفان بن مسلم ، أخبرنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عبد الله بن عثمان بن خُثيم عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس يقول : إن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة ، قال : فوضعتُ له وضوءاً من الليل ، فقالت ميمونة : يا رسول الله وضع لك هذا ابن عباس ، فقال : «اللهمّ فَقّهْه في الدين وعلّمه التأويل» .

١ - نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٦ .

حدثنا الحسين بن علي بن الاسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا أبو كُدَيْنَة يحيى بن المهلب البجلي عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس انه قال : رأيتُ جبريل مرتين ودعا لي رسول الله ﷺ ان يؤتيني الله الحكمة مرتين .

حدثنا إبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا سفيان عن أبي بكير عن عكرمة عن ابن عباس ، أنه دخل إلى النبي ﷺ وعنده رجل فقال له : من هذا يا رسول الله ؟ قال : «جبريل» .

حدثنا عبد الله بن صالح المقرىء عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : كنت وأبي عند النبي ﷺ فكان كالمُعرض فلما خرجنا قال لي أبي : أي بُنيّ ألم تَرَ إلى النبي كأنه معرضٌ عني ؟ فقلت : إنه كان يناجي رجلاً ، فرجعنا إليه ، فقال له : إني قلتُ لعبد الله كذا فقال كذا أفكان معك أحد يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أرأيته يا عبد الله ؟ قلتُ : نعم ، قال : ذاك جبريل» .

وحُدثت عن عاصم بن علي بن عاصم عن زينب بنت سليمان بن علي قالت : حدثني أبي عن أبيه قال : دخل عبد الله بن عباس على رسول الله ﷺ وعنده رجل فقام عبـد الله ورآهُ فالتفت النبي ﷺ فقال : «متى جئت يا حبيبي ؟ قال : منذ ساعة . فقال : هل رأيت عندي أحداً ؟ قال : نعم رأيت رجلاً ، فقال ﷺ : ذاك جبريل لم يره خلق إلاّ عمي إلاّ أن يكون نبياً ، ولكن أسأل الله أن يجعل ذلك في آخر عمرك ، ثم قال : اللهم فقِّهه في الدين وعلمه التأويل واجعله من أهل الايمان» .

حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا عبد الوارث ، أخبرنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال : ضمّني رسول الله ﷺ وقال : «اللهمّ علمه الحكمة» .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن عمرو بن دينار ، أن كريباًأخبره عن ابن عباس قال : «دعا لي رسول الله ﷺ أن يزيدني الله علماً وفهماً» .

حدثني محمد بن حاتم المَرْوزي ، حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن اسماعيل بن مسلم المكي عن عمرو بن دينار عن طاووس عن ابن عباس قال : دعاني رسول الله ﷺ فمسح ناصيتي وقال : «اللهم علمه الحكمة وتأويلَ الكتاب» .

حدثنا سريج بن يونس أبو الحارث ، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله : ﴿ما يعلمهم الآّ قليل﴾[1] قال : أنا من أولئك القليل .

حدثنا وهب بن بقية عن يزيد بن هارون عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس بمثله .

حدثني الحسين بن علي بن الاسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا عبد الله بن ادريس الأودي عن ليث عن طاووس قال : أدركتُ سبعين شيخاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا تدارؤوا في شيء أتوا ابن عباس حتى يبيّنه لهم ويقررهم به فينتهون إلى قوله .

١ ـ سورة الكهف ـ الآية : ٢٢ .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، أخبرنا عبد الله بن ادريس عن ليث عن طاووس قال : ادركت سبعين شيخاً من أصحاب محمد فتركتُهم وانقطعتُ إلى هذا الفتى ، يعني ابن عباس ، فاستغنيتُ به .

وحدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن طاووس قال : ما رأيت رجلاً قط أعلم من ابن عباس .

وحدثني عبد الله بن صالح عن يحيى بن يمان عن سفيان عن مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن طاووس أنه قال : ما رأيت رجلاً خالفَ ابنَ عباس قط فتركه ابن عباس حتى يقرره بما قال .

حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدي والحسين بن علي بن الأسود قالا : حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا قيس بن الربيع عن الاعمش عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال : نعمَ ترجمانُ القرآن ابن عباس .

وحدثني محمد بن حاتم بن ميمون المَرْوزي ، حدثنا عبد الله بن نميرعن مالك بن مغول عن سلمة بن كهيل عن ابن مسعود بمثله .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا شَريك بن عبد الله عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق أنه قال : كنتَ إذا رأيت ابن عباس قلتَ أجمل الناس ، فاذا تكلم قلتَ أفصح الناس ، فاذا حدَّث قلت أعلم الناس .

حدثني الحسن بن عرفة عن عمار بن محمد عن خشيش بن فرقد عن الحسن عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : يا غلام - أو يا غُليم - الا أعلمك شيئاً ينفعك الله به ، احفظ الله يحفظك ، اذكر الله يذكرك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا

استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم ان النصر مع اليقين ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يُسراً ، وانه لو اجتمع الخلائقُ على ان يعطوك شيئاً لم يقضه الله لك لم يستطيعوا ، ولو اجتمعوا على أن يمنعوك شيئاً قضاه الله لم يستطيعوا .

حدثنا الحسين بن علي الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : ما رأيت أحداً كان أعلمَ بالسنّة ، ولا أجلد رأياً ، ولا أثقب نظراً من ابن عباس ، وان كان عمر بن الخطاب ليقولُ له : إنه قد طرأتْ علينا عُضَلُ أقْضَيةٍ أنتَ لها ولأمثالها ، فإذا قال فيها رضيَ قولَه ، وعُمَرُ ما عُمَرُ في نظره للمسلمين وجِدّهِ في ذات الله .

حدثنا عمرو الناقد وعلي بن عبد الله قالا : ثنا سفيان بن عيينةَ ، أخبرناابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ما سمعت فُتْيا أحسن من فتيا ابن عباس إلا أن يقولَ : قال رسول الله .

حدثني نصر بن علي الجهْضمي ، حدثنا أبو داود الطيالسي عن شعبة عن منصور عن مجاهد قال : كنتَ إذا رأيتَ ابن عباس يفسّر القرآن أبصرتَ على وجهه نوراً .

حدثنا عبد الأعلى بن حماد النّرسي أبو يحيى ، حدثنا عبد الجبار بن الورد عن عطاء بن أبي رباح قال : ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ، لا أعظم جفنة ولا أكثر علماً ، أصحاب القرآن في ناحية ، وأصحاب الفقه في ناحية ، وأصحاب الشعر في ناحية ، يوردهم في وادٍ رحب .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن سعيد بن سالم القداح عن عبد الجبار بن الورد عن عطاء بمثله ، وزاد فيه : وأصحاب الانساب وأيام العرب في ناحية .

حدثنا محمد بن الصبّاح البزاز ، حدثنا هشيم بن بشير عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : جمعت المُحكَم على عهد رسول الله ﷺ ، قلت : وما المحكم ؟ قال : المفصّل .

حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد عن سعيد بن جبير ويوسف بن مهران عن ابن عباس أنه كان يُسأل عن القرآن فيقول : هو كذا ، أما سمعتم الشاعر يقول كذا ؟

حدثنا محمد بن الصباح وعمرو الناقد قالا : حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم ، فذكر أنه سأله وسألهم فأجابه ، فقال لهم : كيف تلومونني على ابن عباس بعد ما ترون ؟

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن الفضيل عن أبيه عن عطاء بن يسار ، أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس مع أهل بدر ، وكان يفتي في عهد عثمان إلى أن مات .

حدثنا علي بن عبد الله المديني ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : كان ابن عباس اذا سُئل عن الأمر فكان في القرآن أخبر به ، فان لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به ، فان لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به ، فإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد رأيه .

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني ، حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال : قيل لابن عباس : بمَ أصبت هذا العلم ؟ فقال : بلسان سؤولٍ وقلب عقول .

وحدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبد الله بن صالح المصري عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، أن ابن عباس قال : سلوني عن التفسير فإن ربي وهب لي لساناً سؤولاً ، وقلباً عقولاً .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الخريت عن عكرمة قال : كان ابن عباس أعلم بالقرآن من علي بن أبي طالب ، وكان علي أعلم بالمبهمات منه .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، أخبرنا الاعمش عن مجاهد قال : كان عبد الله بن عباس يسمَّى البحر لكثرة علمه .

حدثني أبو صالح الفرّاء الأنطاكي ، حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء أنه كان يقول : قال البحر كذا ، وأفتى البحر بكذا ، يعني ابن عباس .

حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون المروزي وعمرو بن محمد قالا : حدثنا اسحاق بن يوسفَ الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال : وَجِدَ ناسٌ من المهاجرين على عمر بن الخطاب في إدنائه ابن عباس دونهم ، فقال عمر : اما إني سأريكم اليومَ منه ما تعرفون به فضلَه ، فسألهم عن هذه السورة ﴿اذا جاء نصرُ الله والفتح﴾ فقال بعضهم : أمر الله نبيه اذا رأى الناس يدخلون في دين الله افواجاً أن يحمده على ذلك

ويستغفره ، فقال عمر : يا بن عباس تكلم ، فقال: أعلمه أنه ميت ، يقول: ﴿اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً﴾[١] فهي آيتك في الموت ، ثم سألهم عن ليلة القدر فأكثروا القولَ فيها ، فقال بعضهم : ليلة احدى وعشرين ، وقال بعضهم : ليلة ثلاث وعشرين ، وقال بعضهم : ليلة سبع وعشرين ، فقال لابن عباس : تكلم ، فقال ابن عباس : إن الله وتر يحبّ الوتر ، خلق السموات سبعاً والأرضين سبعاً ، وجعل عدة الأيام سبعة ، وجعل الانسان من سبع ، فقال: ﴿ولقد خلقنا الانسانَ من سُلالةٍ من طين * ثم جعلناه نُطفةً في قرار مكين * ثم خلقنا النّطفَةَ علقةً فخلقنا العلقة مضغَةً فخلقنا المُضغَةَ عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخرَ فتباركَ الله أحسنُ الخالقين﴾[٢] ثم جعل رزق الانسان من سبع فقال ﴿أنّا صببنا الماء صَبّاً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غُلباً * وفاكهةً وأبّاً * متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[٣] فاما السبعة فمتاع لبني آدم ، وأمّا الأبّ فهو ما تنبت الأرض للانعام ، وما نراها إن شاء الله إلا لثلاث وعشرين تمضي ولسبع يبقين ، فقال عمر : كيف تلومونني على ابن عباس ؟ .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة بن الحكم عن أبيه قال : قيل لعبد الله بن عباس : أرَجُل كثير الذنوب كثير الحسنات أحب إليك أم رجل قليل الذنوب قليل الحسنات ؟ فقال : ما أعدل بالسلامة شيئاً .

---

١ ـ سورة النصر ـ الآيتان : ١ ـ ٢ .
٢ ـ سورة المؤمنون ـ الآيات : ١٢ ـ ١٤ .
٣ ـ سورة عبس ـ الآيات : ٢٥ ـ ٣٢ .

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء ، حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن قال : أول من عَرَّف[1] بالبصرة ابن عباس ، وكان كثير العلم ، قرأ سورة البقرة ففسّرها آيةً آيةً وحرفاً حرفاً .

حدثنا وهب بن بقيّة عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس قال : وجدتُ عامّة حديث رسول الله ﷺ عند الانصار ، فان كنتُ لآتي الرجل منهم فأجده نائماً ولو أشاء أن يوقَظ لي أوقظ ، فأجلس على بابه تسفي الريح على وجهي الترابَ حتى يستيقظ متى استيقظ ، فأسأله عمّا أريد ثم أنصرف .

حدثني أبو مسعود القتّات ، حدثني بقيّة بن الوليد الحمصي عن سليمان الأنصاري ، أن ابن عباس كان يقول : من حلم ساد ومن تفهّم ازداد .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا اسماعيل بن عُليَّة عن ابن عون عن عكرمة أن علياً أحرق ناساً ارتدوا عن الاسلام ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : ما كنت لأحرقهم لأن رسول الله ﷺ قال : «لا تعذبوا بعذاب الله» ، ولكني كنتُ أقتلهم فإن رسول الله ﷺ قال : «من بدّل دينه منكم فاقتلوه» ، فبلغ ذلك علياً فقال : لله درّ ابن عباس .

حدثنا يحيى بن أيوب الزاهد ، حدثنا اسماعيل بن عُليّة عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن ابن عباس انه نُعيَ اليه أخوهُ قُثَم وهو في سفر ، فاسترجَعَ ثم عَدلَ عن الطريق فأناخ راحلته وصلى ركعتين أطال فيهما ، ثم عاد إلى راحلته فركبها ، فقيل له : ما رأينا كما فعلت ، فقال :

---

١ - أي اختار العرفاء لمجموعات قبائل البصرة .

أما سمعتم الله يقول : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾[١] .

حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني يحيى بن يمان عن سفيان الثوري عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس ، أن معاوية قال له : أنت على ملّة علي ؟ فقال : لا ولا على ملة عثمان ، ولكني على ملّة محمد رسول الله ﷺ .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، أن علياً قال في قوله : ﴿والعاديات ضبحاً﴾[٢] هُنّ الإبل ، وقال ابن عباس : هي الخيل ، فبلغ ذلك علياً فقال : صدق والله ابن عباس .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدّورقي ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث قال : كان رسول الله ﷺ يصفّ عبد الله وعبيد الله وكثيراً بني العباس ويقول : «من سبق إليّ فله كذا ، فيستبقون إليه ويقعون على صدره وظهره فيقبّلهم ويلتزمهم» .

حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن ابن الدَراوردي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لم يبايع رسول الله ﷺ ممن لم يبلغ الامناء إلا عبد الله بن العباس والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدّورقي ، حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الرحمن بن عابس قال : قلت لابن عباس:أشهدتَ العيد مع رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ولولا مكاني منه ما شهدته

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٤٥ .

٢ ـ سورة العاديات ـ الآية : ١٠٠ .

حدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان عن سلمة بن كُهيل عن الحسن العُرَني عن ابن عباس قال : قدمنا ونحن أُغيْلمة من بني عبد المطلب على حُمُراتنا ليلةَ المُزدَلفة فجعل النبي ﷺ يلطح[1] على أفخاذنا ويقول : «لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس» .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، حدثنا جرير بن عبد الحميد عن ليث عن طاووس قال : ما رأيت ابن عباس مفطراً جمعة تامة قط .

حدثني القاسم بن سلام أبو عبيد ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا نوح بن أبي مريم عن يزيد النحوي عن عكرمة قال : كان ابن عباس في العلم بحراً ، فلما عمي أتاهُ ناس من أهل الطائف معهم علمٌ من علمه ، أو قال:كتب من كتبه ، فجعلوا يستقرئونه وجعل يقدم ويؤخر ، فلما رأى ذلك قال : إني قد بلهتُ من مصيبتي هذه ، فمن كان علم من علمي شيئاً فليقرأه عليّ فانّ إقراري له به كقراءتي إياه عليه ، قال : فقرأوا عليه .

حدثني أبو بكر الأعين ، حدثنا اسحاق بن اسماعيل ، حدثنا سفيان عن نافع عن ابن أبي مُليكة قال : كان ابن عباس يجلس في الصُفّة وكان الناس يتصدعون عن فُتياه ، فيقول السقاة : كأنّه رسول الله ﷺ إلا أنه لم يُبعث .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا ابن يمان العجلي عن عمار بن رُزَيق عن عُمير بن بشر الخثعمي قال ، قال ابنُ عمر : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل على محمد ﷺ .

---

١ ـ لطحه : ضرب ببطن الكف ، أو ضربا لينا على الظهر . القاموس .

حدثني الزبير بن بكار ، حدثني ساعدة بن عبد الله عن داود عن ابن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال عمر لابن عباس : أني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح رأسك وتفل في فيك وقال : «اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل» ، فكان يُقِرُّ بِهِ .

حدثني عبد الله بن صالح وعمرو قالا : حدثنا يحيى بن يمان عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال : قال عمر بن الخطاب لابن عباس : لقد علمتَ علماً ما علمناه .

حدثنا الاعين ، حدثنا اسحاق بن اسماعيل عن سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال : لقد كان ابن عباس من الاسلام بمكان ، ومن علم القرآن بمنزلة رفيعة ، وكان عمر إذا ذكره قال : ذاكم كهلُ الفتيان .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا اسماعيل بن عُليّة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بن دعامة قال : كان ابن عباس منطقياً .

حدثنا سريج بن يونس : حدثنا مروان بن شجاع ، حدثنا سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : لقيني رجل من يهود الحيرة فقال : يا عبد الله أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قلتُ : لا أدري ، ثم لقيت ابن عباس بعدُ فسألتهُ فقال : قضى أكبرِهما وأتمهما ، فلقيت اليهوديّ فأعلمته ذلك فقال : صاحبك والله عالم .

حدثني عمرو بن محمد ، حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش ، حدثنا شقيق بن سلمة قال : شهدتُ ابنَ عباس وهو على الموسم فخطب ثم تلا سورةَ النور وفسّرها ، فقال رجل : ما رأيت كلاماً أحسن من هذا ، لو سمعه الترك والروم لأسلموا .

حدثني يحيى بن معين ، حدثنا يزيد بن هارون عن كهمس عن الحسن عن عبد الله بن بُريدة قال : أسْمَعَ رجلٌ ابنَ عباس كلاماً فقال له ابن عباس : اما انك تسمعني وفيّ ثلاث خلال : إني لأسمعُ بالحاكم العدل من حكام المسلمين فأفرحُ به ولعلّي لا أقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع بالغيث يصيب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح له وما لي بالبلد سائمة ، وإني لآتي على الآية من كتاب الله فأودّ أن الناس جميعاً يعلمون منها ما أعلم .

حدثنا عباس بن الوليد ورَوْح بن عبد المؤمن قالا : حدثنا المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم عن أبي رجاء العُطاردي قال : رأيت هذا المكان من ابن عباس مثل الشِّراك البالي من الدموع ، ووضع أبو رجاء يده عليه ، قال عباس : ووضع معتمر يده على مجرى الدموع .

حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا هُشيم عن العّوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي قال : خلا عمر بن الخطاب يوماً ففكر كيف تختلف الامة ونبيها واحد وقِبلتها واحدة وكتابها واحد ، فدعا ابنَ عباس فسأله عن ذلك فقال ابن عباس : أنزل القرآن علينا فقرأناه وعلمنا فيما نزل ، وسيكون بعدنا أقوام يقرأونه ولا يدرون فيما نزل فيكون لهم فيه رأي ، فإذا كان ذلك اختلفوا ، فزبره عمر ، ثم إنه أرسل إليه فقال : أعِدْ عليَّ قولك ، فأعاده فعرف عمر صوابه وأعجبه .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدّورقي وشجاع بن مخلد الفلاّس قالا : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام بن حوشب ، حدثني القاسم بن عوف الشيباني ، أن عبد الله بن عباس قال لكعب الأحبار : إني سائلكَ عن

أشياء ، فلا تحدثني بما حُرِّفَ من الكتاب ولا بأحاديث الرجال ، وإن لم تعلم فقُل لا أعلم فإنه أعلم لك .

حدثنا سريج بن يونس والقاسم بن سلام قالا : حدثنا محمد بن يزيد الواسطي ، حدثنا أبو ثوبان عمن سَمِعَ الضحاكَ يحدث عن ابن عباس انه قال : قال لي رسول الله ﷺ : «حدِّثْ اذا حُدّثت ، إلّا ان تجد قوماً تحدثهم بشيء لا تضبطه عقولهم فيكون ذلك فتنة لبعضهم» ؛ قال : فكان ابن عباس يُخفي أشياء ويفشيها إلى أهل العلم .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، حدثنا مُعتمر بن سليمان عن أبي عامر الخَزاز عن عبد الله بن أبي مليكة قال : سافرت مع ابن عباس فكان يسيرُ النهار وينزل الليل ، فيقوم فيصلي في نصف الليل ، يقرأ القرآن ، فيكثر ان يقرأ ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾[1] ثم يبكي حتى نسمع له نشيجاً .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا ابو نُعيم الفضل بن دُكين عن طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس انه قال : لو أُخبرُ الناسَ ببعض تأويل القرآن لرجموني بالحجارة .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا الحجاج بن محمد ، حدثني ابن جريج قال : قال لي ابن أبي مليكة جاء ابنَ الزبير مالٌ أوّلَ ما جاءه ، فانطلق ابنُ عباس إليه وهو في قُعَيْقِعان[2] فقال : انك قد دعوت الناسَ الى ما قد علمت ، وقد جاءك مال وبالناس حاجة ، فقال

١ ـ سورة ق ـ الآية : ٢١ .

٢ ـ جبل بمكة منه إلى مكة اثنا عشر ميلا . معجم البلدان .

ابن الزبير : وما أنت وهذا ؟ إنك أعمى ، أعمى الله قلبك ، قال ابن عباس : بل أعمى الله قلبك ، قال ابن الزبير : والله ما أنت بفقيه ، فقال ابن عباس : والله لأنا أفقهُ منك ومن أبيك ، فلما خرج قال لقائده : من عنده ؟ قال : ابنته وامرأته ، قال : فهلا أخبرتني ، فوالله لو علمتُ ما أسمعتهما شتمه ؛ قال : ثم أرسل اليه ابن الزبير أبا قيس الزرقي بأنّا لسنا باوّل ابنَيْ عمٍّ استبّا ، فاكففْ عني وأكفّ عنك ، قال ابن عباس : ان كفَّ كففت ، وإن أذاع أذعتُ .

قال ابن جريج : قال ابن أبي مُلكية : وكان بينهما شيء ، فغدوتُ على ابن عباس فقلتُ : أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتُحِل حرم الله ؟ فقال : معاذ الله ، إن الله كتب بني أمية وابن الزبير محلّين ، وإني والله لا أحلّه أبداً ، قال الناس :بايعْ لابن الزبير ، فقلتُ : وأنَّى بهذا الأمر عنه ، أما أبـوه فحواريّ رسول الله ﷺ ، وأما جدّه فصاحب الغار ، يعني أبا بكر ، وأما أمـه فذات النطاق ، وأما خالته فعائشة أم المؤمنين ، وأما عمته فخديجة زوج النبي ﷺ ، وأما عمّةُ رسول الله ﷺ صفية فجدته ، ثم عفيفٌ في الاسلام قارىء للقرآن ، والله لأحاسبنّ نفسي له محاسبةً ما حاسبتها لأبي بكر ولا عمر ؛ ان ابن أبي العاص برز يمشي القدميّة ـ يعني عبد الملك ـ وإنه لوى ذنبه ، يعني ابن الزبير .

المدائني عن ابن مجالد عن أبيه عن الشعبي ، أن ابن الزبير قال لابن عباس : قاتلتَ أم المؤمنين وحواريّ رسول الله ، وأفتيت بتزويج المتعة ، فقال : أما أم المؤمنين فأنت أخرجَتها وأبوك ، وبنا سميت أم المؤمنين وكُنّا لها خير بنينَ ، فتجاوز الله عنها ، وقاتلتَ أنت وأبوك عليّاً ، فإن كان علي مؤمناً

فقد ضللتم بقتال المؤمنين ، وإن كان كافراً فقد بؤتم بسخطٍ من الله لفراركم من الزحف ، وأما المتعة فقد بلغني أن رسول الله ﷺ رخّص فيها ، وأن أول مجمر سطع في المتعة لمجمر في آل الزبير .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده ، وعن أبي مخنف وعوانة قالوا : قال عبد الله بن الزبير يوماً وهو على منبر مكة وابن عباس حاضر : إن هاهنا رجلاً أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أن متعة النساء حلال من الله ورسوله ، يُفتي في القملة والنملة وقد حمل ما في بيت مال البصرة وترك أهلها يرضخون[1] النوى ، وكيف يُلام على ذلك وقد قاتل أمَّ المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ ومن وقاهُ بيده ، يعني طلحة ، فقال ابن عباس لقائده - يقال انه سعيد بن جبير مولى بني أسد بن خزيمة - : استقبلْ بي ابنَ الزبير ، ثم حَسَرَ عن ذراعيه فقال : يا بن الزبير :

إنَّا إذا ما فئة نلقاها ... نردُّ أولاها على أُخراها
حتى يصير ضرعاً دعواها ... «قد أنصفَ القارة من راماها»[2]

يا بن الزبير : أما العمى فان الله يقول ﴿فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [3] ، واما فُتياي في القملة والنملة فان فيهما حكمين لا تعلمهما أنت ولا أصحابك ، وأما حمل مال البصرة فانه كان مالاً

---

١ - رضخ الحصى : كسرها ، والمرضاخ حجر يرضخ به النوى . القاموس .
٢ - هذا العجز مثل انظره في كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام - ط. دمشق - ١٩٨٠ ص ١٣٧ جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري - ط. القاهرة ١٩٦٤ ج ١ ص ٥٥ - ٥٦ .
٣ - سورة الحج - الآية : ٤٦ .

جبيناهُ ثم أعطينا كلّ ذي حق حقه ، وبقيتْ منه بقيةٌ هي دون حقنا في كتاب الله وسهامه فأخذناهُ بحقنا ، وأما المتعة فانّ أول مجمرٍ سطع في المتعة مجْمَرٌ في آل الزبير ، فسلْ أمك عن بُرْدَيْ عَوْسَجة[1] وأما قتال أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بكَ وبآبائك ، وانطلق أبوك وخالك - يعني طلحة - فعمدا إلى حجاب مَدَّهُ الله عليها فهتكاه عنها ثم اتخذاها فئةً يقاتلان دونها ، وصانا حلائلهما في بيوتهما ، فوالله ما أنصفا الله ولا محمداً في ذلك، وأما قتالنا إياكم فإن كُنا لقيناكم زحفاً ونحن كفار فقد كفرتم بفراركم من الزحف ، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا ، وأيم الله لولا مكانُ خديجة فينا وصفيّة فيكم ما تركتُ لك عظماً مهموزاً إلا كسرته .

فلما نزل ابن الزبير سأل أمه عن بُرْدي عوسجة فقالت : ألَم أَنهك عن ابن عباس وبني هاشم فانهم كُعُم الجواب إذا بُدهوا ، قال : بلى فعصيتُكِ ، قالت فاتّقِه فان عنده فضائحَ قريش ؛ فقال في ذلك أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي :

يا بنَ الزبير لقد لاقيتَ بائقةً ... من البوائقِ فالطف لطفَ مُحتال
لقيتَهُ هاشمياً طابَ مَغْرِسُهُ ... في منبتيه كريمَ العمّ والخال
ما زال يقرعُ منك العظمَ مقتدراً ... على الجواب بصوتٍ مُسمعٍ عال
حتى رأيتك مثلَ الكلب منجحراً ... خلف الغبيط[2] وكنتَ البادىء الغالي
ان ابن عباسٍ المحمول حكمته ... حبر الانام لهُ حالٌ من الحال

١ انظر العقد الفريد - ط . القاهرة ١٩٥٣ ج ٤ ص ٨٥ .
٢ - الغبط : القبضات المحصودة المصروفة من الزرع ، والمركب الذي هو مثل أكف البخاتي . القاموس .

عيّرتَهُ المتعـةَ المتبوعَ سُنّتُهـا وبالقتالِ وقد عَيَّرْتَ بالمال
لما رماك على رسلٍ بأسهُمِهِ جرى عليك كسوف الحال والبال
فاعلم بانك إن حاولت نقصته عادت عليكَ مخازٍ ذاتِ أذيال [١]

وقال حسان بن ثابت الانصاري في عبدالله بن العباس :

اذا قال لم يترك مقالاً لقائل بمنتظماتٍ لا ترى بينها فَصْلا
كفى وشفى مافي النفوس ولم يدع لذي إربةٍ في القولِ جدّا ولا هزلا
سموتَ إلى العليا بغير مشقةٍ فنلتَ ذَراها لا دنيّا ولا وغلا [٢]

ويقال انه قال هذا الشعر فيه لأنه كلم عاملاً في الأنصار ، وكلمه فيهم غيره ، فلم يبلغ أحدُ منهم مبلغه في الكلام حتى قضيت حاجتهم .

حدثني محمد بن حاتم الثغري عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن عطاء ، أن ابن عباس قال : المعروف أوثق الحصون وأرشد الأمور ، ولن يصلح المعروف الا بتعجيله وستره وتصغيره ، فانك اذا عجّلته هنّأته ، واذا سترته اتممته ، واذا صغرته عظّمته ، واذا مطلته نكدته ونغّصتَه [٣] .

حدثني رَوْح بن عبدالمؤمن ، حدثنا عبدالرحيم بن موسى ، حدثني أبو روح عُمارة بن أبي حفصة عن عبدالله بن بريدة عن كعب الأحبار ، أنه كان عند معاوية فقرأ معاوية : في عين حامية ، فقال كعب : (في عين حَمِئَة) [٤] ،

---

١ ـ ترجم صاحب الأغاني لابن خزيم في ج٢ ص ٣٠٧ ـ ٣١٦ . وانظر الأبيات في أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول ـ ط . بيروت ١٩٧١ ص ١١٢ ـ ١١٣ .
٢ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٣٣١ .
٣ ـ في هامش الأصل : آخر المجلد الثاني عشر من الأصل ، ولله كل حمد .
٤ ـ سورة الكهف ـ الآية : ٨٦ .

فلم يقبل منه وقال : عليَّ بابن عباس ، فلما جاء قال كيف تقرأونها ؟ فوافق كعباً ، فلم يرجع معاوية فغضب كعب ، فقال له ابن عباس : لا تغضبْ يا كعب فانك من الذين أوتوا الكتاب يؤمنُ به ومعاوية من الأحزاب يُنكر بعضه ، فقال معاوية : أمُشاتمي أنت يا بن عباس ! فقال : إن شئتَ ، قال : شئتُ ، فقال : لولا البيعةُ التي لك عندي ولولا السلطان لفعلتُ ، قال : فلا بيعة لي عليك ولا سلطان فَقُلْ ، قال : بل أُجلّكَ يا أميرَ المؤمنين واكرمك ، فسكن بعض غضبه ثم قام إلى الصلاة وقال : أطبق المصحف يا غلام فاني ما أرى الحرف إلا كما قالا .

حدثني اسحاق الفروي أبو موسى ، حدثنا زافر بن سليمان عن أبي عصام الخراساني قال : لما أنكر الخوارجُ على عليٍّ بن أبي طالب تحكيم الحكمين فانحازوا عنه ، خرج اليهم ابن عباس فقالوا له : مرحباً بك يا بن عباس ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأخبركم عن أصحاب محمد فليس فيكم رجل منهم ، فقال بعضهم لبعض : لا تخاصموه فان الله يقول : ﴿بل هم قوم خصمون﴾ [1] . فقال ابن عباس : أخبروني ما الذي نقمتم على ابن عم رسول الله علي ؟ قالوا : نقمنا عليه انّه حكم الرجال في دين الله ولا حُكْمَ إلّا لله ، وأنه قتل ولم يَسْبِ ، ومحا أميرَ المؤمنين وكتب اسمَه ، فقال ابن عباس : أمّا قولكم : حكَّم الرجال ، فان الله تبارك وتعالى حكّم الرجال في دينه في الشقاق بين الرجال والنساء وفي أرنب ثمنُها ربع درهم يصيبها المحرمُ فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيدَ وأنتم حُرُمٌ ومن قَتَلَهُ منكم

---

١ ـ سورة الزخرف ـ الآية : ٥٨ .

مُتعمّداً فجزاءٌ مثل ما قَتَلَ من النَّعم يحكمُ به ذوا عدل منكم﴾ [١] فالحكم في حقن الدماء وصلاح ذات البين أفضل ، قالوا : نعم ؛ قال : واما قولكم : قتلَ ولم يسبِ ، فأيّكم كان يأخذ عائشة أمَّ المؤمنين في سهمه وهي أمّكم ، فإن قلتم انها ليست بأمّنا فقد كفرتم ، وإن قلتم نأخذها ضللتم ؛ وأما قولكم : محا عليٌّ اسمَه ، فان رسول الله ﷺ وهو خيرٌ من علي وادَعَ قريشاً بالحديبية فكتَبَ : «هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله» ، فقالوا : لو أقررنا بأنك رسول الله لم نُخالفك ، فقال : «امحُ واكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله» ، قال فاتبعه ألفان وبقيت بقيتهم .

حدثنا عثمان بن محمد بن أبي شيبة ، أخبرنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : أُتيت في منامي فقيل لي هذه ليلة القدر ، فقمتُ وأنا ناعسٌ فتعلقتُ ببعض أطناب فسطاط رسول الله ﷺ فنظرت فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين .

حدثني أبو محمد الشامي المؤدب عن أبيه قُرّان بن تمام عن موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب قال : قال ابن عباس بعد أن أُصيبَ ببصره : ما آسى على شيء فاتني إلا أني لم أحجّ ماشياً لأني سمعتُ الله يقول ﴿وأذِّنْ في النَّاسِ بالحجّ يأتوك رِجالًا وعلى كلّ ضَامِرٍ﴾ [٢] .

حدثني الوليد بن صالح عن الفيّاض بن محمد عن عمرو بن عيسى انه بلغه عن وبرة بن عبدالرحمن المُسلي [٣] أنه قال : قال ابن عباس : إياك

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٩٥ .
٢ ـ سورة الحج ـ الآية : ٢٧ .
٣ ـ في هامش الأصل : من بني مسلية .

والكلام فيما يعنيك إذا كان في غير موضعه ، ولا تُمارِ سفيهاً ولا حليماً ، فان السفيه يؤذيك وإن الحليم يقليك ، واذكر أخاك في غيبته بما تحب أن يذكرك به ، ودعه مما تحبّ أن يدعك منه .

المدائني قال : قال ابن عباس لوبرة : دعِ الكلام فيما لا يعنيك فانه فضل ، ولا تتكلم فيما يعنيك إذا لم تصب موضعه فإنه جهل .

المدائني عن يحيى الأنصاري قال : قيل لابن عباس ان ابن الزبير يتنقَّصُكَ ، فقال ابن عباس : دِبّي حَجل ، لو ذاتُ سِوَارٍ لطمتني [1] ، أما والله اني لأعرف دَخلا ودُخيْلاً ، وما ساببتُ قرشياً قط إلا يحيى بن الحكم ، فاشتفى من لحمٍ سمين واشتفيتُ من مثله .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : عزَّى معاوية عبدالله بن عباس عن الحسن بن علي فقال : لا يسوءك الله ، فقال : لا يسوءني ما أبقى الله أمير المؤمنين . ثم ان يزيد ركب الى ابن عباس فجلس مجلس المعزّي ، فلما قام قال ابن عباس : ما تكادُ تعدمُ من الأموي عقلاً وكرماً .

حدثني الأعين عن روح بن عبادة عن الثوري عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال : الهَدْيُ الصالح والسمتُ الحسن والاقتصاد في الأمور جزءٌ من أجزاء النبوة .

حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، أخبرنا داود بن هند عن محمد بن أبي موسى عن ابن عباس ، أنه فقد غلاماً له فحلف بالله ليضربنه ، فلما جاء الغلامُ قال له : أين كنت ؟ قال : كنت في موضع كذا ،

---

١ - انظر الأمثال لأبي عبيد ص ٢٦٨ . جمهرة الأمثال للعسكري ص ١٩٣ .

فعفا عنه ولم يضربه ، فقيل : أولستَ قد حلفت ؟ قال : أوَ لم أعفُ عنه ، احداهما بالأخرى .

حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال : حُدِّثت أن ابن عباس لما كفَّ بصره قال أو تمثل :

مازال عمري على الأيام منتقصاً حتى فنيتُ وحبلُ الدهرِ ممدودُ
أُقَدِّمُ العودَ قدّامي وأتبعُه وكنت أمشي وما يمشي بيَ العودُ

حدثنا إسحاق بن أبي اسرائيل واسحاق الفروي قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، أخبرنا عمرو قال : لما وقع في عين ابن عباس الماءُ أراد أن يتعالج منه فقيل له : إنك تمكث كذا وكذا يوماً لا تصلي إلا مضطجعاً فكره ذلك .

حدثني اسحاق الفَرْوي عن العباس الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء عن عبدالله بن كثير الأنصاري ـ أحسبه عن مجاهد ـ قال : أتى ابن عباس عثمان بن عفان وعنده زيد بن ثابت فخرجا جميعاً ، فأراد زيد أن يركب فأخذ ابن عباس بركابه ، فامتعض زيد من ذلك وقال : ما هذا فداك أبي وأمي ! فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا ، فقبل زيد يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبيدالله بن موسى وزيد بن الحُباب العُكلي جميعاً قالا : حدثنا سفيان بن سعيد الثوري عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يبتاع الرداء بألف درهم .

حدثني أحمد بن إبراهيم أخبرنا معاوية عن أبي حيان التيمي عن حبيب بن أبي ثابت قال : رأيتُ على ابن عباس قميصاً سابرياً[١] يتبينّ إزاره من رقته .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن الكلبي عن أبي صالح ، قال : أنشد الأحوصُ بن محمد بن عبدالله الأنصاري ابنَ عباس :

الله بيني وبين قيّمها يفرُّ مني بها وأتّبعُهْ[٢]

فقال ابن عباس : بيني وبين قيّمها وبينك .

حدثني أبو مسعود الكوفي عمر بن عيسى قال : سمعتُ ابن كناسة يقول : لما قال عمر بن أبي ربيعة قصيدته التي أولها :

تشطّ غداً دارُ جيراننا

أنشدها ابنَ عباس ، فلما قال عمر : «تشطّ غداً دارُ جيراننا» ، قال ابن عباس :

وللدار بعدَ غدٍ أبعدُ[٣]

فقال : كذا والله قلتُ ، جُعلتُ فداكَ ، فقال ابن عباس : الكلام مُشترك . فلما أنشد :

تحمّلَ للبين جيرانُنا

---

١ - السابري نوع من الثياب . اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير .
٢ - شعر الأحوص الأنصاري - ط . القاهرة ١٩٩٠ ص ١٧٩ وفيه «وأتبع» .
٣ - شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة - ط. بيروت ١٩٨٣ ص ٣٠٨ .

قال ابن عباس :

وقـد كان قُـرْبهُمُ يُحْمَـدُ[1]

فقال عمر : كذا والله قلتُ ، وقبَّل يده .

حدثني عبدالله بن صالح العجلي قال : قال أبو بكر بن عياش : بلغني أنّ ابن عباس كان يقول : إن لكلّ داخل دهشة فآنِسوه بالتحية .

حدثني أبو إسحاق الفروي عن عبدالله بن نمير عن خالد بن طهمان عن حصين قال : كان ابن عباس جالساً فجاءه سائل فسأله ، فقال : ألستَ مُسْلماً تصلي وتصوم ؟ فقال : نعم ، فقال : إن مواساتك لواجبة ، ونزع ثوبه فألقاه عليه .

حدثنا محمد بن مُصَفّى الحمصي ، حدثنا أبو الفضل التميمي ، حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي الطفيل قال : حج معاوية فوافق ابنَ عباس ، فرآه يستلم الأركان كلها ، فقال معاوية : إنما استلم رسول الله ﷺ الركنين ، فقال ابن عباس : إنه ليس من أركانه شيء مهجور .

حدثني مظفر بن مُرَجّى ، حدثنا أبو ربيعة عن أبي عوانة عن الأعمش عن الضحّاك عن ابن عباس قال : منّا المهدي ، والمنصور ، والسفاح .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي صالح قال : كنت أنا وعكرمة عند ابن عباس وليس عنده أحدٌ غيرنا ، فأقبل الحسن والحسين ابنا علي فسلّما عليه ثم ذهبا ، فقال : ان هذين يزعمان أن المهدي من ولدهما ، ألا وإن : السفاح ، والمنصور ، والمهدي من وَلدي .

---

١ - ليس في ديوانه المطبوع .

حدثني علي بن عبدالله المديني ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي معبد قال : سمعتُ ابن عباس يقول : إني لأرجو أن لا تذهب الأيام والليالي حتى يكونَ منا أهل البيت من يقيمُ أمرها : شابٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لم يلبس الفتن ولم تلبسه ، وأرجو أن يُختم هذا الأمر بنا كما فُتح بنا ؛ قال:فقلت : عجز عنه شيوخكم وترجونه لشبابكم ! قال : يفعل الله ما يشاء .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مالك عن وهب بن كيسان عن محمد بن عمرو عن عطاء ، انه سمع ابن عباس يقول : انتهى السلام إلى البركات .

حدثني الحسن بن علي الحرمازي عن العُتبي عن أبيه أنّ رجلاً قال لعبدالله بن عباس : بماذا عرفتَ ربك ؟ فقال عبدُالله : ويلك من طلب الدين بالقياس ، لم يزل الدهرَ في التباس ، مائلاً عن المنهاج ، طاعناً في الاعوجاج ، أعرفه بما عرّف به نفسه من غير رؤية ، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة ، لا يُدرَكْ بالحواس ، ولا يقاسُ بالناس ، حيٌّ في ديمومته ، لا يجور في أقضيته ، يعلم ما هم عاملون وما هم إليه صائرون ، فتبارك الذي سبق كلَّ شيء علمُه ، ونفذت في كل شيء مشيئته .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف قال : لما نزل ابنُ عباس الطائفَ حين نافره ابن الزبير كان صلحاءُ الطائف يجتمعون إليه ، ويأتيه أبناءُ السبيل يسألونه ويستفتونه ، فكان يتكلم في كلّ يوم بكلام لا يدعه وهو : الحمد لله الذي هدانا للاسلام ، وعلّمنا القرآن ، وأكرمنا بمحمد عليه السلام ، فانتاشنا به من الهلكة ، وأنقذنا من الضلالة ، فأفضلُ الأئمة

أحسنُها لسنّته اتباعاً ، وأعلمها بما في كتابه احتساباً ، وقد عمل بكتاب الله ربكم وسنة نبيكم قومٌ صالحون على الله جزاؤهم ، وهلكوا فلم يدعوا بعدهم مثلهم ولا موازياً لهم ، وبقي قوم يريغون الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون جلود الضأن لتحسبوهم من الزاهدين ، يرضونكم بظاهرهم ويسخطون الله بسرائرهم ، إذا عاهدوا لم يُوفوا وإذا حكموا لم يعدلوا ، يرون الغدر حزماً ، ونقض العهد مكيدة ، ويمنعون الحقوق أهلها ، فنسأل الله أن يهلك شرارَ هذه الأمّة ، ويولّي أمورها خيارها وأبرارها .

فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب اليه : بلغني انك تجلس العصرين فتفتي بالجهل ، وتعيبُ أهلَ البر والفضل ، واظن حلمي عنك واستدامتي إياك جرّأك عليّ ، فاكفف عني من غَرْبِك ، واربعْ على ظلعك ، وَأرْعِ على نفسك .

فكتب اليه ابن عباس : فهمتُ كتابك ، وانما يُفتي بالجهل من لم يؤت من العلم شيئاً ، وقد آتاني الله منهُ ما لم يؤته أباك ، وزعمتَ أن حلمك عني جرّأني عليك فهذه «أحاديثُ الضَّبعِ آسْتَها»[1] ، فمتى كنت لعرامك هائباً وعن حدّكَ ناكلاً ؟! ثم تقول : إني ان لم أنتهِ وجدتُ جانبك خشناً ، ووجدتك إلى مكروهي عجلاً ، فما أكثر ما طرتَ إليَّ بشُقّةٍ من الجهل ، وتعمدتني بفاقرة من المكروه ، فلم تضررْ إلّا نفسك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت ، ولا أرعى عليك إن أرعيت ، فوالله لا انتهيت عن ارضاء الله باسخاطِك .

---

١ ـ يقال في ذم التمني والطمع الكاذب . جمهرة العسكري ج ١ ص ٢٧٤ .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثني عمرو بن عثمان عن عبد الرحمن بن السائب عن ابن عباس أنه قال : أكرم الناسِ عليّ جليسي ، إن الذبابَ ليقع عليه فيشقُّ ذلك عليَّ .

حدثنا شريح ، حدثنا علي بن ثابت عن عبد الله بن المؤمل عن عبد الله بن أبي ملكية عن ابن عباس أنه قال : أكرمُ الناس عليَّ جليسي ، أو قال : رجل تخطّى رقاب الناس حتى جلس إليّ .

المدائني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : قال ابن عباس : لجليسي عندي ثلاث : اذا أقبل رحّبتُ به ، واذا قعد أوسعتُ له ، واذا تحدّث أنصتُّ لحديثه واستمعت منه .

حدثني سعيد بن الربيع الضبّي ، حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة قال : قال عبد الله بن عباس : ثلاثة لا اقدر على مكافأتهم : رجل جئت ظمْآن فسقاني ، ورجل ضاق بي مجلسي فأوسع لي ، ورجل اغبَرَّتْ قدماه في الاختلاف إلى بابي ؛ ورابع هو أعظمهم حقاً عليّ : رجلٌ بات ساهراً يعرض الناس على نفسه فأصبح لا يجدُ لهُ في حاجته معتمداً سواي .

حدثني اسحاَق الفروي عن المعافى بن عمران الموصلي ، حدثنا أبو العوام عن عطاء قال : كنّا نأتي ابن عباس فيؤتى بغدائه فأقول : إني صائم ، فما يزال يقسم عليَّ حتى أدنو فاتغدَّى معه .

حدثني مصعب بن عبد الله عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن القاسم بن محمد قال : ما رأيتُ في مجلس ابن عباس باطلاً قط .

حدثني الزبير بن بكار الزبيري ، حدثني محمد بن عيسى بن كثير الأنصاري عن فليح بن اسماعيل عن عبد الملك بن صالح بن علي عن أخيه سليمان بن علي عن عكرمة قال : إنّا لمع ابنِ عباس يومَ عرفة إذا فتيةٌ يحملون فتى معروقَ الوجه ناحل البدن ، فوضعوه بين يدي ابن عباس وقالوا : استشفِ له يا بن عم رسول الله ، فقال : ما به ؟ فأنشده الفتى :

بنا من جوى الأَحزان والوجد لوعةٌ   تكاد لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ
ولكنما أبقى حشاشةَ مُعْوِلٍ   على ما به عُودٌ هناك صليبُ

ثم حملوه فخفتَ في أيديهم فقال ابن عباس : هذا قتيلُ الحب لا عَقْلَ ولا قوَد ؛ وما رأيته سأل الله إلّا العافية مما أصاب ذلك الرجل حتى أمسى[1] .

حدثني أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن النضر بن إسحاق عن أبي المليح قال ، قال معاوية : ما باحثُّ[2] أحداً في عقله أشدّ عليّ من ابن عباس .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال : كتب ابنُ عباس إلى الحسن بن علي : إن المسلمين قد ولّوك أمورهم بعد عليّ ، فشمّر لحربك وجاهد عدوّك ، ودارِ أصحابَك ، واشترِ من الظنين دينه ، ولا تسلم دينك ، ووالِ أهل البيوتات والشرف تستصلح عشائرهم، واعلم أنك تحارب من حادَّ الله ورسوله ، فلا تخرجنَّ من حقٍّ أنت أولى به ، وإن حال الموتُ دون ما تحب .

---

١ ـ الفتى هو عروة بن حزام ترجم له صاحب الأغاني ج ٢٤ ص ١٤٥ ـ ١٦٦ ، وورد الخبر في الصفحة الأخيرة من الترجمة .
٢ ـ في هامش الأصل : أي ما خاصمت .

حدثني عباس عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال : قال ابنُ عباس : من التمس الدين بالمخاصمة حيّرته المنازعة ، ولن يميل إلى المغالبة إلا من أعياه سلطان الحجة .

حدثني عمر بن حماد عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، أن العباس قال لعبد الله : أنت اعلمُ مني ولكني أشد تجربة للأمور منك ، وان هذا الرجل - يعني عمر - قد قرّبك وقدّمك فلا تُفشِ له سراً ، ولا تغتب عنده مسلماً ، ولا تبتدئهُ بشيء حتى يسألك عنه .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عباس الهمداني عن أبيه قال : كانت عند ابن عباس يتيمة فخطبها إليه رجل فقال : إني لا أرضاها لك ، قال : وكيف وقد نشأت في حجرك وعندك ! قال : إن فيها بذاءً وهي تتشرّف ، فقال لا أبالي ، فقال ابن عباس : فانّي إذاً لا أرضاك لها .

وقال الهيثم : أخبرني عوانة عن شيخ من أهل المدينة أنّ رجلاً شكا إلى ابن عباس زوج ابنته فقال ابن عباس : ألم أقل لك إن من زَوَّجَ ابنته من سفيه فقد عَقَّها ؟

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس قال : ما رأيت رجلاً أوليتُه معروفاً إلا أضاء ما بيني وبينه ، ولا رأيت رجلاً فرط مني إليه سوء إلا اظلم ما بيني وبينه .

حدثني ابو عمر العمري عن هشام بن الكلبي عن المساحق عن أبيه ، أن ابن عباس كان يقول : إذا تَرَكَ العالم قول لا أدري أصيبت مقاتِلُه .

وحُدّثت عن اسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه قال : سأل ابن عباس بعض أصحابه عن شيء فقال : لا أدري ، فقال ابن عباس : أحسنت ، كان يُقال : إنّ قولَ لا أدري نصفُ العلم .

وقال ابن الكلبي : كان ابن عباس يقول : اسمح يُسْمَحْ لك .

حدثني هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله ﷺ : اسمح يُسمح لك .

وذُكر لي أن ابن عباس كان يُعشّي الناس بالبصرة في شهر رمضان ويحدثهم ويفقههم ، فاذا كانت آخر ليلة من الشهر ودّعهم ثم قال : ملاك أُمركم الدين ووصلتكم الوفاء وزينتكم العلم ، وسلامتكم في الحلم ، وطَوْلكم المعروف ، إن الله كلفكم الوسع فاتقوه ما استطعتم .

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقول : عالم واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد ؛ غير مرفوع .

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن روح بن أبي جناح أبي سعيد عن مجاهد أنه سمع ابن عباس يقول : قال رسول الله ﷺ : «عالم واحد اشد على الشيطان من ألف عابد» .

المدائني عن مسلمة قال : دخل زياد على معاوية وعنده ابنُ عباس ، فلم يسلّم زياد عليه ، فقال له ابن عباس : ما هذا الهجران يا أبا المغيرة ؟ فقال : ما هاهنا بحمد الله سوء ولا هجران ، ولكنه مجلس لا يقضى فيه إلا حقّ أمير المؤمنين وحده .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة عن ابن شهاب قال : وفد أبو أيوب الأنصاري على معاوية فقضى حوائجه ثم قال له أبو

أيوب : يا أمير المؤمنين لي مال ولا غلمان فيه يقومون به ، فأعطني مالا أشتري به غلماناً ، فقال : ألم اعطك لـوفادتك وأقضِ حوائجك في خاصتك وعامتك ؟ قال : بلى ، قال : فما لك عندي شيء سوى ذلك ، فقال أبو أيوب : ألا تفعل يا معاوية ، فإن رسول الله ﷺ قال لنا : «إنكم ستلقون بعدي أثرة يا معاشرَ الأنصار فاصبروا حتى تلقوني» ، قال : فاصبر يا أبا أيوب ، قال : أقُلْتَها يا معاوية ؟ والله لا اسألك بعدها شيئاً أبداً ، وبلغ ابنَ عباس قولُ معاوية ، وهو يومئذ وافد عليه وقد تيسّر للخروج ، فأعطى أبا أيوب قيمة مائة مملوك وأعطاه جميع ما كان في داره ثم شخص .

قالوا : ولما أخرج عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية عن مكة أغلظ لهُ ابن عباس وقال له : أتُخرج بني عبد المطلب عن حرم الله وهم أحقُّ به منك ! فقال : وأنت أيضاً فالحقْ به ، فخرج إلى الطائف فمات بها ، وأوصى عليَّ بن عبد الله بإتيان الشام والتنحّي عن سلطان ابن الزبير إلى سلطان عبد الملك ، فكان عبد الملك يحفظ له ذلك .

قالوا : ولما صار علي بن عبد الله إلى دمشق ابتنى بها داراً ثم صار وولده إلى الحميمة وكُداد من عمل دمشق

حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، حدثنا هشيم عن أبي جمرة قال : توفي ابن عباس بالطائف .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبدالله بن صالح المصري عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال : كان عبد الله بن عباس مديد

القامة جيد[1] الهامة ، مستدير الوجه ، جميله أبيضه ، وليس بالمفرط البياض ، سبط اللحية ، في أنفه قنىً ، معتدل الجسم ، وكان أحسن الناس عيناً قبل أن يكف بصره ، وكفَّ قبل موته بست سنين أو نحوها ، وتوفي بالطائف

وقال الواقدي وغيره : نزل في قبر عبد الله بن العباس وتولى دفنه علي بن عبد الله ومحمد بن الحنفية والعباس بن محمد بن عبد الله بن العباس ، وصفوان ، وكريب ، وعكرمة ، وأبو معبد مواليه ، وكان يخضب بالحناء ثم صَفّر .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن التوزي عن عمران بن أبي عطاء قال : أدخل ابنُ الحنفية ابنَ عباس معترضاً وصلَّى عليه فكبّر أربعاً ، وضرب على قبره فسطاطاً ثلاثة أيام .

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن عمير بن عقبة وخالد بن القاسم الأنصاري عن شعبة مولى ابن عباس ، قال : مات ابن عباسِ بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وأشهر ، أو اثنتين وسبعين ، وكانِ يِصفّر لحيته ، وكان مرضه ثمانية أيام ، وصلى عليه ابن الحنفية .

وقال بعض البصريين:توفي رسول الله ﷺ وابنُ عباس ابنُ عشرٍ وأشهرٍ ، وتوفي ابن عباس وله سبعون سنة ، والأول اثبت .

١ ـ الجيد طول العنق وحسنه . اللسان .

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع عن سفيان عن سالم بن أبي حفصة عن كلثوم قال : سمعت ابن الحنفية يقول في جنازة ابن عباس : اليوم مات ربّانيّ العلم .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، أخبرنا أبو أسامة عن الأجلح عن أبي الزبير قال : توفي ابن عباس بالطائف فجاء طائر فدخل في نعشه حين حُمل فلم يُر خارجاً منه .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة ، حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : توفي ابن عباس بالطائف فشهدتُ جنازته ، فجاء طائر لم يُرَ على خلقته فدخل في نعشه .

قال سالم : وقال اسماعيل بن علي وعيسى بن علي : لما دفن تُليت هذه الآية عند قبره وهم لا يرون تاليها : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضيةً مرضيّة * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾[1] .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الكلبي عن أبي صالح عن رافع بن خديج أنه قال حين أخبر بوفاة ابن عباس : مات والله من كان المشرقُ والمغرب وَمَنْ بَيْنَهما يحتاجون إلى علمه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يحيى بن العلاء عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال : سمعتُ جابر بن عبد الله حين بلغته وفاةُ عبد الله بن عباس يقول ، وصفَّق بإحدى يديه على الأخرى : مات أعلمُ الناس ، وأحلمُ الناس ، لقد أصيبت الأمة به .

---

١ - سورة الفجر الآيات : ٢٧ - ٣٠ .

وحدثني الزبير بن بكار، حدثني ساعدة بن عبيد الله المزني عن داود بن عطاء عن موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن عمر بن عطاء أن النبي ﷺ رأى عبد الله بن عباس مقبلاً فقال: «اللهم إني أحبّ عبد الله بن عباس فأحبَّه».

عبيد الله بن العباس

وأما عبيد الله بن العباس .

ويكنى أبا محمد ، وبينه وبين أخيه عبد الله بن عباس في السن سنة أو سنة وأشهر ، فكان جواداً ، دعاه عبد الله بن عباس إلى أن يقاسمه داراً كانت بينهما فمدَّ القاسم الحبلَ بينهما فقال عبد الله : أمَلْتَ الحبلَ عليّ ، فقال عبيد الله : أقم الحبل لأخي ، فأقامه ، فقال له : هل لك أن أنحيّه شبرا ؟ قال : نعم ؛ فنحّاه ثم قال : هل لك ان أنحيّه ذراعاً ؟ قال : نعم ؛ قال : هلَ لك أن أرفعه ؟ قال : نعم ؛ فرفعه ووهب له حصتّه من الدار .

قالوا : وكان عبد الله يُوسِعُ الناسَ علماً ، وكان عبيد الله يوسعهم طعاماً ، فدخل أعرابي يوماً دار العباس فرأى عبد الله في ناحية منها يفتي الناس ويعلّمهم ويسألونه عن القرآن فيفسّره لهم ، ورأى عبيد الله في ناحية أخرى يطعم الناس ، فقال : من أراد الدنيا والآخرة فليأتِ دار ابني العباس ، هذا يفسّر القرآن ، وهذا يطعم الطعام .

وحدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه عن مشايخه قال : كانت بين الزبير بن العوام وبين عبد الله بن جعفر ضيعة بالقرب من المدينة ، فلما قتل

الزبير سأل عبد الله بن الزبير ابنَ جعفر أن يقاسمه فأجابه إلى ذلك ، ووعده البكور معه إليها ، ومضى ابنُ الزبير إلى الحسن والحسين وعبيد الله بن العباس وإلى جماعةمن أبناء المهاجرين والأنصار فسألهم أن يحضروا ما بينه وبين ابن جعفر ، فأجابوه وغدوا لميعاده ، ووافاهم ابن جعفر ، وجاء ابن الزبير معه بجزور ودقيقه وقال لوكيله : أنِخِ الجزورَ ناحية واستُر أمرها ولا تُحدِثنّ فيها حدثاً حتى آمرك فإني لا آمن انتقاض هذا الأمر بيني وبين ابن جعفر ، ثم سأل القومَ أن يسألوا عبد الله بن جعفر أخذ الغامر من الضيعة وتسليم العامر له ، فكلموه فأجابهم إلى ذلك ، وجاعَ القوم حتى تشاكوا الجوع ، فقال الحسن بن علي : لو كانت البراذين تؤكل أطعمتكم برذوني ، وقال الحسين : لو كانت البغال تؤكل أطعمتكم بغلي ، فقال عبيد الله بن العباس : لكن البخاتي تؤكل ، وكان تحته بختيّة قد ريضت فأنجبت فنهض إليها فكشطَ عنها رَحْلَهَا ، وأخذ سيفه فوجأ به لبّتها ، ونهض الناسُ إليها بكسر المَرْوِ والسكاكين وغير ذلك يسلخونها ، وأخذوا لحمها وأوقدوا سعف النخل ، وبعث عبيد الله بن العباس فأتـوا بقدور وخبز كثير فشووا وطبخوا ، فلم يشعر ابن الزبير إلا بريح القتار[1] وبالدخان ، فظنّ أن وكيله نحر جزوره ، فجعل يشتُمه ويعذله ، فقال له : يرحمك الله ، إن جزورك على حالها ، ولكن عبيد الله بن عباس أطعمهم بختيته ؛ فأكل القوم وانصرفوا ، وأُتي عبيد الله بدابّة فركبها وانصرف .

---

١ ـ القترة : ريخ البخور ، والقدر والشواء . القاموس .

وحدثني عبيد الله بن صالح عن ابن كناسة عن القاسم بن معن قال : أراد رجل أن يضارَّ عبيد الله بن العباس ، فأتى وجوه الناس بالمدينة فقال لهم : إن عبيد الله يأمركم أن تحضروا غداً ، فأتاه الناس حتى ملأوا داره ، فلما رأى اجتماعهم أرسل إلى السوق فلم يترك فاكهة إلا أتى بها ، فأكلوها ، وبعث من هيّأ لهم الطبيخ والشواء والخبز والحلواء ، فغدُّوا غداءً واسعاً سَرِيّاً ، فلما انصرفوا قال : الحمد لله ، أليس كلما أردنا مثلَ هذا وجدناه ؟ ما أبالي من هجم عليّ بعد يومي هذا .

وحدثني محمد بن الأعرابي عن الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال : بلغني أن عبيد الله بن العباس وفد على معاوية فصحبه بشر كثير في الرفقة فكان يمونهم ولم يدع أحداً منهم يوقد ناراً ولا يتكلف شيئاً حتى ورد الشام .

وحدثني محمد بن الاعرابي عن الهيثم عن عوانة عن أبيه قال : اضطرّت السماءُ عبيدَ الله بن عباس وهو في بعض أسفاره إلى منزلِ أعرابي فذبح الأعرابي له عنزاً لم يكُن له غيرها وقراهُ ، فقال عبيد الله لقهرمانه مقسم مولاه : كم معك ؟ قال : خمسمائة دينار ، قال : ادفعها إلى الأعرابي ، فقال : انما ذبح لك عنزاً قيمتها خمسة دراهم وهو رجل لا تعرفه ، قال : هبني لا أعرفه أما أعرف نفسي وقدري ؟ لقد فعل بنا أكثر مما فعلناه به ، بذل لنا مجهوده وبذلنا له ميسورنا .

قال : ثم إن عبيد الله مرَّ بالأعرابي وهو منصرف من سفره يريد المدينة فإذا لَه نعم وشاءٌ وعبيد ، فسأله النزول به وقال : هذه نعمتك وفضلك ، فأخبره بحاجته إلى إغذاذ السير والتعجيل ثم فكر فقال : إني لأخافُ أن يظن

الأعرابي إنما إعتللنا عليه كراهة أن نرفده ، فردَّ وكيله إليه بخمسمائة دينار فقبضها ، وأقبل مع الوكيل حين رجع ، فقال لعبيد الله ، إن المدح ليقل لك غير أني أنشدك أبياتاً كنت قلتها فيك ، فانشده :

تـوسّمتـهُ لمـا رأيتُ مهـابـةً عليه فقلتُ المرءُ من آل هاشم
أو المرءُ من آل المُرار[1] فإنهم ملوك وأبنـاء الملوك الأكارم
فقمتُ إلى عنز بقية أعنـزٍ فجدّلتها فعل امرىءٍ غير نادم
فعوضني منها غناي وجادَ لي بما لم يجد عفواً به كفُ آدمي
فقل لعبيد الله لا زلتَ سالمآً عزيزاً ومن عاديتَهُ غير سالم

وكان عبيد الله يقول : ثوبُك على غيرك أحسن منه عليك .

وحدثني بكر بن الهيثم عن أبي الحكم الصنعاني عن أبيه عن جده قال : كان عبيد الله بن العباس عاملاً لعلي بن أبي طالب على اليمن ، فأهدي اليه عنبر وحلل وذهب ، فبلغت قيمة ذلك مالاً عظيماً ، ففرّق جميع ما أهدي إليه على من حضره ، حتى لقد كان في منزله صانع يُصلح درجةً له فأعطاه من ذلك ما قيمته مائتا دينار . قال بكر : وسمعتُ شيخاً من أهل اليمن يحدث عن عبيد الله بن عباس أنه قال : الجواد من آسى من الكثير وآثر بالقليل . قال : وكان يقول : أفضل الجود ما عدّه الجاهل سَرَفاً .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن أبي معشر ، حدثني خالد مولى بني أمية قال : وفد عبيد الله بن العباس على معاوية ، وكان قد جعل له حين صار إليه وفارق الحسن بن علي في كل سنة ألف ألف درهم ، ويقال ألفي ألف

---

١ ـ ملوك كنده .

درهم ، فأعطاه معاوية ما جَعَل له ، فما رام دمشق حتى قَسَم ذلك أو أكثره ، فقيل له : أسرفت ، فقال : والله لولا لذة الاعطاء واكتساب المحامد ما بالَيْتُ ألّا أكتسب المال وألا أرى معاوية ولا يراني .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال: كان عبيدالله بن عباس عاملاً لعلي على اليمن ، وهو أحد من نزل في قبر علي حين قُبر بالكوفة ، ولم يزل مع الحسن بن علي حتى عرف زهادته في الأمر فصار إلى معاوية . قال : ويقال إن علياً ولاه الموسم سنة ست وثلاثين فأقام للناس الحج ثم شخص الى اليمن والياً . قال : ويقال ان علياً ولاه ايضاً الموسم سنة سبع وثلاثين فقدم من اليمن فاقام الحج ثم رجع .

وقال الواقدي: حدثني ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: كان عبيد الله بن عباس جالساً في المسجد فسقطت دارٌ عند الصفا ، فارتاع من حضره ونهضوا ينظرون إليها ، وبقي معه فتى أنصت لحديثه واستمعه حتى قضاه ، فقال لوكيله : ما بقي عندك ؟ قال : ألف دينار ، قال : اعطِ الفتى ثلثيها واحبس لنا ثلثها .

قالوا : وكان ينحر ويطعم الناس ، وكانت مجزرته في السوق ، وهي تعرف بمجزرة ابن عباس .

قالوا : وتوفي عبيد الله بن العباس رضي الله عنه بالمدينة في أيام معاوية . ويقال : إنه كفّ بصره .

وقالوا : مرَّ معن بن أوس المزني بعبيد الله بن العباس وقد ضعف بصره فقال له : كيف حالك ؟ قال : قد كثر ديني وضعفت حالي وأنشده :

أخذتُ بعين المال حتى نهكته وبالدَّين حتى ما أكاد أُدانُ
وحتى طلبت القرضَ عند ذوي الغنى وردَّ فلانٌ حاجتي وفلان

فقال : كم دينك ؟ قال عشرة آلاف ، فأعطاه إياها ، فقال في عبيد الله :

إنّك فرعُ من قريش وإنما تمجُّ الندى منها البحور الفوارعُ
همُ قادة للدين ، بطحاءُ مكةٍ لهم وسقاياتُ الحجيج الدوافع
ولما دعوا للموتِ لم تبكِ مثلهم على حدثِ الدهر العيونُ الدوامع

وولد لعبيد الله بن العباس ، العباس.وعبد الله.وجعفر.والعالية ، أمهم عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان بن الديّان الحارثي ، والعالية هي أم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وعبد الرحمن بن عبيد الله ، وقثم بن عبيد الله ، وأمهما أم حكيم بنت قارظ واسمها جويرية ، وهما اللذان ذبحهما بسر بن أبي أرطاة ، وقد كتبنا خبرهما في الغارات بين علي ومعاوية . وميمونة تزوجها عبد الله بن علي بن أبي طالب ، وقتل مع مصعب بن الزبير ، ثم خلف عليها أبو سعيد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، ثم نافع بن جبير بن مطعم .

ومن ولد عبيد الله بن عباس ، قثم بن العباس بن عبيد الله ولّاه اميرُ المؤمنين المنصورُ اليمامة ، وكان سخياً ومدحه ابن المولى فقال :

يا ناقُ إن أدنيتني من قُثَمْ عتقِت من حَلٍّ ومن رحلةٍ
عاش لنا اليُسرُ ومات العدم انكِ ان بلّغِتِنيه غداً
نور وفي العِرْنِين منهُ شمم في باعه طولٌ وفي وجهه

وقال الراجز :

يا قُثَم الخيرِ جُزِيتَ الجنَّة أُكسُ بنيّاتي وأُمَّهُنَّهْ
والله والله لتفعلنَّه

فقال : والله لأفعلنّ ، وأعطاه مالاً . ومرَّت جارية جميلة الوجه حسنة القد بقثم وداود بن سلم وهو بالمدينة أو بمكة قبل أن يملك شيئاً ، فلم يمكنه ابتياعها لأنه لم يكن عنده ثمنها ، فلما ولي قثم اليمامة اشترى الجارية رجل يقال له صالح فكتب داود بن سليم إلى قثم :

يا صاحبَ العيس ثم راكبها أبلغ إذا ما أتيتَهُ قثما
إن الغزالَ الذي أجاز بنا معارضاً إذ توسّط الحرما
حوّله صالحُ فصار مع الـ ـإنس وخلّى الوحوشَ والسلما

فأرسل قثم في طلب الجارية ليشتريها فوجدها قد ماتت .

وسمر عند قثم ليلةً جلساؤه ، وكانت ليلة باردة ، فأمر فأوقدت نار عظيمة وقال : من وصفها فله عشرة آلاف درهم ؛ فأخبرني عبد الرحمن بن حزوَرة[1] أن أباه قال في ذلك ، وهو من ولد جرير بن عطيَّة :

لم تَر عيني كمثل ليلتنا والدهرُ فيه طرائف العَجَبِ
إذ أُوقدتْ مَوهناً تُشبُّ لنا نارٌ فباتت تُحَشُّ بالحطب
يحشُّها بالضّرام محتَرمٌ مطاوعٌ للرفيق ذو أدب
رفّعها بالوقود فانتصبت ثم سمت للسماء باللهب
حمراءَ زهراءَ لا نحاسَ لها كأن فيها صفائح الذهب

١ ـ في رواية أخرى «حَزْرَة» (من الهامش) .

تزهر في مجلس لدى ملكٍ عفٍّ نجيبٍ من سادة نُجُب
عذبِ السجياتِ لا يُرى أبداً يقبض وجهَ الجليس من غضب

وزعم بعضهم أن هذا الشعر لعبد الأعلى من ولد صفوان بن أمية الجمحي في جعفر بن سليمان بن علي وهو بالمدينة وزاد فيه هذين البيتين :

يمنعه البرُّ والوفاءُ ونفس بِدَنيٍّ الأمور لم تُشبِ
جيبت له هاشم فوسّطها جَوْبَ الرَّحى بالحديد للقُطب

ومن ولد عبيد الله بن العباس أيضاً حسين بن عبد الله بن عبيد الله الجواد ، وأمه أسماء بنت عبد الله بن العباس ، وكان فقيهاً حُمل عنه الحديث ، ومات في سنة أربعين أو احدى وأربعين ومائة ، وكان يكنى أبا عبد الله .

وذكر بعضهم أن الشعر الذي يقال إنه للوليد بن يزيد له ، وهو :

لا عيشَ إلا بمالك ابن أبي السـ ـمح فلا تَلْحُني ولا تَلُمِ
أبيضُ كالسيف او كما يلمع البر ق في حالكٍ من الظُّلَمِ[1]

والحسن بن عبد الله أخوه ، وأمه أيضاً أسماء بنت عبد الله بن العباس ، وأم أسماء أم ولد ، وفي الحسن يقول الراجز :

أعني ابن اسماء الذي توثّقا من مجده يوماً فما تفرّقا
كانا حليفين معاً فاتفقا عفواً كما وافق حُقّ طبقا[2]

وكانت عند الحسن هذا لبابةُ بنت الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر ، فولدت له أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن

---

١ ـ شعر الوليد بن يزيد ـ ط . عمان ١٩٧٩ ص ١٥٨ مع فوارق .
٢ ـ المثل هو : «وافق شن طبقه» الأمثال لأبي عبيد ص ١٧٧ .

العباس ، وهي التي كانت تسكن المدينة ، ورفعت السواد على منارة مسجد رسول الله ﷺ زمن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن حين دخل عيسى بن موسى المدينة ، فكسر ذلك المبيِّضة .

وقال الزبير بن بكار : كان حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس يسكن المدينة ، وقد رُوي عنه الحديث ، وكان يقول الشعر ، وكانت عنده عابدة الحسناء بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص فقال فيها :

أعابِدُ حُيّيتم على النّأي عايدا سقاكِ الالهُ المُسْبِلاتِ الرواعدا
أعابِد ما شمسُ النهار إذا بدت بِأحسن ممّا بين عينيك عابِدا
وهل أنت إلا دُميةٌ في كنيسةٍ يظل لها البطريقُ بالليل ساجدا

وكان بكار بن عبد الملك خطب عابدة هذه فأبتهُ وتزوجت حسيناً ، فقال له بكار بن عبد الملك : كيف تزوجتك على فقرك ؟ فقال حسين : أتعيّرنا بالفقر وقد نحلنا الله الكوثر .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يعاتب حسيناً ، وكان له صديقاً ثم تنكّر ما بينهما :

انّ ابـنَ عَمِّك وابـنَ أمـــ ـــك مُعْلَمٌ شـاكي السِّلاحِ
لا تحسبنّ أذى ابن عمّـــ ـــك شُـربَ ألبـانِ اللقاح
بـل كالشـجى ورا اللّهـــ ـــاةِ إذا جَرَعْتَ من القراح
يقص العدوَ وليس يرضـــ ـــى حيـن يبطـشُ بالجراح
فاحتل لنفسـك مَنْ يجيبـــ ـــك تحت أطراف الرمـاح
مـن لايـزال يَسُـوءُه بـالغيبِ أنْ يَلْحـاك لاحِ

وقال حسين بن عبد الله بن عبيد الله :

أبـرِق لمــن يخشى وأر عِـدْ غيرَ قـومِكَ بـالسلاحِ

وقال عبيد الله بن معاوية :

قل لذي الوُدِّ والصفاء حسين أقــدر الـوُدِّ بيننــا قَــدَرَهْ
ليس للدابــغ المـحُلّم بُـدٌّ من عتاب الأديم ذي البَشَرَة
لستُ ان زاغ ذو إخاء وودٍّ عـن طـريـق بتـابـع اثـره
بل أُقيمُ القناة والودَّ حتى يَتبــع الحقَّ بعـدُ أو أذره

قثم بن العباس بن عبد المطلب

وأما قثم بن العباس بن عبد المطلب :

فكان يشبّه بالنبي ﷺ ، وكان العباس يقول له في صغره :

أيا بنيَّ يا قثم ويا شبيهَ ذي الكرمْ
منا وذي الأنف الأشم

وبلغني أن الحسين بن علي كان أخاه من الرضاع ، أرضعته لبابة بنت الحارث امرأة العباس ، وكانت لبابة رأت كأنّ عضواً من أعضاء النبي ﷺ في بيتها ، فقال لها ﷺ : «تلد فاطمة ولداً وتكفلينه» ، فأتت به النبي ﷺ يوماً فبال عليه فقرَصَتْهُ فبكى ، فقال : «بكيّتِ ابني» ، وأُتي بماء خدره على البول حدراً .

وقال الكلبي : ولّى علي بن أبي طالب قثم بن العباس مكة ، وهو كان عامله عليها وعلى الموسم في سنة تسع وثلاثين حين وجه معاوية يزيد بن شجرة الرُّهاوي لإقامة الحج وأخذ البيعة له ، فقام قثم خطيباً حين بلغه إقبال ابن شجرة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى علي نبيه ﷺ ثم قال : أما بعدُ فانه قد أقبل إليكم جيش من الشام عظيم ، وقد أظلكم ، فإن كنتم على

طاعتكم وبيعتكم فانهضوا معي إليهم حتى أناجزهم ، فإن كنتم غير فاعلين فأبينوا لي أمركم ولا تغُرّوني من أنفسكم ، فان الغرور حيفٌ يضل معه الرأي ويصرع به الأريب . فلم يجبه أحد ، فأراد التنحّي ثم أقام ، واصطلح الناسُ على أن أقام الحج شيبة بن عثمان بن طلحة العبدري .

وقال هشام بن الكلبي : من زعم أن احداً من ولد العباس كان على الموسم في تلك السنة ـ عبيد الله أو معبداً أو تمّاماً ـ فقد غلط .

قالوا : وشخص قثم إلى خراسان غازياً مع سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان معاويةُ ولّى سعيداً خراسان ، فقال له سعيد في بعض غزواته : يا بن عم ، أضرب لك بمائة سهم ، فقال : يكفيني سهم واحدٌ لي وسهمان لفرسي أسوةَ المسلمين ، ومات بسمرقند ويقال استشهد بها ولا عقب له ، ويروى عن قثم أنه قال : الجواد من إذا سُئل أعطى عطيّة مكافٍ على يد عظيمة ، ورأى مَنْ بَذَلَ وَجْهَهُ إليه متفضّلاً عليه .

معبد بن العباس

وأما معبد بن العباس :

فشَخَصَ في خلافة عثمان غازياً إلى إفريقية ، وعلى الجيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري من قريش ، فقتل بها شهيداً ، وأخذت سرية له حبلى فولدت جارية يقال لها أُبيَّة ثم استنقذت . وتزوج أُبيّه بنت معبد يريمُ بن معدي كرب بن أبرهة الحميري ، فولدت له النضر بن يريم . وكان عمّ يريم هذا وهو شمر بن أبرهة مع علي فقتل معه بصفّين ، وكان متزوجاً بابنة أبي موسى الاشعري .

وقال بعضهم : أبية بنت معبد جاريةٌ إفريقيّة قدمت بها أمها ، فأمرهم علي بن أبي طالب أن يقروا بها[1] ، فتزوجها يريم بن معدي كرب ، ويكنى معدي كرب أبا الشعثاء . وكان معبد يكنى أبا عبد الرحمن ، ومن ولده عبد الله الأكبر بن معبد وقد روي عنه الحديث . ومن ولد معبد محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ، والعباس بن عبد الله بن معبد ، ولاه أبو

---

١ ـ في رواية أخرى «يقربوها» (من الهامش) .

العباس أمير المؤمنين مكةَ والطائف ، وكان أول من سوّد بالحجاز في الدولة ، وكان محمد بن محمد وأخوه العباس من رجال بني هاشم ، وكان محمد لَسِناً خطيباً عالماً ، ولاه أمير المؤمنين المأمون أصبهان ، وكان مقدماً عند أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ومات في خلافته حاجاً ودفن بالعَرْج[1] ، وهو الذي منزله ببغداد عند دار القطُن ، وكان يكنى أبا عبد الله .

١ ـ العرج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف . معجم البلدان .

عبد الرحمن بن العباس

وأما عبد الرحمن بن العباس :

فلا بقية له ، وكان أصغر أخوته ، مات في طاعون عمواس بالشام ، ويقال استشهد يوم اليرموك في خلافة عمر . وكان قد ولد لعبد الرحمن عبدُ الرحمن بن عبد الرحمن سمّي باسم أبيه ، درج ، وقال بعضهم : قتل عبد الرحمن بإفريقية ، وذلك غلط .

وأما تمام بن العباس :

فكان ذا بطش واقدام ، وكان يكنى أبا جعفر . وزعم ابن دأب أن عليًا ولاه مكة ، وأنه كان عليها حين قدمها ابن شجرة من قبل معاوية وليس ذلك بثبتٍ ، فولد تمام : جعفرَ بن تمام ، وقثم بن تمام . وكانت ابنة لأبي جعفر المنصور عند يحيى بن جعفر بن تمام ، ويقال بل كانت عند ابنٍ لقُثَم بن تمام . وكان آخر من بقي من ولد تمام يحيى بن جعفر ، وكان المنصور معجباً به محباً له ، فلما مات لم يكن له عقب ، فورثه بنو علي ، فوهبوا ميراثهم منه لعبد الصمد بن علي .

وأما كثير بن العباس :

فكان فقيهاً صالحاً حُمل عنه الحديث ، وكان ينزل بقريس[١] على فراسخ من المدينة ، فيأتي المدينة في كل جمعة وينزل دار أبيه العباس فإذا صلى انصرف ، وكتب كثير على كفنه الذي أمر أن يكفّن فيه : كثير بن العباس يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . ووُلد لكثير الحسن بن كثير ، درج .

وقال بعضهم : ولد له يحيى ، أمّه أم كلثوم الصغرى بنت علي بن أبي طالب ، فدرج .

أما الحارث بن العباس :

وهو ابن الهُذليّة ، وقال بعضهم أمه أم ولد ، فكان يلقب أبا عَضل ، وكان العباس وجد عليه فلحق بالزبير بن العوام وهو ببعض مغازيه ، فانصرف به معه ، فكلمه فيه فرضي عنه .

وقال هشام بن الكلبي والهيثم بن عدي : طرد العباسُ الحارث فأتى الشام ، ثم صار إلى الزبير وهو بمصر ، فلما قدم الزبير قدم به معه وأتى به العباس فلما رآه قال له : يا زبير جئتني بأبي عضل لا وصلتك رحمٌ نحَّه عني ، فمات العباس وَعمِي الحارث بعده فقال حين عَمِي : كُلًّا زعمتم أنه ليس أبي وأني لست ابنه ، وقد عَميتُ كما عَمي .

---

١ ـ في المغانم المطابة : قريس جبل قرب المدينة

ومن ولد الحارث بن العباس السريّ بن عبد الله بن الحارث ولاه المنصور مكة ، ويقال ولاه المدينة وولاه اليمامة ، ومدحه ابن هرمة فقال :

فأنتَ من هاشم في بيتِ مكرمةٍ تنمى إلى كلّ ضخم المجدِ صنديدِ
ومن بني الخزرج الأخيار مولده بين العَتيكين والبهلولِ مسعود
قومٌ همُ أيّدوا الاسلام إذ صبروا للسيف فالله ذو نصر وتأييد
ذاك السريّ الذي لولا تدفقه بالعرف بُدنا حليف المجد والجود[1]

وأم السري جمال بنت النعمان بن أبي حزم بن عتيك بن النعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول وهو عامر بن مالك بن النجار ، ومسعود بن أوس بن زيد بن ثعلبة أحد بني غَنْم بن مالك بن النجار ، وكان السريّ جواداً ممدوحاً وله يقول نوح بن جرير بن عطية :

ورثتُ أبي قصائدَ محكماتٍ وكان الشيخ شيخاً عُدمُليّا[2]
لقد صدق الذي سماك لما تباشرتِ النساءُ بكَ السريا

وله يقول حبيب بن شوذب حين عزل عن اليمامة :

راح السريّ وراح الجودُ يتبعه وإنما الناس مذمومٌ ومحمودُ
لقد تروَّحَ إذ راحتْ ركائبُهُ من أرضِ حَجْرٍ، وربِّ الكعبة، الجود
من كان يضمنُ للسؤّال حاجتهم ومن يقولُ إذا أعطاهم عودوا

وله يقول الفرزدق[3] :

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٢ ـ العدمل : كل مسن قديم ، والضخم القديم مر الشجر . القاموس .
٣ ـ لم يرد هذا الرجز في ديوان الفرزدق ، وفي هامش الأصل «الفزاري» .

سريٌّ لقّاك مليكُ الأمر الأجرَ ذخراً وهو خيرُ ذخِر
عافيةَ الدنيا ويومَ الحشر وشَرُّ ما تدري وما لا تدري
ما بكَ عن مكرمةٍ من قصر وأنت بعد الله معطي الوفر
ومطعمُ البطنِ وكاسي الظهر

وقال الحنفي :

إن السريَّ بن عبد الله قال لنا خيراً وكان وفياً بالذي زعما
ما إن رأيتُك في قوم وإن كثروا الا تبينتُ في عرنينك الكرما
نلقاك في الأمرِ مفضالاً أخا كرمٍ وفي المزاهزِ ليثاً تضرب البُهما

ومن ولد عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب : الزبير بن العباس بن عبد الله بن الحارث بن العباس ، ولي السند ، وله يقول ابن هرمة :

عمدتُ إلى الزبير وسيطِ فهرٍ وقد حمد الاقاربُ والصديقُ
كريمٌ في الأورمةِ من قريشٍ يزين فعَاله الحسبُ العتيقُ
وقد بُني الزبير على سماحٍ وما زالت مكارمُهُ تروق[1]

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .

وأما عبدالله بن عباس بن عبد المطلب فولد :

العباس وبه كان يكنى . وزعم بعضهم أنه كان يقال للعباس الأعنق ، ومحمد بن عبد الله ، وعلي بن عبد الله ، ويكنى أبا محمد وهو السجاد ، ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب فسماه أبوه عليّاً ، وكان معاوية أراده على أن يسميه معاوية فأبى . وكان علي يصلي في كل يوم ولَيْلة ألف ركعة ، ويقال ألف سجدة . وعبيد الله بن عبد الله ، والفضل ، وعبد الرحمن ، ولبابة تزوجها اسماعيل بن طلحة بن عبيد الله ، وخلف عليها علي بن عبد الله بن جعفر ، وأمهم زرعة بنت مِشْرَح بن معد يكرب بن وليعة بن معاوية بن شرحبيل بن معاوية بن حُجر القَرِد بن الحارث الولادة بن عَمْرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور ، ويقال وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حُجر ، والقَردُ في كلامهم الجواد ، وثور هو كندي بن عفير . وأسماء بنت عبد الله بن عباس ، وأمها أمّ ولد ، تزوجها عَبْد الله بن عبيد الله بن العباس .

فأمّا العبّاس بن عبد الله بن العبّاس :

فولد له ابن يقال له عون وبه كان يكنى وامّه حبيبة بنت الزبير بن العوام ، فدرج ولا عقب له .

وأمّا محمد بن عبد الله بن العباس :

ابن عبد المطلب فولد له العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس وهو المُذهب ، وكان بارع الجمال سخياً ، مدحه الأخطل فقال :

ولقد غدوت على التجار بمُسمحٍ هرّت[1] عواذله هريرَ الاكلبِ
لـذٍّ يقبله النعيم كـأنمـا مُسِحت ترائبه[2] بماء مُذْهب
لبّـاسِ أرديةِ الملوك تـرُوقُه من كلّ مرتقبٍ عيونُ الربرب[3]
ينظرنَ من خلل الستور اذا بدا نظر الهِجان[4] إلى الفنيق المصعب[5]
خَضِل الكياس[6] إذا تنشّى لم يكن خلفا مواعده كبرق الخُلّب[7]

فوهب له ألف دينار فقضى بها دينه . وانما سمي مذهباً لجماله وحسْن لونه ، وقال بعضهم : المذهب عبيْد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وقال بعضهم : هو العباس بن محمد بن عبْيد الله بن عبد الله، والأول اثبت .

---

١ ـ هرت : نبحت .
٢ ـ الترائب : السمات والمزايا .
٣ ـ الربرب : البقر الوحشي ، وهنا الغانيات ذوات العيون الجميلة .
٤ ـ الهجان : الإبل البيضاء الكريمة .
٥ ـ الفنيق المصعب : الفحل المكرم المخصص للضراب .
٦ ـ الكياس جمع كأس .
٧ ـ ديوان الأخطل ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ص ٤٣ ـ ٤٤ .

وكان العباس المذهبَ ركب فرساً فصرعه فمات ، وامّه ام إبراهيم بنت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري ولا عقب له ولا لأحدٍ من ولد عبْد الله بن العباس سوى علي بن عبْد الله بن عباس السجاد .

وذكروا أنه كان لعَبْد الله بن عباس أيضاً ابن يقال له عثمان ، درج ، وامّه أمّ ولد .

فولد علي بن عبد الله :

محمد بن علي بن عبدالله .

وهو ذو الثفنات ، شُبِّه أثر السجود بجبهته وأنفه ويديه بثفنات البعير ، ويكنى أبا عبد الله ، وأمّه العالية بنت عبْيد الله بن العباس ، وكان بيْنه وبين أبيه أربع عشرة سنة وأشْهُر ، فلما شابا خَضب علي بالسواد وخضَب محمد بن علي بالحنّاء فلم يكن يفرق بينهما إلا بخضابهما لتشابههما وقرب سن بعضهما من بعض . وداود وعيسى لأم ولد ، وسليمان وصالحاً لأم ولد اسمها سُعْدَى . واسماعيل ، وعبد الصمد لأم ولد . ويعقوب لأم ولد . وعبد الله الأكبر لأم ولد ، ويقال لأم أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وعبيْد الله وأمّه حرشيّة . وعبد الملك ، وعثمان ، وعبد الرحمن ، درجوا ، وهم لأمهات شتى ، وعبد الله الأصْغر[1] الخارج بالشام ، وبعضهم يسمّيْه الشمّاخ وله عقب . ويحيى ، واسحاق ، ويعقوب ، وعبد العزيز ، واسماعيل الاصغر ، وعبد الله الأوسط وكان أحنف ، درجوا وهم لأمهات شتى .

---

١ ـ خرج على أبي جعفر المنصور .

وأمينة ، وأم عيسى تزوجها ابن حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، ولبابة تزوجها ابن قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس وهن لأمهات أولاد . وذكر أبو اليقظان ، أن أمينة ماتت ولم تزوج .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة بن الحكم عن أبيه قال : دخل عبد الملك بن عبْد الله بن نُديرة العذري على الوليد بن عبد الملك فسأله حمالة لزمته فمنعه إياها وزبره وقال : أنت صهر لطيم الشيطان ، يعني عمرو بن سعيد الأشدق ، فقال : أنا صهر أبي أميّة عمرو بن سعيد ، وكانت عند عمرو أم حبيب بنت حريث بن سُليم العذري من بني رزاح فولدت له أمية ، وسعيداً ، فأنشأ العذري ينشد شعر يحيى بن الحكم بن أبي العاص :

وما كان عمرو عاجزاً غير أنه أتته المنايا بغتةً وهو لايدري

فلو أن عمراً كان بالشام زرته بأغوارها أو حلَّ يوماً على مصر

فقالت أم البنين بنت عبد العزيز امرأة الوليد ، وهي جالسة خلف الستر : يا أمير المؤمنين ، من هذا الأحمق ؟ فقال العُذري ، يعرّض بأبيها عبد العزيز بن مروان وكان ضربه في الخمر :

وددت وبيت الله أني فديته وعبد العزيز يوم يضرب في الخمر

فقالت : أجُرْأةً عليك ؟ قال : كُفّي قبل أن يأتي بخيط باطل ، وكان قد قيْل في هذا الشعر :

غدرتُم بيحيى يا بني خيط باطلٍ وكلكمُ يبني البيوت على غدرِ

فأمر به الوليد فأخرج عنه فصار ابن نديرة إلى علي بن عَبْد الله فأخبره خبره ، فقال عليّ : علينا المعوّل وعندنا المحتمل ، فاعْطاه حمالته ، وأجازه وكساه ، فقال العذري :

شهدت عليكم انكم خير قومكم وانكم آلُ النبي محمّدِ
فنعم أبو الاضياف والطالبي القرى عليٌّ حليف الجود في كل مشهد
فإن الذي يرجو سواكم وأنتمُ بنو الوارث الزاكي لغيرُ مُسدَّدِ
وإني لأرجو أن تكونوا أئمة تسوسون من سستم بملك مؤيّد
وإني لمن والاكم لألوفه وإني لمن عاداكم سمٌّ أسود

وحدثني محمد بن الأعرابي عن اسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه قال : كان علي : بن عبْد الله يقول لبنيه : يا بَنيَّ إن أسعد الرجلين بالمعروف مصطنِعُه فلا تُخدعوا عنه .

وحدثني أحمد بن الحارث عن المدائني عن مسلمة بن محارب قال : دخل علي بن عبد الله بن عباس على عبد الملك بن مروان في يوم شديد البرد وقد حال بينه وبينه دخانُ العود فقال : ياأمير المؤمنين احْمدِ الله على ما أنت فيه من الدفء مع ما الناس فيه من البرد ، ودعا له ، فقال عبد الملك : يا أبا محمد أَبَعْدَ ابن هند وكان أميراً عشرين سنة وخليفة مثلها أصبَحَتْ تهتز على قبره يَنْبُوتة ، ما هو إلا ما قال الشاعر :

وما الدهر والايام الا كما أرى رزّية مال او فراق حبيب
وان امرءاً قد جرب الدهر لم يخف تصرُّف عَصْريه لغيرُ اريب

ثم دعا عبد الملك بغدائه فأكل عليّ معه ، ودعا بشربة عسل فأُتي بها في عسٍّ فسقاه ثم شربَ بعد علي .

حدثني الحَرْمازي عن العتبي عن أبيه قال : وقف علي بن عبد الله بن عباس وخالد بن يزيد بن معاوية بباب عبد الملك بن مروان فجرى بينهما قول تغالظا فيه فقال له عليّ : ما الظالم بسالم ، ولا السيف عنه بنائم . قال : وخرج اذن عبد الملك ، فدعا بخالد فقالَ له عبد الملك : ما لي أراك كالغضبان ؟ قال : لست بغضبان ولكني محجوج ، قال : ومن حجَّكَ ، وبيانُك بيانُك ولسانك لسانك ؟ قال : علي بن عبد الله ، مَتّ بحرمةٍ اعرفُها وذكر القرابة التي لا أدفعها ، وأعْلمني أن عليه دَيْناً وأن له عيالاً وما للصنيعة عند مثله مَترك ، فأمر له عبْدُ الملك بمائة ألف درهم ، فخرج إليه خالد وهو يضحك ويقول : تخطّينا ما تكره إلى ما تحب ، قد أمر لك أمير المؤمنين بمائة ألف درهم ، فقال له خيراً .

حدثني أبو أيوب سليمان الرقي المؤدب ، حدثني الحجاج بن الرّصافي عن أبيه قال : كان علي بن عبد الله بالشراة من أرض دمشق لازماً لمسجده يصلي فيْه كل يوم خمسمائة ركعة ويسجد على لوح أتى به من زمزم ، وكان لا يمر به أحد يريد الشام من الحجاز أو يريد الحجاز من الشام إلا أضافهُ ووصله ، إن كان ممن يلتمس صلته ، فقيْل له إن المؤونة تعظم عليك ، فتمثّل قول السّلولي :

وماذا علينا ان يُوافيَ نارَنا كريم المحيّا شاحب المتحسّر
فيخبرنا عما يريدُ ولو خلت لنا القدر لم نُخبر ولم نتخبّر[1]

---

١ ـ السلولي هو العجير بن عبد الله السلولي ترجم له صاحب الأغاني ج ١٣ ص ٥٨ ـ ٨٣ . انظر أيضاً أخبار الدولة العباسية ص ١٤٢ .

حدثني حفص بن عمر العُمري عن الهيثم بن عَدي عن عَوانة قال : لقيتْ عجوزٌ من قريش عليَّ بن عبد الله بن عباس فشكت اليه الخلة فأمر غلامَه فأعطاها مائتي دينار ، فقالت : جعلني الله فداك أنت كما قالت أمّ جميل بنت حرب بن أميّة :

زيـنُ الـعـشـيرة كـلهـا | في الـبـدو منـه والحَضَرْ
وكـريمـهـا في النـائبـات | وفي الـرِّحـال وفي السَّفَـرْ
ضخمُ الـدسيعـة مـاجـد | يعطي الجزيـل بلا كَـدَرْ[1]

وحدثني أبو عدنان ، حدثنا ابن الكلبي عن أبيه محمد بن السائب قال : ساير علي بن عَبْد الله ، الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي ، فأصابَ ساقَه ركابُ عليّ فقالَ : سبحان الله ما رأيت أحداً يسايرُ الناسَ بمثل هذا الركاب ؛ فقال علي : إنه من عمل قين لنا بمكة ، يُعرِّض بالعاص بن هشام حين أسلمه ابو لهب بن عبد المطلب قيناً[2] .

قال ابو عدنان : وأخبرني الهيثم بن عدي ومعمر بن المثنى ، قالا : لاعب العاص بن هشام أبا لهب على إمرة مطاعة فقمره ابو لهب فجعله قيناً ، ثم لاعبه فقمره ايضاً فبعث به مكانه يوم بدر بديلاً فقتله عمر بن الخطاب .

وفي الحارث بن خالد بن العاص يقول الشاعر :

أبا فاضل ركّبْ عِلاتك والتمس | مكاسبها إن اللئيمَ كسوبُ

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه قال : لم يزل علي بن عبد الله بن عباس أثيراً عند عبد الملك بن مروان كريماً عليه حتى

١ ـ الدسيعة : الجفنة . والأبيات والحكاية في أخبار الدولة العباسية ص ٣٨٠ .
٢ ـ في هامش الأصل «القين : الحداد» .

طلق عبد الملك أم أبيها بنت عبْد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فتزوجها عليّ فتغّير له وثقلُ عليه ، فبسط لسانَه بذمّه وقال : إنما صلاته رياء ؛ وكان **الوليد بن عبد الملك يسمع ذلك منْ أبيه ، فلما ولي أقصاه وعابه وتجنّى عليه حتى ضربه وسيّره .**

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : كانت لعبد الله بن عباس جارية صفراء مولدة تخدمه ، فواقعها مرةً ولم يطلب ولدها فاغتنمت ذلك واستنكحت عبداً من عبيد أهل المدينة ، فوقع عليها حتى حبلت وولدت غلاماً ، فحدَّها عبدُ الله بن عباس واستعبد ولدها وسماه سليطاً ، فنشأ ظريفاً جلداً ، ولم يزل يخدم علي بن عبْد الله وشخص معه إلي الشام فكان له من بني أميّة موقع ومن الوليد بن عبد الملك خاصّة ، فادّعى انه ابن عبد الله بن عباس ودسَّ اليه الوليد ـ لما كان في نفسه على علي بن عبد الله ـ أنْ خاصِمْ عليّاً ، فخاصمه واحتال شهوداً على إقرار عَبْد الله بأنه ابنه ، فشهدوا له بذلك عند قاضي دمشق ، وعرّفَ الوليدُ قاضيَه رأيه في تثبيت نسب سليط ، فتحامل معه على عليّ وألحقهُ بعبْدِ الله بن عباس ، وكان الوليد شرّيراً ، ثم إن سليطاً جعل يخاصم علي بن عبد الله في الميراث حتى لقي منه غماً وأذىً ؛ وكان مع علي رجل من ولد أبي رافع مولى رسول الله ﷺ يقالُ له عمر الدنّ لم يزل منقطعاً إليه ، فقالَ لعليّ يوماً : ألا أقتل هذا الكلب ابن الكلب وأريحك منه ؟ فزبره عليٌّ وقال : هممتُ والله ان لا تدخل لي رحلاً ، ولا اكلمك بذات شفة أبداً . ثم إن علياً رفق بسليط حتى كفّ عنهُ ، فإنه لفي بستان له يدعى الجنينة على فرسخ من دمشق ، ومساحةُ البستان أربعة أجربة أو أشفّ ، إذ أتى عمر الدَّن ومعه سليط فجعلا يخدمان

عليّاً حتى أكل وقام يصلي ، ثم انحاز عمر بسليط إلى ناحية من البستان فجعلا يأكلان من الفاكهة ، وجرى بينهما كلام فوثب الدَّن على سليط بصخرة فدمغه بها وحفر له فدَفنه وأعانه على دفنه مولى لعليّ يقال له فايد أبو المُهنّا ، ويقالُ عروة أبو راشد ، ثم عَفّيا موضعَ قبره ، وهرب الدّن وصاحبه الذي أعانه وعليّ مقبل على صلاته لا يعلم بشيءٍ مما كان ، وكان لسليط صاحب قد عرف دخولَه البستان فطلبه فلم يجده ، فصار إلى أمّ سليط فأخبرها بأنه دخل البستان ولَمْ يخرج منه ، وافتقد عليّ الدن وصاحبَه وسليطاً فلم يجد منهم أحداً ، وخرج من البستان وقد أُتي بدابته فركبها وهو يسأل عن الدنّ وصاحبه وسليط، وغدت أم سليط إلى باب الوليد مستعديةً على عليّ فأتى الوليد من ذلك ما أحبّ واراد ، فدَعَا بعلي بن عبد الله وسأله عن خبر سليط فحلف انه لا يعلم من خبره شيئاً بعد قيامه للصلاة ، وأنه لم يأمر فيه بأمر ، فسأله احضار عمر الدن ، فحلف أنه لا يعرف موضعه ، فوجه الوَليد إلى الجُنينة من سرّح فيها الماء ، فلما انتهى إلى موضع الحفرة التي دفن فيها سَليط دخلها فانخسفت ، فأمر الوليد بعلي بن عبد الله فأقيمَ في الشمس ، وجَعَل على رأسه الزيت ، وضربه ستين أو أحداً وستين سوطاً ، وألبَسَهُ جبّة صوف وحَبَسه ليخبره خبرَ سلَيط ويدله على الدنّ وصاحبه ؛ وكان يُخرج في كل يوم فيقامُ في الشمس ، وكان عباد بن زياد له صديقاً ، فجاءه فألقى عليه ثيابه ، وكلم الوليد في أمره فأمر أن يسير إلى دهلك ، وهي جزيرة في البحر ، فكلمه سليمان بن عبد الملك فيه وسأله ردَّه ، فأرسل من يحبسه حيث لحقه . ثم كلم الوليدَ عبادُ بن زياد في عليّ وقال : انه ليس بالفلاة موضع ، فأذن له فنزل الحجر ، فلم يزل بالحجر حتى هلك الوليد سنة ست

وتسعين وولي سليمان بن عبد الملك فردّه إلى دمشق . وكان علي يروي في نزول الشراة أثراً فانتقل إليها .

وحدثني هشام بن عمار ، حدثنا مشايخنا قالوا : تولى ضرب علي بن عبد الله بين يدي الوليد أبو الزعيزعة البربري مولاه فجزع فقال له مولى له يكنى أبا نزار : لا تجزع ، فقال : إن كرام الخيل تجزع من السوط ؛ ثم قال : لا تُساكنّي ، فنزل الشراة .

وقال الهيثم بن عدي : ضربه خمسمائة سوط وقال : لا تُساكنّي ، فنزل الحميمة[1] .

وحدثني أبو مسعود الكوفي ابن القتّات عن اسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه ، قال : كان الوليد بن عبد الملك ينتقص علي بن عبد الله ويشتمه ، فرأى عبد الملك أباه في منامه يقول له : يا هذا ما تريد من علي بن عبد الله فقد ظلمته ، والله لا يبتزكم أمركم ولا يسلب ملككم إلا ولده ، فازداد بذلك بغضَةً له وحنقاً عليه ، فلما ضربه كتبَ إلى الآفاق يشنع عليه ويقول إنه قتل أخاه .

قال أبو مسعود : وكان مما عدده المنصور أمير المؤمنين على أبي مسلم أن قال : وزعمتَ أنك ابن سليط ، فلم ترض حتي نسبت إلى عبْد الله غيرَ وَلَده ، لقد ارتقيت مرتقىً صعباً .

وقالوا : لما فرغ مسلم بن عقبة المري من أمر الحرة أخذ الناس بأن يبايعوا ليزيد بن معاوية على انهم عبيد قنّ ، وبعث إلى علي بن عبْد الله وهو

---

١ ـ انظر أخبار الدولة العباسية ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

يومئذ بالمدينة ، وذلك قبل موت أبيه عبد الله بن عباس بأربع سنين ، فمر في العسكر بفسطاط على بابه جماعة فسأل عن صاحبه فقيل له : هذا الحُصين بن نُمير السكوني ، فقال لمولى له : ائته فأخبره بمكاني ، فأتاه فقال له : ان ابن اختك علي بن عبد الله وقد أخرج من منزله يُراد به مسلم بن عقبة ، فأرسل ناساً فانتزعوه من أيدي الحرس فجاذبوهم فقال الحصين : ميلوا عليهم بالسياط ، فضُربوا حتى فرّوا ، وانطلق الحصين معه إلى مسلم حتى بايعه ليزيد كما يبايع السلطان ، ثم انصرف .

المدائني عن أبي الوليد القرشي عن أبي نزار مولى علي بن عبْد الله قال : كنت مع علي بن عبْد الله يوماً وعنده ابنه محمد بن علي وأبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ، فقال : يا أبا هاشم إن أهل المغرب يؤمّلونك ، وقال لابنه محمد : إن أهل المشرق يؤمّلونك ، ثم نظر إلى حمارٍ بين شجرتين فقال : والله لا تليان حتى يلي هذا الحمار ، كبرتما عن تبيّن صاحب هذا الأمر .

وقال الواقدي : توفي علي بن عبْد الله في سنة ثماني عشرة ومائة وله ثمان وسبعون سنة وإنه لمعتدل القناة .

وقال الهيثم بن عدي : توفي علي بن عبْد الله بالحميمة من عمل دمشق في سنة سبع عشرة ومائة وله ثمان وسبعون سنة ، وذلك في أيام هشام بن عبد الملك .

وقال أبو اليقظان : مات بالحميمة في سنة سبع عشرة ومائة وقد بلغ ثمانين سنة .

فأما محمد بن علي بن عبدالله :

ابن العبّاس وهو ذو الثفنات ، ويكنى ابا عبد الله ، فقد أخبرنا بقرب سنّه من سنّ أبيه وكان بينهما في الموت ، في قول هشام بن الكلبي ، خمس سنين أو نحوها ، مات سنة اثنتين وعشرين ومائة .

وقال الواقدي : الثبت أنه توفي سنة خمس وعشرين ومائة ، قبل قتل الوَليد بن يزيد بقليل ، وكان له يوم مات سبعون سنة .

وولد المهدي أميرُ المؤمنين في السنّة التي مات فيها محمد بن علي فسمّي باسمه وكني أبا عَبْد الله بكنيته ، وكانت وفاة المهدي سنة تسع وستين ومائة وله ثلاث وأربعون سنة .

وقال ابو اليقظان : مات وله ثمان وثلاثون سنة ؛ وولد محمد بن سليمان بن علي والمهدي في سنة واحدة .

وقال المدائني : توفي محمد بن علي سنة اربع وعشرين ومائة وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة .

قالوا : وكانت الشيعة تروي أن الامامَ محمدُ بن علي ، فيظن أنه ابنُ الحنفية ، فلما مات ابن الحنفية قالوا : الامام ابنه عبد الله بن محمد بن علي ، وهو أبو هاشم ، فلما سُمّم أبو هاشم في طريقه وهو يريد الحجاز عَدَل إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالحُميمة فأوصى إليْه وأعطاهُ كتُبه وجمع بينه وبين قوم من الشيعة ، فقال : إنا كنا نظن أن الإمامة والأمر فينا فقد زالت الشبهة وصرح اليقين بأنك الإمام والخلافة في ولدك ، فمال إليه الناس فثبتوا إمامته وإمامة ولده .

حدثنا أبو مسعود الكوفي ، حدثني بعض آل خالد بن عبدالله القسري قال : لم يكن خالد يشك في إمامة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، فكان إذا بعث إلى وجوه الناس بالهدايا مع ما يبعث به إلى هشام ، بعث إلى محمد بن علي بدنانير ، فبعث اليه مرّة من المرات بثلاثة آلاف دينار ولم يبعث بغير ذلك كراهة الشُّهرة ، وكتبَ إليه كتاباً عنوانه : من خالد بن عبدالله إلى محمد بن علي ، وفي باطنه : لأبي عبدالله أصلحه الله من خالد بن عبّد الله ، فقال محمّد : وَصَلَ الله أبا الهيثم وحفظه فوالله مازال يبرّنا مذ ولي .

وحدثني الحسن بن علي الحرمازي عن أبي سليمان مولى بني هاشم قال : كان الخراسانيون الذين قدموا لطلب الامام يقولون : هذا أمر لا يصلح الا لذي شرف ودين وسخاء ، فتبعه قومٌ لشرفه وآخرون لدينه وآخرون لسخائه ، وأتوا رجلاً من وَلَد علي بن طالب فدلّهم على محمَّد بن علي بن عبدالله وقال : هو صاحبكم وهو أفضلنا فأتوه .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال : أن محمد بن علي اختار خراسان وقال : لا أرى بلداً إلاّ وأهله يميلون عنا إلى غيرنا ، أمَّا أهل

الكوفة فميلهم إلى ولد علي بن أبي طالب ، وأما أهل البصرة فعثمانية ، وأما أهل الشام فسفيانية مروانية ، وأما أهل الجزيرة فخوارج ، وأما أهل المدينة فقد غلب عليهم حبّ أبي بكر وعمر ، ومنهم من يميل إلى الطالبيّين ، ولكن أهل خراسان قوم فيهم الكثرة والقوة والجلد وفراغ القلوب من الأهواء ، فبعث إلى خراسان ، وقد كان أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية سمّى له قوماً من أهل الكوفة .

وحدثني حفص بن عُمر العُمَري عن الهيثم بن عدي عن معن بن يزيد ، وحدثني محمد بن الأعرابي عن بعض ولد قحطبة قالوا : قدم على محمدٍ بن علي ناسٌ من أهل خراسان من الشيعة بعد مولد أبي العباس ، فأخرجه إليهم في خرقة وقال : هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يده ، فقبلوا أطرافه .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، والمدائني عن ابن فايد وغيره ، وأبو اليسع الأنطاكي عن أشياخه قالوا : كانت رَيْطَة بنت عبيد الله بن عبدالله بن عبد المدان الحارثي عند عبدالله بن عبد الملك بن مروان فمات عنها فتزوجها بعده الحجاج بن عبد الملك بن مروان فطلقها ، فقدم محمد بن علي بن عبدالله من الشراة وهو يريد الصائفة فسأل عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ خليفة ، ان يأذن له في تزوجها ، فقال : ومن يمنعك رحمك الله من ذلك إن رضيَت ، هي أملكُ بنفسها ، فتزوجها بحاضر قنسرين في دار طلحة بن مالك الطائي ، واشتملت على أبي العباس وولدته في سنة مائة ، وقيل في سنة إحدى ومائة .

المدائني عن الحسن بن رشيد ويحيى بن الطفيل ، أن الامام محمد بن علي قال : لنا ثلاثة أوقات : موتُ الطاغية يزيد ، ورأس المائة ، وفتقٌ بإفريقية ، فعند ذلك يدعو لنا الدعاة ثم يقبل أنصارنا من المشرق حتى يوردوا خيولهم أرض المغرب ويستخرجوا ما كنز الجبارون فيها ، فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ، وانتقضت البربر ، بعث رجلاً إلى خراسان فأمره أن يدعوا إلى الرضا من آل محمد ولا يسمّي أحداً ، ومثّل له مثالاً يعمل به ، فأجابه ناسٌ ، فلما صاروا سبعين جعل منهم اثني عشر نقيباً .

وحُدثتُ عن أميّة بن خالد البصري عن أبيه عن وضاح بن خيثمة قال : لما استُخلف عمر بن عبد العزيز دفع إليَّ يزيد بن أبي مسلم فحبسته ، فنذر دمي ، ووليّ إفريقية وكنت بها فجعلتُ أتفارّ منه ، ثم إنه ظفر بي فقال : طال ما نذرتُ دمك ، قلت : وأنا والله طال ما استعذت بالله منك ، قال : فوالله ما أعاذك ، والله لو ان ملك الموت يسابقني إلى قبض روحك لسبقته ، قال : وأمر بالنطع فبسط وكُتِّفتُ وقدم السيف لتضرب عنقي ، وأقيمت صلاة العصر فوثب ليصلي ، فوالله ما فرغ من صلاته حتى قطع إرباً إرباً ثم جاءوا فحلّوا كتافي . قال : وكان جنده من البربر فوسمهم على أيديهم ، في إحدى يدي الرجل اسمه وفي الأخرى حَرَسيّ ، وأساء سياستهم فوثبوا فقتلوه .

حدثني أبو حفص الشامي عن أبيه عن أبي معن الكدادي قال : مرَّ قومٌ من سفهاء بني أميّة بالحميمة فتكلموا في محمد بن علي وولده بكلام قبيح ، فقال محمد بن علي : دعوهم فربما كان السكوت جواباً والحلم أبلغ في

رضى الله من الانتقام ، وجعل يقول : ومن ﴿بُغي عليه لينصرنّه الله﴾[١] .

حدّثني عَبْد الله بن مالك الكاتب عن أبي عبيدالله قال : كان محمد بن علي الامام يقول : الصّدق محمود في كل موطن إلاّ صدق ذي السعاية والنميمة ، فإنه شرّ ما يكون أصْدق ما يكون .

وحدّثني أبو مسعود الكوفي عن غالب بن سعيد عن زياد بن أبي عامر الشروي قال : سمعت محمد بن علي يقول : كان يقال إذا سمعتَ العَوْراء فتطأطأ لها تُخْطِك . قال : وسمعته يقول ، أو يحدث عن أبيه أنه قال : طاعةُ المحبّة أفضلُ من طاعةِ الهيبة .

حدّثني ابن القتّات عن اسحاق بن عيسى بن علي قال : كان محمد بن علي يقول : لن يبلغ الرجل غاية الحلم حتى يُعَدّ ذليلاً ، قال : وكان يقول : كفاك من حظّ البلاغة ان تقول فتُفهِم ، وتصفَ فتُوجز .

وحدّثني ابن القتات قال : قال محمد بن علي : لا يدرك الشباب بالخضاب ، ولا الغنى بالمُنى ، ولا العلم بالادّعاء . قال : وكان محمد بن علي يقول : شر الآباء من دعاه البرّ إلى الافراط ، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق .

وحدّثني بعض الهاشميين أن موسى بن محمد بن علي غزا مع أبيه في غزاة ذي الشامة المعيطي فمات ببلاد الروم فقدَّم محمد بن علي ذا الشامة فلم يتقدم ، فصلى عليه ووقف ذو الشامة على قبره حتى دُفِن ، فشكر ذلك له بنو العباس فلم ينالوا مُعَيْطياً بمكروه .

---

١ ـ سورة الحج ـ الآية : ٦٠ .

حدّثني أبو مسعود بن القتات عن زهير بن المسيب الضبي عن أبيه قال : وفد محمد بن علي الامام على هشام بن عبد الملك فلما دخل عليه قال : ما جاء بك ؟ قال : حاجةٌ يا أمير المؤمنين ، قال : انتظر بها دولتكم التي تتوقعونها وتروون فيها الأحاديث وترشحون لها أحداثكم ، فقال : اعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ثم نظر الى حاجبه نظرة مُغضَبٍ لإذنه لهُ ، فدنا الحاجب منه فقالَ ، أُصدقُك والله يا أمير المؤمنين ، إني رجل عقيم فسمعني أشكو ذلك فقال : إن عندي دعوات رويتها عن أبي عن أبيه عن رسول الله ﷺ يدعو بها مثلك فيرزق الولد ، فإن علمتك إياها تأذن لي ؟ فضمنتُ له فعلمنيها ووفيتُ له ، فقال : قبحك الله فما أعجز رأيك ، لهَممتُ أن أضرب عنقك ، إنّ هؤلاء قوم جعلوا رسول الله لهم سوقاً . ثم قالَ لمحمد بن علي : ان عامل ناحيتكَ كتب يُعلمنا أن الولاة قبْله تركوا لكم من الخراج مائة ألف درهم في سنين لغير حقّ واجب فَأَدِّ ذلك ، وأمر ان يؤخذ بالمائة الألف فيقام في الشمس ويُبسط عليّه العذاب . وكان في عسكر هشام يومئذ عيسى بن إبراهيم أبو موسى السراج الذي كان أبو مسلم يتعلم منه السراجة ويخدمه ، وأبو مسلم يومئذ معه ، وكان عيسى يومئذ من أهل الكوفة ، ورئيساً من رؤساء الشيعة ، وكان موسراً يأتي بالسّروج إليها وإلى أصبهان والجبال ، والرقّة ، ونصيبين ، وآمد ، ونواحي البلاد فيبيعها بها ، فجمع نفراً من الشيعة ذوي يسار وانطلق بهم إلى سالم كاتب هشام فضمنوا ما على محمد بن علي وجعلوا يؤدّون عنه الأوّل فالأوّل منه ، وأبو مسلم يأتي محمد بن علي برسالة صاحبه وألطافه وما يجب معرفته من الخبر ، فلما أدّيت المائة الالف كُلِّم هشام في محمد بن علي فخلَّى سبيله، فرجع إلى الحميمة ،

ورجع أبو موسى السراج إلى الكوفة وأبو مسلم معه وهو يومئذ ابن عشرين سنة ، وكان أبو مسلم يسمى إبراهيم بن حَيُّكان ، فتسمى عبد الرحمن بن مسلم ، ويقال إن الذي سماه عبد الرحمن وكنّاه أبا مسلم إبراهيم بن محمّد الإمام .

حدّثني هشام بن عمار عن أشياخهم أن هشام بن عبد الملك هَمَّ بحبس محمد بن علي وَوَلده وقال: إنهم يزعمون أن الخلافة تصير إليهم فقد استشرف الناس لهم ، فقال له الأبرش الكلبي ، واسمُه سعيد بن الوليد بن عبْد عمْرو : إن كان في المقدور أن ينالوا الخلافة فلابد والله أن ينالوها ، فلا تقطع أرحامهم وتأثم بربّك فيهم ، وصانعهم فإن مصانعتك إياهم لعقبك لَهُوَ الرأي والحزم ، وإلّا يكونوا ، من هذا الأمر في شيء فما خوفك لما ليس بمقدور ؟ على أن إظهارك التخوف لهم تنبيه للناس عليهم ، فأمسك .

وحدّثني سليمان المؤدب الرقي عن الحجاج الرُّصافي عن أبيه ، قال : نظر عبد الملك بن مروان إلى محمد بن علي وهو غلام ، وكان جميلاً ، فقال : هذا والله يفتن المرأة الشريفة ، فقال خالد بن يزيد بن معاوية : أما والله إن ولده لأصحاب هذا الأمر ، فقال عبد الملك : كلا ، فقال خالد : هو والله ذاك ، إنّ تُبَيْعاً أخبرني عن كعب أن هذا الأمر يصير إلى بني العباس وأنه لا يليه رجل من آل أبي طالب إلا أن يخرج على وال فيقتل ، وأنها لولد العباس إلى أن ينزل المسيح ، قال : وتبيع ابن امرأة كعب .

وكان محمد بن علي يقدم المدينة في كل سنة فيقيم بها الشهر والشهرين ويؤتى بالمال فيفرقه ، وكان يمر بمولى لبني أميّة يبيع الحديد فاذا رآه ومعه أهل بيته قال : هؤلاء الزنادقة الذين يتمنون الباطل ، والله لا يخرج هذا الأمر من

موضعه أبداً . فقال محمد لابن شعبة مولاه : امض فترفق به حتى تدخله إليّ ، فأتاه فجالسه أياماً ثم لطف به حتى أدخله الدار ثم أمر بابها فأُغلق واحتمله وغلمانٌ معه حتى أُدخل على محمد بن علي ، ومعه قوم من أهل بيته وغيرهم يأكلون ، فرحّبَ به وأدناه وأجلسه بينه وبين عبدالله بن حسن ، وجعل يلقمه بيده ، ثم خلع عليه وأعطاه ثلاثمائة دينار وثياباً لعياله ، فلما مرّ به بعد ذلك في أهل بيته قال : هؤلاء أقمار الدجى ، وأهل النبوة والخلافة والهدى ، فقال محمد لابن شعبة : قل له عليك بالقصد لا هذا كله ، ولا الذي كان قبله .

وحدّثني سليمان ، حدثنا الحجاج الرصافي عن أبيه ، قال : كان هشام بن عبد الملك بالرصافة[1] قاعداً في منظرة له فرفع له رَكبٌ ، فقال يا غلام : ائتني بخبر هؤلاء ، فمضى بعض من كان بين يديه حتى تلقاهم فقال : من أنتم ؟ قالوا : هذا محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وأخوته ، قال : فما أقدمكم ؟ قالوا : قدمنا نشكو إلى أمير المؤمنين حالنا ودَيْننا ، فرجع إلى هشام فأخبره ، فقال : ارجع فقل لمحمد ارجع من حيث جئت وانتظر أن يقضي دينك ودينَ أخوتك ابنُ الحارثية ـ يعني أبا العباس ـ فقال محمد بن علي : قل لأمير المؤمنين إنِ كان الأمر صائراً إلى ابن الحارثية فما عليك أن يكون لكم عنده يد ، وإلّا يكن ذلك فعلام تحرمنا فضلك وصلتك وعائدتك ! فقال هشام للرسول : قل له ما قلت لك وازعجهم حتى يرجعوا عودهم على بدئهم ، فقال محمد : دعونا لنريح فقد نصبنا وتعبنا ، فابلغوا قولهم هشاماً فأذن لهم فأراحوا ، فلما جن عليهم الليل أتى محمداً بعض

١ ـ على مقربة من الرقة ما تزال آثارها قائمة .

جلساء هشام يعرض عليه مالاً فلم يقبله ، وسأله عن ابن الحارثية فأراه أبا العباس وهو صبي ثم رجع الى الشراة وقال : اللهم ان هذا بعينك .

قالوا : وكانت لمحمد بن علي بالحميمة خمسمائة شجرة ، فكان يصلي تحت كل شجرة ركعتين ، وتوفي محمّد في سنة أربع وعشرين ومائة .

وأما داود بن علي :

فيكنى أبا سليمان ، وكان لسناً خطيباً ، وَلِيَ مكة والمدينة لأبي العباس ، وأقطعه قطائع ، وهو كان المتكلم يوم استخلف أبو العباس .
وكان داود في أيام بني أمية مع خالد بن عبدالله القسْري ، وكان خالد مكرماً له ، ولما قدم داود مكة والياً عليها قام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه : والله ما قمنا إلّا لإحياء الكتاب والسنة والعمل بالحق والعدل ، ورَبِّ هذه البنية ، ووضع يده على الكعبة ، لا نُهيجُ منكم أحداً إلّا أن يُحدثَ بعد يومه هذا حدثاً ، أمِنَ الأسودُ والأبيضُ ، ممّن لم يأت بعد هذا اليوم سوءاً ولم يُحاول لأمرنا نَقْضاً ولا علينا بغياً ، ما بال الوحوش والطير تأمنُ في حرم الله ويخاف من أمنّاه على سالف ما كان منه ؟

حدّثني المدائني عن إسحاق بن عيسى بن علي قال : ولم يكن منّا من يرتجل الكلام ويبلغ حاجته في الخطب إلّا المنصور ، وداود بن علي ، فلما رقي داود منبر الكوفة ، حين ظهر أبو العباس بالكوفة وقام دونه على المنبر ليخطب ، خفنا أن يتكلم بحلاوة لسانه وتصاريف لفظه ولطف حيلته فيدعو

إلى نفسه ، وليس بوقتِ خلافٍ ، فتكلم في بيعة أبي العباس وبلغ له ما كنا نريد .

وحدّثني أبو مسعود الكوفي ، حدّثني أبو الحسن إسحاق بن عيسى قال : لما أراد أبو العباس قتل أبي سلمة الداعية لميله إلى آل أبي طالب قال له داود : لا تَتَوَلَّ قتله فيحتجَّ عليك أبو مسلم بذلك ، ولكن اكتب اليه فليُوجِّه من يقتله ، ففعل ، فكان ذلك أصوب رأي ، ومدحه ابنُ هَرْمة وفيه يقول :

داود داود لا تُفْلِت حبـائله واشدُد يديك بباقي الودّ وصّال[1]

في أبيات .

قالوا : ولما بلغ داودَ قتلُ ابن هبيرة وقتلُ مروان وهو بالحجاز التقط قوماً من بني أميّة فقتلهم ببطن مُرّ[2]، ووجّه [أبا] حماد إبراهيم بن حسان الأبرص إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة فقتله ، ويقال بل بعث به إليه من العراق ، وتوفي داود بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولي مكانه موسى بن داود ثم صُرِف ، وولّى أبو العباس مكانه زياد بن عبيدالله الحارثي ، وسيب بني داود ببغداد نُسِب إلى بني داود بن علي .

حدثني العمري عن الهيثم عن ابن عياش ، قال : قدم داود بن علي وزيد بن علي ، ومحمد بن علي ، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب على خالد القسري وهو بالعراق فأجازهم ورجعوا إلى المدينة ، فلما ولي يوسف بن عمر كتب إلى هشام بخبرهم ، وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف درهم ، ثم ردّ الأرضَ عليْه . فكتب هشام إلى عامله

---

١ ـ ديوانه ص ١٧٨ .

٢ ـ يبعد عن مكة المكرمة خمسة أميال . معجم البلدان .

بالمدينة أن يشخصهم إليه ففعل ، فسألهم هشام عما كتب به يوسف فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك ، وأنكر زيد أمر الأرض ، وحلفوا فصدّقهم ، وقال هشام لداود ، أنت أصدق من ابن النصرانية[1] فصر إلى يوسف فأكذِبْهُ في وجهه ، قال ابن هرمة في شعر له يمدح داود :

اروع لا يُخلفُ العدات ولا   يمنـع منه نـوالـه العِلَلُ
لكنّـه ســابـغ عـطيّتـه   يدركُ منه السؤّال ما سألوا
يسبق بالفعل ظنَّ صاحبه   ويُذهِبُ الرّيث عُرْفُه العَجلُ
حَلَّ مِنَ المجد والمكارم في   في خير محلّ يحله رجُـل[2]

---

١ ـ خالد بن عبدالله القسري .
٢ ـ ليست في ديوانه المطبوع .

وأما عيسى بن علي :

ويكنى أبا العباس ، فإن أمير المؤمنين أبا العباس ولاه فارس ، فلما قدمها وجد بها محمد بن الأشعث الخزاعي من قبل أبي مسلم ، وجّهه من خراسان ، فلم يسلّمها وأراد قتله : ثم أحلْفَه أن لا يلي عملاً أبداً ، ولا يتقلد سيفاً ، إلا لغزوٍ ، وكان عيسى أثيراً عند أبي العباس وأبي جعفر ، ونهر عيسى وقطيعة عيسى ببغداد عند فُرضَة الرّكاب إلى واسط والبصرة يُنسبان إليه ، وقصر عيسى معروف ، وفيه توفي إسحاق بن عيسى ، ثم نزلته أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، ثم صار بعدها لولد أمير المؤمنين المأمون .

سمعتُ إبراهيم بن السندي بن شاهك يحدث عن أبيه ، قال : ولّاني المنصور الشرقيّة ببغداد فمر بي عيسى بن علي ، فقمت إليه فقبّلتُ يدهُ ، فقال : يا سندي أقللِ الضرب وأطل الحبس ، وأهنِ السبال في الشفاعات ، ففعلتُ ما أمرني به ، فكنت محموداً عند المنصور[1] .

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

وأما سليمان بن علي :

ويكنى أبا أيوب ، فإنه كان مُقدَّماً عند أبي العباس وأبي جعفر ، ووَليَ البصرة وكور دجلة والأهواز والبحرين وعمان للمنصور بعد أبي العباس ، وكان كريماً جواداً مرّ برجل قد حمل عشر ديات ، فهو يسأل فيها فأمر له بها كلها ، وسمع وهو في سطحٍ له نسوة كنّ يغزلن في سطح لهنّ بقُرْبه يقلن ليت الأمير اطلع علينا فأغنانا ، فقام فجعل يدور في قصره فجمع حلياً من ذهب وفضة وجوهر وصير ذلك في منديل ، ثم أمر فالقي إليهن فماتت إحداهن فرحاً ، ويقال إنه أُخبر بقول النسوة ففعل ذلك .

وكانت له بالبصرة آثار جميلة ، كان الناس بها يستعذبون الماء من الأُبلة حتى قدم سليمان بن علي فاتخذ المغيثة وضرب مسناتها على البطيحة وسكّر القِنْدَل[1] فعذب ماء أهل البصرة ، وأنفق على المغيثة ألف ألف درهم حتى استخرجها من بطن البطيحة ، وبنى مساجد كثيرة فقال الشاعر :

---

١ ـ القندل : من أخوار دجلة .

كم من يتيمٍ ومسكينٍ وأرملةٍ جبرتَه بعد فقرٍ يا سليمان
ومسجد خَرِبٍ لله تَعمرُه فيه كهول وأشياخٌ وشُبّان

واحتفر الحوض الذي في رحبة بني هاشم ، واتخذ مناراً بين البصرة ومكة ، فقال الراجز :

إن الأمير قد بنى المنارا واضحة يهدي بها السفارا

وجرى وادي العقيق بالبصرة فأخرب دوراً من دور العتيك ، فدفع إلى جرير بن حازم مائة ألف درهم ، فعمر بها ما خرب من دورهم .

وكتب عَبْد الله بن حسن بن حسن بن علي إلى سليمان يستميحه ، فأرسل إليه بألف دينار وأمر كاتبه غسّان بن عبد الحميد أن يكتب إليه فيعلمه أنّ البُقْيا عليه وعلى نفسه منعته من أن يزيدهُ .

وقال سفيان بن عيينة : كُلّم سليمان في أهل عسْقلان فأمر لهم بثلاثين ألفاً ، فيقال إنه سليمان بن علي ويقال إنه سليمان بن عبد الملك .

وقدم سليمان بن علي والياً على البصرة والحجاج بن أرطاة يلي قضاءها فعَزلهُ ، وولّى عباد بن منصور ، ثم عزله وولّى سَوّار بن عبد الله فاستعفى فأعفاه وأعاد عباداً وفيه يقول الشاعر :

ألا أيها القاضي الذي الجور له عاده
أعادوك لكي تقضي لمعروف بحمّاده

وكان سليمان أول من قدّم الصّلاة قبل الخطبة في العيد من عُمّال أبي العباس فضجّ الناس وقالوا : ذهبت السنّة .

قالوا : وكان سليمان حليماً رفيقاً لم يعرض لمن كان بالبصرة من بني أميّة فلم يسلموا في بلد سلامتهم بالبصرة ، وكتب أبو العباس إلى سليمان بن

علي في قبض أموال بني زياد بن أبي سفيان ، فأرسل إلى مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد وغيره : إن أمير المؤمنين كتب إليّ في قبض كل خضراء وبيضاء لكم ،فإني [إن] كتبتُ أني لم أجد لكم خضراء ولا بيضاء لم آمن أن يأتيكم من يقبض ذلك ، فإن احببتم فحدّوا لي من أموالكم شيئاً ظاهراً أقطع به عنّي قالته وسوء ظنه ، فحدّوا له ثماني مائة جريب أظهروها فقبضها ، ولما صار عبد الله بن علي إلى سليمان رأى رجلاً على بغل أو برذون فاره وله سرج نظيف ، ولجامه محلّى ، فقال : من هذا ؟ قال له سليمان : هذا سلم بن حرب بن زياد ، فقال : أوَ قد بقي من آل زياد مثل هذا ؟ فقال سليمان : نعم لم أجد إليهم سبيلاً ، منعني منهم الحق ، قال : اما والله لئن بقيت لهم لأبيدنّهم ، فبلغ ذلك سلْماً فهرب عن البصرة فلم يدخلها حتى شُخِصَ بعبد الله عنها .

قالوا : وقدم الحكم ، ومحمد ، وعمر بنو الصلت بن يوسف بن عمر البصرة فنزلوا في بني سعد مستخفين ، فظهرت لهم هيئةٌ في لباسهم ومطعمهم ، فحسدهم بعض جيرانهم أصحاب الدار التي نزلوها فسعوا بهم إلى سليمان بن علي ، فأرسل إليهم من أتاه بهم في ستر ، فقال : من أنتم ؟ فانتسبوا له ، فقال : يا بني اخي كان ينبغي لكم إذ اخترتم هذه الناحية أن تستخفوا في الزطّ والأندغار ، وإلا ففي عبد القيس أو بني راسب ، ثم أطلقهم .

حدّثني عمر بن شبّة عن محمد بن عبيد بن عمر ، وأخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال : قال لي عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان : جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن منتشر الاموال ، فكنت

لا أكون في قبيلة إلا شُهر أمري ، فلما رأيت ذلك عزمت على أن أفدي حرمي بنفسي ؛ قال : فأرسل إليّ أن القنيَ على باب الأمير سليمان بن علي ، فانتهيت اليه فاذا عليه طيلسان مطبق جديد وسراويل وشي مسدولة ، فقلت : يا سبحان الله ما تصنع الحداثة ، أهذا لِبْسُ هذا اليوم ؟ فقال : لا ولكنه ليس عندي ثوب إلا وهو أشهر ممّا ترى ، قال : فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه وشمرتُ سراويلَه إلى ركبتيه ، قال فدخل على سليمان ثم خرج مسروراً ، فقلت له : حدثني بما جرى ، فقال : دخلت على أكرم الناس وأحلمهم وأنبلهم ، فلما وصلتُ اليه ولم يرني قط قلتُ : أصلح الله الامير لفظتني البلاد إليك ، ودلّني فضلُك عليك فإمّا قبلتني غانماً أو رددتني سالماً ، قال : ومن أنت ؟ فانتسبت له ، فقال : مرحبا بك ، اقعد فتكلّم آمنا ، ثم أقبل علي فقال : حاجتك يا بن اخي ، قلت : إن الحُرَم اللائي أنت أقرب الناس إليهن معنا وأنت أولى الناس بهن بعدنا ، وقد خِفْنَ لخوفنا ، ومن خافَ خيفَ عليه . قال : فبكى ثم قال : يا بن أخي يحقن الله دَمَكَ ويحفظك في حرمك ، ويوفر عليك مالك ، ولو أمكنني ذلك في جميع أهلك لفعلت ، فكن متوارياً كظاهر ولتأتني رقاعك في حوائجك وأمورك ، قال : فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه . قال : فلما فرغ من حديثه رددتُ عليه طيلسانَه ، فقال : مهلاً فإن ثيابنَا إن فارقتنا لم ترجع إلينا .

وقال عبد الله بن علي لسليمان : اخرج بنا إلى بعض المتنزهات ، فخرجا ومعهما حميد الطويل ، فمّرا بمنزل عطاء السليمي فدخلوا عليه فلم يزل يعظهم حتى بكى سليمان وأمر بما حمل معه من الطعام أن يتصدق به على

فقراء الخُرَيبة ، وانصرف ، فجعل عبد الله بن علي يقول : ما لنا ولعطاء السّليمي .

وحدثت أن سليمان بن علي أعتق خلقاً ، كان يعتق في كل عشية عَرَفَة مائة نسمة ، فهم متفرقون بالبصرة ، فإذا كانَت كتب لعطاء : اكتبوا في الموالي ، وكانوا يُشترون له في سائر السنة فإذا كان ذلك اليوم أعتقهم ، ويقال إنه أنفق في الموسم في صِلاتِ قريش والأنصار وسائر الناس في الصّدقات خمسة آلاف ألف درهم ، ويقال ألف ألف درهم . وتوفي في سنة أثنتين وأربعين ومائة وهو ابن ثلاث وستين سنة وصلى عليه عبد الصمد بن علي .

وقال أبو نخيلة[1] في سليمان بن علي :

جاورتُ بالبصرة قرما ماجداً ... أمسى لسادات الرجال سائدا
بنو علي فرّجوا الشدائدا ... أكرم بهم وبعليّ والدا
يا خير خلق مُقدماً وصافدا

في أبيات . وقال أبو القوافي الاعرابي يمدح سليمان في أرجوزة طويلة :

يطلبن بالمدح عجالاً شُرَّبا ... جدوى سليمان فلا مستجدبا
خير قريش من قريش منصبا ... وخيرها خالاً وعمّاً وأبا
وخير ذي قربى لمن تقربا

ومدحه رؤبه وغيره .

قالوا : وكان المنصور جعل لسليمان جميع ما يجتبي من عمله ، فكان يقسم في السنة أموالاً عظاماً .

١ ـ أبو نخيلة اسمه لا كنيته ، ترجم له صاحب الأغاني ج ٢ ص ٣٩٠ ـ ٤٢٢ .

فولد سليمان بن علي : جعفراً ، ومحمداً ، وابراهيم ، وهارون ، وموسى ، وعليّاً ، وعبد الرحمن ، وعبد الرحيم ، وعيسى ، وعبد الله ، واسحاق ، لأمهات شتى . وكان له بنات منهن : عائشة بنت سليمان تزوجها عبد الوهاب بن إبراهيم الامام ، ومنهن زينب بنت سليمان تزوجها محمد بن إبراهيم الامام . وكان جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي لأم الحسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، ووَلي عبد الرحمن بن سليمان ـ ويكنى أبا الفضل ـ للرشيد السّند . ووَلي عَبْد الله بن سليمان ـ ويكنى ابا العباس ـ للمهدي اليمن ، وفيه يقول الشاعر :

قل لعبد الله يا حلف الندى ... وربيع الناس في قحط الزمن
أشرقت بغـداد لمـا جئتهـا ... واقشعّرت حَزَناً أرض اليمن

وولي إسحاق بن سليمان ـ ويكنى ابا يعقوب ـ المدينة ، والبصرة ، والسّند ، ومصر لهارون الرشيد ، وولي حمص ، وأرمينية لمحمد بن الرشيد .

وأمّا محمد بن سليمان ـ ويكنى أبا عبد الله ـ فإنه ولي الكوفة والبصرة لأبي جعفر المنصور ، وكان عليها قبله سلم بن قتيبة ، فكتب إليه في هدم دور من خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ، فكتب إليه يسأله الصّفح عنهم ، فقال : لو كتبتُ اليه في شربة ماء لراجعني ، فعزله وولّى محمداً مكانه . ثم ولي : البصرة ، وكور دجلة ، وفارس ، والأهواز ، واليمامة ، وعُمان والبحرين للمهدي ، ولموسى ، وهارون ومات وهو ابن احدى وخمسين سنة .

قال عبد الله بن صالح المقرىء : ولي محمد بن سليمان الكوفة لأبي جعفر فولى شرطته المساور بن سوّار الجَرْميّ ، واستخلف المساور زهدماً ، فقال الشاعر :

قل للمساور إن زهدم جائرٌ فخفِ الاله وأَعْفِنَا من زهدم
ما أن يبالي ويحه من لامه من خَلق ربك كلهم في الدرهم

وحدّثني أبو محمد التوزي النحوي ، حدّثني أبو عبيدة عن أبي سفيان بن العلاء قال : كنا بالكوفة مع محمد بن سليمان ، فسأل عن إبراهيم النخعي أعَرَبيٌّ هوَ أم مولى ؟ فاختلفوا عليه فيه ، فأرسل إلى عرفاء النخع فأتوه بديوانهم فوُجِد في الديوانِ مولىً .

وقال التوزي : وقد سألتُ ابن الكلبي عنه فقال : هو إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع ، ويكنى أبا عمران وكان أعور .

وحدّثني عبد الله بن صالح العجلي عن أبي زبيد عبَثْر قال : ولّى أبو جعفر محمد بن سليمان بن علي الكوفة بمشورة عيسى بن علي ، فشهدت جماعة من أهل السوق على عبد الكريم بن نويره ـ وهو ابن أبي العوجاء الذهلي ـ أنه رأى عدلاً قد كتب عليه صاحبه آية الكرسي فقال له : لم كتبت هذا ؟ قال : لئلا يسرق ، فقال عبد الكريم : فقد رأينا مصحفاً سرق ، وشهد عليه انه صلى فقيل له : أنت لا تؤمن بما جاء به فلم تصلي ؟ فقال : هي عادة الجسد[1] ، وسنة البلد ، وإرضاء الأهل والولد . فأمر بحبسه ، فكلم فيه

١ ـ في متن الأصل «البدن» وقد صححت بالهامش «الجسد» .

فقال : أذكرتموني أمره ودعا به فضرب عنُقُه ، قال عَبْثَر : فزعموا أنه لما أيقن بالقتل قال : لئن قتلتموني لقد وضعتُ في احاديثكم أربعة آلاف حديث .

قال عبد الله بن صالح : وأنكر المنصور على محمد بن سليمان قتله ابن أبي العوجاء من غيرِ مؤامرة له وقال : أيُقتل رجلٌ من العرب بغير علمي ، وأغضبه ذلك . وكان معن بن زائدة يشكو فعل محمد بن سليمان إلى المنصور ويقول : قتل رجلاً بريئاً مما قُرِفَ به ، وإنما قتله لأنه قال : انا تلميذ الحسن ، فقال : «تلميذ» من قول الزنادقة . وبعث المنصور إلى عيسى بن علي فقال له : أيقتل محمد بن سليمان رجلاً بشهادة قوم رعاع لا يدرىٰ من هم ؟ لقد هممتُ أن أقيده به ، فقال له عيسى : إن محمداً قتله على زندقة هو ينسب إليها ، فإن كان قتله صواباً فهو لك وإن كان خطأ فهو على محمد ، والله لئن عذلت محمداً على ما صنع ليذهبن بالثناء والذكر ولترَجِعنّ القالةُ من العامة عليك ، وقد كان المنصور أمر بعزل محمد وكُتبت الكتب ، فدعا بها فمزقت ، وقال لعيسى : أغررتني من هذا الغلام .

وقال أبو اليقظان : أتى أبو الزحف بن عطاء بن الخطفي محمد بن سليمان فأمره أن ينشده وهو سكران فقال :

يا بن سليمان أقلني عثرتي   يا بن الملوك وأَسِغْني ربقتي
حتى تجلِّي عن فؤادي غمتي   ثم اجمع الرّجاز عند صولتي
كل فزاريّ دهين اللِمّةِ   أبو بدويّ ودعٍ ذي ثُلّة

وحدّثت ، أن جعفر بن سليمان بن علي وَليَ المدينة بعد قتل محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسَن ، وكان أبو بكر بن أبي سبرة ، وهو أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن عبْدالله بن أبي سبرة بن أبي رُهم ، أحد بني عامر بن

لؤي ، الفقيه ، عاملاً على الصدقات من قبل عامل المنصور ، فلما خرج محمد بن عبْدالله أتاه بما اجتمع عنده من المال فقواه به ، فحبسه عيسى بن موسى بن محمد بن علي حين قتل محمداً ، وخرج سودان بالمدينة وعليهم رجل منهم يقال له اويتُوا فكسروا باب السجن وأخرجوه فيمن اخرجوا ، وأرادوا فك حديده فأبى وعاد إلى محبسه . وقيل له حين أُخرج : صلِّ بالناس ، فقال : كيف يُصلي بالناس أسير؟! وبلغ ذلك أبا جعفر المنصور فرضي عنه وأوصى به جعفراً وقال : أطلقه وارفعه فقد أحسن بعد أن أساء ، ولعله فعل ما فعل ابقاءً على نفسه وحَقْناً لدمه ، فلما قدم جعفر المدينة أخرج ابن أبي سبرة وأطلقه وبره وأكرمه ، فقال له : أصلح الله الأمير إن حالي مختلة ودَيْني كثير لما نالني ، وبيني وبين معن بن زائدة مودّة فاكتب لي إليْه بالوَصاة والصّلة . فإنه إذا قرأ كتابك بذلك لم يستوحش مني ، فكتب له بما سأل . فلقي الراتجي (١) فدعاه إلى الخروج معه وأعطاه دنانير خلفها نفقةً لعياله ، وسار إلى مكة فاعتمرا ، ثم مضيا جميعاً إلى اليمن ، فقال معن لابن أبي سبرة : إن جعفراً أقدر على صلتك مني ، وكيف قدمت عليّ وقد عرفت ما كان منك ومن غضب أمير المؤمنين عليك ؟! فأخبره خبره وحلف له على رضى المنصور عنه ؛ فقال له : كم دينك ؟ قال : أربعة آلاف دينار ، فأمر له بسبعة آلاف دينار وقال : إني إنما كلمتك بما كلمتك به على رؤوس الناس وما كنت لأخيّبك ولو استمحتني وأنت في محبسك لوصلتك ، وأخبره بخبر الراتجي ، فلما راح إلى معن أدخله معه ، فأنشد الراتجي مَعْناً :

١ ـ الراتجي منسوب إلى راتج من أطام يهود المدينة ، وهو عباءة بن عمر الراتجي . سمط اللآلي ـ ط . القاهرة ١٩٣٦ ج٢ ص١٠٣ .

الراجي يقول في مدحٍ لأبي الوليد أخي الندى الغَمرْ
ملك بصنعاء الملوك له ما بين بيت الله والشحر
لو جاودته الريحُ مُرسَلة لجرى بجودٍ فوق ما تجري
حَمَلَتْ به أمٌ مباركة فكأنها بالحمل لم تدري

فقال معن : فكان ويحك ماذا ؟ قال :

حتى إذا ما تمَّ تاسِعُها ولدتهُ أوّل ليلة القدر

فقال معن : ثم ماذا ويحك ؟ قال :

وأتت به بيضاً أسرّته يُرجَى لحمل نوائب الدهر
مسح القوابلُ وجهه فبدا كالبدر أو أبهى من البدر
فنذرنَ حين رأينَ غرتهُ إنْ عاشَ أنْ سَيفِين بالنُّذر
لله صوماً شكرَ نعمته والله أهل الحمد والشكر

قال معن : ويحك ثم ماذا ؟ قال :

فأتى بحمد الله حين أتى حسن المروءة باقي الذكر
حتى إذا ما طَر شاربُه خشع الملوك لسيد قَهر
فإذا وهي ثغرٌ يقال لهُ يا معنُ أنت سدادُ ذا الثغر

فأمر له بألف دينار فأخذها وانصرف مع ابن أبي سبرة ، فأعطاه ابن أبي سبرة ألف دينار أخرى .

حدثني بكر بن الهيثم ، قال : سمعت عبدالرزاق يحدث ، قال : قدم ابن أبي سبرة على مَعْنٍ فأعطاه وكساهُ ، فقال ابن أبي سبرة : إن الله جعل من عباده معادن الخير ، ومعن بن زائدة من أفضلهم ، وبلغ المنصور خبرُ ابن أبي سبرة ، فكتب إلى جعفر بن سليمان : ما حَمَلك على أن أذنت لابن أبي سبرة

في الشخوص إلى اليمن ، واستوصلت له مَعْناً ؟ فكتب إليه : أوصيتني به وقلتَ أطلقه وأرفِقْهُ ، فكان عندي من الاستيصاء به وارفاقه أن كتبتُ له إلى معن ، فكتب إلى معن : ما حملك على ما صنعت بابن أبي سبرة ؟ فكتب إليه : إن جعفر بن سليمان كتب إليّ برضى أمير المؤمنين عنه واستماحَني له ، فظننت أنه لم يكن ليفعل ذلك إلّا بأمر أمير المؤمنين .

ومدح إبراهيم بن علي بن هَرْمة جعفرَ بن سليمان بأبيات يقول فيها :

إذا هاشم قادت لفخرٍ جيادها أتـوه فقـادوه أغـرّ مُحَجّـلا
فاحرز غايات الرهان ونحتها مُـريحـاً بأدنى شـأوه متمهّلا
إذا كسد الجودُ الربيح بسوقه أتى جعفرٌ فابتاعه ثم أجزلا
أرى جعفراً والله جارٌ لجعفر يجوّد في كسب العلا ويعمّلا

وقال فيه أيضاً :

وإن أمـير المؤمنـين بـرأفـةٍ علينا وخصيصاه أمَّر جعفرا
وثقنا بخير منك لا شرّ بعده فَأَسْهَلَ منّا آمناً من توعّرا[1]

في أبيات ، ومدحه شعراً فأعطاه . وقال فيه ابن المولى :

أوحشتِ الجمّاء[2] من جعفر وطال ما كـانت بـه تعمرُ
كم صارخ يدعو وذي كُرْبَةٍ يا جعفر الخيراتِ يا جعفـر

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٢ ـ الجماءات ثلاث بالمدينة ويبدو أي المقصود هنا الجماء الثالثة ، انظر المغانم المطابة (مادة : جماء) .

وأما صالح بن علي :

ويكنى أبا الفضل ، فهو المتوجه إلى مصر لمحاربة مروان بن محمد وعلى مقدمته عامر بن اسماعيل المُسلي ، فقتل مروان وفتح مصر ، ولم يَحُل عن طاعة أبي العباس ، ولا مال إلى عبدالله بن علي ، وقدم معهُ ابن لَهِيعة والليث بن سَعْدٍ . وكان قد أخذ خصيًّا لمروان فدلهم على البُرْد والقَعْب والمخضب والقضيب . ويقال : ان البرد لم يكن فيما دُلّ عليْه .

وحدثني عبيدالله بن عبد العزيز من ولد صالح بن علي قال : لما أُتي صالح برأس مروان وأمر بأن يُنتف وينفض انقطع لسانه فتناوله هِرْ ، فقال صالح : ماذا ترينا الأيّام من العجائب ، هذا لسان مروان في فم هرّ ! وقال الشاعر :

قد فَتّح الله مصراً عنوةً لكُم ... وأهلك الفاجر الجعديّ إذ ظلما
فـلاكَ مِقـوَلـه هِـرٌّ يجـرّره ... وكان ربُّك من ذي الكفر مُنتقما

وإنما قيل لمروان «الجعديّ» لأنه نُسب إلى الجَعْد بن درهم معلّمه وأليفه ، والجعد بن درهم مولى لسويد بن غفلة الجُعفي ، ويقال ، إنه مولى

لآل مروان ، وكان زنديقاً أو دهرياً فقيل لهشام بن عبدالملك : ان الجعد كافر ، وشهد عليه أن ميمون بن مهران وعظه فقال : لشَاةُ قياد أحَبّ إلي مما تدين به ، فقال له : قتلك الله وهو قاتِلُك .

ويقال إن ميمون بن مهران شهد عليه ، فطلبه فهرب إلى حران ، ثم إنه ظفر به فحمل إلى هشام فأخرجه من الشام والجزيرة إلى العراق ، وكتب إلى خالد بن عبدالله القسري يأمره بحبسه ، فلم يزل محبوساً حيناً ثم رفعت امرأته إلى هشام قصة في أمره ، فقال هشام : أوَ حَيٌّ هو ؟ قالوا : نعم ، فكتب إلى خالد يلومه على حبسه ويعزم عليه أن يقتله ، فقال خالد في يوم أضحى بعد فراغه من خطبته : أيها الناس انصرفوا إلى أضاحيكم فاني مُضَحٍّ بعدوّ الله الجعد بن درهم ، فلما انصرفوا قتله ، فيقال انه ذبحه ويقال انه ضرب عنقه . وقوم يزعمون ان الجعد كان يقول بقَوْل غيلان (1) وقد كذبوا .

---

١ ـ غيلان الدمشقي : انظر كتابي «مائة أوائل من تراثنا» ـ ط . دمشق ١٩٨٩ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٩ .

وأما اسماعيل بن علي :

ويكنى أبا الحسن ، فولّاه المنصور فارس والبصرة وكسكر ، ولما توفي أبو العباس تزوج امرأته أمّ سلمة بنت يعقوب ، فغضب عليه المنصور وقال : أتنكح امرأة أمير المؤمنين ! فطلقها ، ويقال إنه خطبها فلما غضب عليه أمسك ، ثم إنه رضي عنه .

وقال ابن الدمينة الخثعمي لأحمد بن اسماعيل :

يا أحمد الخير ابن اسماعيـلا   إليك اشكو الغلّ والكبولا
وغشم ظلم من بني سلولا   أزجي إليـك شارفـاً نسولا
أظلُّ فوق رَحلها معدولا

وأما عبد الصمد بن علي :

ويكنى أبا محمد ، فكان مع عبدالله بن علي بالشام ، فلما خَلَع عبدُالله صيّره ولي عهده ، فحارب أهل خراسان فظُفِر به ، وكلّم المنصورَ فيه إسماعيلُ بن علي فرضي عنه . وأنشد المنصور :

قل لاسماعيل لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصَّمَد

وهو شعرٌ قيل في عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ، وذلك أن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وَفَد على الشام ، وكان غلاماً ، فكان يختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى ، وهو يؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك بسبب الأدب ، فراوده عبد الصمد على نفسه ، فدخل على هشام مغضباً فقال :

انــه والله لــولا أنـت لم ينجُ مني سالماً عبدُ الصمد

قال هشام ولِمَ ذاك ؟ قال :

إنــه قــد رام منّي خــطّة لم يـرمهـا قبله مني أحـد
فهو فيما كان منه كـالذي يبتغي الصيّد لدي خيس الأسد

وقد وَلِي عبد الصمد للمنصور وغيره ولايات ، وحجّ بالناس غير مرة . وتوفي عبد الصمد ببغداد في سنة خمس وثمانين ومائة ، وإلى عبد الصمد تُنسب هذه القباب التي يقال لها العبدُ الصَّمَديّة . وكان مولد عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الذي يقال له بَبَّة على عهد النبي ﷺ ، ومولد عبد الصمد في سنة تسع ومائة وهما في القُعدُد إلى هاشم سواء ، وحج عبد الصمد سنة خمسين ومائة ، وحج يزيد بن معاوية في سنة خمسين وهما في القُعْدُد إلى عبد مناف سواء ، وبين عبد الصمد وبين خالد بن عبْدالله ذي الجدّين بن عمرو بن الحارث بن همّام بن مُرّة بن ذُهَل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار من الآباء إلى نزار سواء ، وذو الجدّين جاهلي ، وبين طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة وبين نزار من الآباء أقل ممن بين عبد الصمد ونزار من الآباء بأبٍ واحد . وبين عبد الصمد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزّى بن رِياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب إلى كعب من الآباء سواء ، وسعيد من أصحاب النبي ﷺ . وكان في عصر عبد الصمد مَنْ بينه وبين علي بن عبدالله خمسة آباء ، وهو جعفر بن الفضل بن العباس بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي .

وقال بعضهم : إن عَبْد الصَمَد واسماعيل بن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة وعبدالله بن عُروة بن الزبير ورثوا آخر من بقي من بني عبد قصي بالقُعْدُد .

وقال الشاعر يمدحه :

استمع مدحةً اتتك ابتداراً جمعت شـدةً وعنفـاً ولينـا
فاغرٍ بين الأبيات لا مكرهات مثل ما يُكرِهُ السباق الحرونا
فتغنَّ يا طيبَ[1] عن كل قطر بـالأمير الـذي به تُغبـطينـا

وأما يعقوب بن علي

ابن عبدالله وهو أبو الاسباط فلا عقب له .

---

١ ـ في هامش الأصل : «يعني طيبة مدينة رسول الله ﷺ .

وأما عبدالله بن علي الأصغر :

فيكنى أبا محمد ، ولاه أبو العباس محاربة مروان بن محمد وضمّ إليه وجوه قواد خراسان ، فلقي مروان بالزابي نحو الموصل ومروان في مائة ألف فقاتله وهزمه ، وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً فكان من غرق في الزابي أكثر ممن قتل ، وكان ممن غرق ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع فيما يقال ، ويقال إن إبراهيم لم يحضر هذه الحرب وأن مروان كان قتله وصلبه .

ويقال أيضاً إن عبدالله بن علي قتله بنهر أبي فطرس[١] مع من قتل من بني أمية ، وقتل في هذه الوقعة سعيد بن هشام بن عبد الملك ، ويقال : قتله عبْدالله بالشام . ومضى مروان إلى حران ثم إلى دمشق ، فاقتطع أهل حمص بعض ثقله ، ومضى من دمشق إلى مصر وخلف بدمشق الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان فحصره عبدالله بن علي وافتتحها وقتل الوليد بن معاوية ، ويقال بل بعث به إلى العباس فقتله وصلبه بالحيرة .

---

١ ـ قرب الرملة في فلسطين .

ومكث الناس يقتتلون بالمدينة ساعات وهدم عبدالله سور مدينة دمشق . ثم توجه عبدالله إلى فلسطين وصار إلى نهر أبي فطرس ، ووجه أخاه صالح بن علي إلى مصر في طلب مروان وعلى مقدمته عامر بن اسماعيل بن عامر بن نافع أحد بني مُسْلِيَة ، وهو عمرو بن عامر بن عمرو بن عُلَّة بن خالد فقتل مروان ببوصير من مصر .

ويقال إن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن علي يأمره بتوجيه صالح إلى مصر ، وبعث صالح برأس مروان إلى عبدالله فأنفذه إلى أبي العباس وهو بالكوفة فنُصب بها ، ويقال بل بعث به صالح إلى أبي العباس .

ولما صار عبدالله بن علي إلى نهر أبي فطرس أمر فنودي في بني أمية بالأمان فاجتمعوا إليه فعجلت الخراسانية إليهم بالعمد فقتلوهم ، وقتل عبدالله جماعةً منهم ومن أشياعهم ، وأمر بنبش قبر معاوية فما وُجِد من معاوية إلاّ خط ، ونبش قبر يزيد بن معاوية فوجد من يزيد سلاميّات رجلَة ووُجِد من عبد الملك بن مروان بعض شؤون رأسه ، ولم يوجد من الوليد وسليمان إلاّ رفات ، ووجد هشام صحيحاً إلاّ شيئاً من أنفه وشيئاً من صدغه ، وذلك أنه كان طلي بالزئبق والكافور وماء الفُوّة ، ووُجدت جمجمة مسلمة فاتخذت غرضاً حتى تناثرت ، ولم يعرض لعمر بن عبد العزيز ، وجمع ما وجد في القبور فأحرق .

ولما توفي أبو العباس كتب إليه عيسى بن علي وعيسى بن موسى بن محمد بوفاته وتوليته عَهْدَه أبا جعفر عبدالله بن محمد ، وعيسى بن موسى بن محمد إن كان بعده ، وكان أبو جعفر حاجاً فشخص إليه بالكتاب بذلك أبو غسان حاجب أبي العباس ومولاه واسمه زياد ، ويقال يزيد ، والهيثم بن

زياد الخزاعي ، فلما قرأ الكتاب قال : إن أمير المؤمنين نَدَب الناس إلى مروان ، فتثاقلوا عنه فقال : من انتدَبَ له من أهل بيتي فهو الخليفة بعدي ، فانتدبتُ له ، فصدقه أبو غسان وسلم عليه بالخلافة ، ووعظه الهيثم فقال له : نشدتك الله أن تهيج الفتنة وتعرض نفسك وأهل بيتك للهلكة وزوال النعمة ، وخطب عبدالله بن علي فقال : ان أمير المؤمنين رحمه الله استخلفني ، فصدّقه أبو غسان وكذبه الهيثم فأمر به فضربت عنقه .

وقال المدائني : كتب أبو العباس إلى عبدالله بن علي يأمره بغزو الصّائفة ، فوافاه خبر وفاته وهو ممايلي درب الحَدَث يريد دخول بلاد الروم فدعا عبد الحميد بن ربعي الطائي وخُفاف بن منصور المازني ونصير بن المحتفز المزني وحبّاش بن حبيب الطائي صاحب جوبة حَبّاش ببغداد في ظهر ربض حميد بن قحطبة ، فقال : إنّ أبا العباس وجهني إلى مراون على أن لي الامر بعده ، فقاموا له فسلموا عليه بالخلافة . وأرسل إلى الحكم بن ضبعان الجذامي ، وزفر بن عاصم الهلالي ، وبكار بن مسلم العُقيلي ، وعثمان بن سراقة بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي فقال لهم مثل مقالته لأبي غانم وأصحابه ، فقال بكار : أنا سهمك ، وقال زفر : إنكم أهل البيت لم تطمعوا في بني أمية حتى اختلفوا ، فأنا أحذّرك الاختلاف فإن اجتمع أمرك وأمر من بالانبار عزَزْتم وإن اَختلفتم فهي الفتنة ، وقال ابن ضبعان : ان كان عهد إليك وعقَدَ لك عند وفاته فقد كُفيتَ الأمر وإلا فلسْتَ من الأمر على ثقة ، وقال ابن سراقة : إن بلاءك عند أهل الشام غير جميل فلن ينفعك إلا مثلي ممن لك عنده بلاء حسن وأيادي متظاهرة أو رجل صاحب فتنة يلتمس ان يُدرك فيها شرفاً . فعزم على ادعاء الخلافة وخطب الناس بين

دُلُوك ورَعْبان[1] ، وقد كان قدم عليه أبو غسان والهيثم بن زياد فاسْتشهدهما ، فأما أبو غسان فشهد له ، وأما الهيثم فقال : أشهد أن أبا العباس ولّى الخلافة أبا جعفر ، فقتله .

وبايع الناس عبدالله بن علي ، وبايعه حُميد بن قحطبة ، وسار فنزل قنسرين فاستعمل عليها زُفَر بن عاصم ، ووَلّى عثمان بن عبد الأعلى دمشق ، والحكم بن ضبعان فلسطين ، وكتب إلى الحسن بن قحطبة وهو بأرمينية ، وإلى مالك بن الهيثم وهو بأذربيجان ، وإلى محمد بن صول وهو بشمشاط مقيم في خمسة آلاف يدعوهم فلم يجيبوه ، فسار إلى حران وعليها مقاتل بن حكيم العكّي وهو في أربعة آلاف وهو على الجزيرة فحصره ووضع عليها المجانيق ، ثم طلب مقاتل الصلح فصالحه ودخل مدينة حران في صفر سنة سبع وثلاثين ومائة ، ثم إلى الرقة ، واستعمل على الجزيرة عبد الصمد بن علي أخاه ولّاه عَهدَه وصيّر على شرطته منصور بن جعونة بن الحارث أحد بني عامر بن ربيعة ، وبعث بالعكي إلى ابن سُراقة وأمره أن يقتله وابنه خالداً ، فلم يفعل وحبسه . واستعمل حميد بن قحطبة على قنسرين وعزل زفر بن عاصم في الظاهر وكتب إلى زفر : إذا ورد عليك حميد فاقتله ومن معه ، فعلم حميد بذلك فسار إلى المنصور حتى قدم عليْه ، فأمره أن يلحق بأبي مسلم .

وكان أبو مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج فأذن له فقدم فحج ، وكان المنصور حاجاً أيضاً ، فلما قدما الأنبار قال أبو مسلم لأبي

---

١ - انظر حولها بغية الطلب ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

جعفر : إن شئتَ جمعتُ ثيابي في منطقتي وخدمتك وان شئت أتيت خراسان فأمددتك بالجنود، وإن شئت شخصت إلى عبدالله بن علي فحاربته ، فوجهه لمحاربة عبدالله بن علي وشيّعه إلى عكبرا .

وكان الحسن بن قحطبة بأرمينية فكتب إليه المنصور في اللحاق بأبي مسلم فوافاهُ بالكحيل من أرض الموصل في ألفٍ ، فصيّره أبو مسلم على مقدمته ، ووافى مالك بن الهيثم أبا مسلم بالموصل لكتاب المنصور إليه في اللحاق به والسمع والطاعة له ، ودسّ المنصور محمد بن صول إلى عبدالله بن علي ليفتك به إن أمكنه ذلك ويكتب إليه بأخباره فأتاه وصار معه، فكتب بعض عيون عبدالله بن علي في عسكر المنصور : صُل بابن صول قبل أن يصول بك ، فقتله ابنُ علي وابنين له .

وقال غيرُ أبي الحسن : وقدم أبو جعفر الكوفة فولاها طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وسار إلى الأنبار فوجد أبا مسلم بها فولاه حرب ابن علي وأعطى الجند الذين انهضهم معه اثني عشر ألف ألف درهم ، ويقال ثمانية عشر ألف ألف . وكان أبو العباس حطّ الأرزاق في سنة خمس وثلاثين إلى ستين ستين فصيرها أبو جعفر ثمانين ثمانين ، وسوّغهم عطاءً أعطاهم إياه عيسى بن موسى ، فشكروا ذلك ، ووهب المنصور لكل رجل من عمومته ألف ألف درهم فكان أول خليفة أعطى ألف ألف بصك إلى بيت المال يجري في الدواوين . ولم يقم بالأنبار إلا جمعة ، وعزل جَهْور بن مرار العجلي عن شرطته وولاها عبد الجبار بن عبد الرحمن ، ووجه جَهْور بن مرار إلى قرقيسيا[1] فتلقى أصحاب ابن علي ، وخرج المنصور فعسكر بدير

١ ـ هي البصيرة (البو سرايا) حالياً في سورية على الفرات حيث يلتقي به الخابور .

الجاثليق على دجلة ، ووجه عيسى بن عقيل إلى هيت ، وعبد العزيز أخا عبد الجبار إلى بلد ، وقال له : ان بلغك ان ابنَ عليّ انهزم فلا تبرح مكانك ولا تخل بمركزك ، ووجه قائداً إلى تكريت ، وكتب إلى موسى بن كعب : ان استخلف ابنك عُيَيْنة واقدم وقد أمرتُ لك بخمسمائة ألف درهم فاقبضها ، وكتب إلى الحسن بن قحطبة وهو بأرمينية فقدم .

وقالوا : قدم ابن علي نصيبين فخندق وجمع الأطعمة واستعد للحرب ، وكان هشام بن عمرو التغلبي مع أبي مسلم فأشار عليه أن يعسكر دون نصيبين لئلا يكون بينه وبين المنصور عدو ، فقال : ليس هذا بشيء ، ونزل أبو مسلم بإزاء ابن عليّ وكايده لينزل منزله فغرّب وأظهر أنه يريد الشام لتوليه أمير المؤمنين إياه الجزيرة والشام ، وأنّ قادماً يقدم لمحاربة ابن علي مكانه ، فضج أهل الجزيرة والشام وقالوا : الآن يقدم أبو مسلم بلادنا فيجتاح أموالنا ويسبي نساءنا وذرارينا ويقتل من وراءنا من رجالنا ونحن مِنْ مُلك الدنيا وسعتها في خندق ، فرحل عبدالله من خندقه ، ونزل أبو مسلم رأس العين ، ثم انكفأ راجعاً حتى نزل خندق عبدالله ، ونزل عبدالله خندقه وقال : إنما كانت هذه مكيدة من العبد ، وكاتَبَ أبو مسلم أهل خراسان فانحاز إليْه بشر منهم ، ووقعت في نفس ابن علي تهمتهم وسوء الظن بمن بقي معه منهم ، فأمر حبّاش بن حبيب صاحب شرطته فقتل منهم خلقاً . وحارب أبو مسلم ابن علي أربعة أشهر ، ثم إنهم اقتتلوا ذات يوم قتالاً شديداً وقد خَفّ أصحاب ابن علي وأتت أبا مسلم الامداد وأبو مسلم يقول :

فرَّ من الموت وفي الموت وَقَعْ   من كان ينوي أهلَهُ فلا رجع

فانهزم أصحاب ابن علي أقبح هزيمة ، وهرب فصار إلى ناحية حرّان ثم إلى الرقة وعبر إلى جسر الرقة ، ثم أحرقه ، وسار في البر حتى أتى البصرة فنزل على سليمان بن علي أخيه ، وكان أبوه قد أوصاه به فيما يقال .

وكان أبو مسلم لما قدّم مقدّمته وعليها حميد بن قحطبة من الموصل لقوا عبد الصمد بن علي ببلد فقاتله حميد فهزمه ثم أخذه أسيراً . ويقال إن أبا مسلم وجه في أيام محاربته ابن علي حُمَيداً إلى عبد الصمد وهو بالجزيرة فقاتله وهزمه حتى لحق بالرّصافة فأُخِذ بها وأُتِيَ به أبو مسلم ، فوجّه المنصور مرزوقاً أبا الخصيب مولاه فحمله إليه في سلسلة ، فكلمه فيه إسماعيل بن علي فعفا عنه وأمر له بألف دينار . وقال بعضهم : قدم به أبو مسلم معه .

وقال بَعض وَلده : أتى الكوفة فاستخفى بها حتى كُلّم المنصور فيه فأمّنه ووصله .

وقال أبو الحسن المدائني في بعض روايته : هُزم عبد الصمد فهرب إلى الرصافة ، ووافاه ابن علي منهزماً هارباً فمضى ، وأقام عبد الصمد لأمرٍ أراده وعزم على أن يتبع ابن علي من يومه ولم ير أنه مطلوب فوافاه زُبارة بن جرير ، وكان ممّن رُتّب بقرقيسيا ، فجرّ برجله ثم أوثقه وحمله إلى أبي مسلم وهو بتَلّ مَذايا ، وقدم صالح بن علي بن عبدالله من مصر متمسكاً بطاعة المنصور مقيماً عليها ، فحارب ابن ضبعان في اليوم الذي هُزِم فيه عبدالله بن علي ، وحوى أبو مسلم أموال ابن علي ، وجميع ما كان في عسْكره ، وأطلق الأسرى ووهب لكل أسير أربعة دراهم ولم يقتل إلا أبا غسان لشهادته بما شهد به لابن علي . ولما بلغ عاملُ ابن عليٍّ على دمشق ، قَتَل العكّي وخالداً ابنه وكانا في حبسه .

وكتب أبو مسلم إلى المنصور يعلمه أن أهل الجزيرة والشام بمواضع من الثغور مشحنة للعدو وأنها لا تُسَدُّ إلّا بهم ، وسأله الصفح عنهم ، وأشار عليْه باستصلاح وجوههم واصطناعهم ، ووفد معه إليه عدة من أشرافهم ، وكان عبدالله بن علي لما توجه لغزو الصائفة بلغه أن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك قد أقبل يريده في أربعة آلاف ، فقصد له ووجّه على مقدمته حميد بن قحطبة والعباس بن زبيد ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزم أبان وأصحابه وتحصنوا في حصن كيسوم ، فنزل عليه عبدالله فطلبوا الأمان فأمنهم وهرب أبان فدُلّ عبدالله عليه وكان في غار فقطع عبدالله يديه ورجليه ، ثم ضرب عنقه وأتى دابق فبلغه خبر وفاة أبي العباس .

قالوا : وكانت عند ابن علي أمةُ الحميد ، ويقال اختها أمّ البنين بنت محمد بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، فقالت له : قتلت أهل الشام فأسرفت ، ثم قتلت أهل خراسان وكانوا أنصاركم وأولياء دعوتكم ثم انتحلْتَ الخلافة وقاتلت ابن أخيك ـ وهو الخليفة ـ فلم تبقِ غاية ولم تدع جُهْداً ، ثم هربت إلى غير ملجأ ولا حرز ، فهلا مُتَّ كريماً ، وأما والله لَتقاسينّ ذلاًّ طويلاً ، فغضب فطلقها ، وكان له منها : محمد ، وعيسى ، وأم محمد ، بنو عبْدالله بن علي ، ولما هرب ابن علي بلغ المنصوَر أن عبد الحميد بن ربعي أبا غانم بالرها ، وكان صديقاً لأبي الأزهر المهلب بن العبيثر المهري فوجهه لطلب الشراة وأهل الفساد من الأعراب ويُسكّن الناس ، فجعل يقتل الأعراب من أهل الدعارة حتى أتى الرُّها فبعث إلى أبي غانم : إني مشتاق إليك وقد وُجِّهتُ في أمر فتركتُه وملتُ إليك لأحدث بك عهْداً ، فخرج إليه وجعلا يتنادمان ثم ذاكره

الخروج إلى أبي جعفر فقال : أنا مُسْتوحش ولا عذر لي ولا حُجّة فيما كان مني ، ثم إنه خرج إليه يوماً في خف فأسكره وحمله وارتحل فأورده على حميد بن قحطبة وهو وال على الجزيرة ، فأنفذه إلى المنصور فقال له المنصور : ويحك ما حملك على ما صنعت ؟ قال : لا عذر لي فأتكلم . فقال : أنا أكره قتل رجل من آل قحطبة ولكني أهبُ مسيئهم لمحسنهم وقد وهبتك لابني قحطبة حمَيْد والحسن ، فقال : يا أمير المؤمنين إن لم يكن فيّ مصطنع فاقتلني . قال : إنك أحمق أهوج ، اخرج فأنت عتيقٌ لهم أبداً .

وحدثني الغاضري الرقي قال : نزل أبو غانم بالهني[1] في بعض أيامه فتهدد أهل الرقة وقال : قولوا لنسائكم يحلقن يتهيأن للجماع ، وأساء اللفظ ، فعبر إليه مصعب بن الضحضح الأسدي ، وعبدالله بن البختري العقيلي في جماعة فقتلا من أصحابه بشراً ، فقال ابن الضحضح :

الحمـــد لله المنـــزّل نصره يوم الخميس عليك يا بن الضحضحِ
عبر الفرات على فظاعة هوله بالدارعين على الجياد القُرحِ
مستشعري حلق الحديد كأنهم بُزل الجمال تخاطرت في مسرحِ

وفي ذلك يقول الشاعر وهو ربيعة يحرض ابن الضحضح :

ألا ترى المعشر السودان قد جمعوا لابني نزار فماذا بعد ينتظرِ
شمِّر فان حروبَ الناس قد لقحت وجمّع الأمر إن الأمر منتشر
وكُنْ من الحربِ إذ شبَّت على حَذَرِ ما صاحب الحرب إلا الحازم الحذر

في أبيات .

---

١ ـ قناة (نهر) استخرجت من الفرات للسقاية قرب الرقة .

قالوا : ولما أقام عبدالله بن علي بالبصرة خرج سليمان بن علي إلى أمير المؤمنين المنصور فطلب له أماناً وقال : ياأمير المؤمنين إن عفوك لا يضيق عنه وهو ابن أبيك وفيه مستصلح ، فقال : هو آمن إذا رأيته ، واستأذن له في الحج فقال : إن حج ظاهراً فقد أذنت له ، فلم يحج .

ومات يونس بن عبيد الفقيه مولى عبد القيس فمشى عبدالله وسليمان في جنازته . وأراد المنصور استخراج مزارع من البطيحة فضجّ أهل البصرة وقالوا : إنما نستعذب الماء من البطيحة ، وأتوا عبدالله بن علي فقالوا : انزل يا أمير المؤمنين إلينا نبايعك ، فكفهم سليمان وفرقهم ، وكان عبدالله يجمّع بالبصرة ويقعد في حلقة الرقاشي ، ووجه المنصور سليمان بن مجالد وأمره بابلاغ سليمان بن علي أن يشخص عبدالله معه وكتب إليه في ذلك فلم يفعل وقال : قد جعلت له عهد الله أن أتوثق له ، فولّى المنصور سليمان بن مجالد بريد البصرة وأخبارها ، ووجه روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب إلى البصرة في أربعة آلاف من أهل البأس والنجدة والطاعة ، وأظهر أنه قد ولاه عُمان ونواحيها ، ثم وجه سفيان بن معاوية والياً على البصرة في جيش كثيف ، وبعث أبا الأسد القائد صاحب النهر في جيش ، وأمر أبا الأسد أن يقيم على آخر البطيحة ، فعسكر على فم النهر المنسوب إليه .

ودخل سفيان البصرة فتسلمها من سليمان بن علي ، فوهن أمر سليمان ووجد المنصور عليه لما كان منه في أمر عبدالله ، وتتامّ بالبصرة أكثر من اثني عشر ألفاً من أهل خراسان ، وكتب سليمان إلى عيسى بن علي يسأله أن يستأذن له المنصور في القدوم عليه منفرداً ، فقدم ودخل مع عيسى إلى المنصور فكلماه في أيمان عبدالله بن علي فأجابهما إلى ذلك .

وكان عبدالله بن المقفع كاتب عيسى بن علي ، فأمره فكتب له أماناً تعدّى فيه ما يكتب الخلفاء من الأمانات وكتب : «فان لم يَفِ أمير المؤمنين بما جعل له فيه فهو بريء من الله ورسوله ، والأمّةُ في حل وسعةَ من خلعه» .

ثم شخص عيسى وسليمان ابنا علي من البصرة وأشخصا عبدالله بن علي منها وشخصا معه ، ووكّل بهم سفيان قائداً يقال له عقبة بن عازب في ألف ، وسار أبو الأسد أيضاً معهم ، فلما صاروا إلى واسط تسلّم عاملها عبْدَالله بن علي ، ثم سلمه إلى أبي الأسد فأورده الكوفة . وكان المنصور قد وقّع في الأمان : هذا الأمانُ نافذ إن رأيتُ عبدَالله ، فلما قدم به وأتى بابه قال لأبي الأزهر المهلّب بن العبيثر : إذا أمرتك بإدخال عَبْدالله عليّ فلا ترني وجهه وأدخله المقصورة ، ففعل ذلك ووكل به الحرس ، فكلمه فيه بنو علي فجعل يقول : أقسمْتُ عليكم لما لم تكلموني فيه فإنه أراد أن يفسد علينا وعليكم أمرنا . ومكث محبوساً تسع سنين ، ثم حوله من عنده إلى عيسى بن موسى وأمره بقتله خفية ، فحبسه وأراد قتله فقال له أبو عون يونس بن فروة الأنباري ، وكان كاتبه : إن قتلته قتلك به ، فأمسكَ عن قتله . ثم إن المنصور سأل عيسى بن موسى عنه فقال : قتلتهُ ، فأظهر غضباً وقال : أتقتل عمي ! لأقتلنّك به ، فقال : إني والله خفت منك فاسْتبقيتُه . قال : فادفعه إلى المهلب بن العبيثر ، فدفعه إليه فغمَّهُ وجاريةً له حتى مات ، ثم جعلها إلى جانبه فكأنها تعانقه ، ثم عرقب البيت فسقط عليهما ، ودفن عبدالله ببغداد في مقابر أبي سويد بباب الشام بعد أن أدخل عليه ابن علاثة القاضي وعدوله فنظروا إليه وما به كدمة . وبعث المنصور إلى عبدالله بن عياش الهمداني المنتوف أن أخبرني عن خلفاء ثلاثة أول اسم كل امرىء منهم عين قتل رجلاً

من أقربية أوّل اسم كل رجل منهم عين ، فقال : عبدالله بن الزبير قتل عمرو بن الزبير ، وعبد الملك قتل عمرو بن سعيد بن العاص ، وعبدالله بن علي سقط عليْه البيت ، فقال المنصور : فإذا سقط عليه البيت فما ذنبي .

وحدثني حماد بن بَغْسل الوراق قال : حبس عبد الله بن علي في مقصورة مع المنصور ، ووكل به ، فقال له بنو علي : يا أمير المؤمنين سجنتَ عبد الله ، فقال إن أهل خراسان متسرّعون إليه لما كان منه إليهم ، ولا آمن أن يفتكوا به فقد بلغني أنهم مجمعون على ذلك فجعلته عندي إلى أن أدعو به ، فيئِس سليمان بن علي منه فمضى إلى البصرة فمات في سنة اثنتين وأربعين ومائة . قال : وقد كان عبد الله بن علي مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فأسره ابن ضبارة وبعث به إلى مروان ، فقال : إنما أتيته طالباً لرفده ، فخلى سبيله ، فلما حاربه قيل له : هذا الرجل الشديد البياض الحسن الوجه المصفّر الدقيق الذراعين الفصيح اللهجة الذي كنت أُتيتَ به فعفوتَ عنه ، فقال مروان : رب معروف يخبىء لصَاحبه شرّاً . وكان عبْد الله اذا ضحك انقلبت شفته العليا . ومات في سنة سَبْع وأربعين ومائة وهو ابن اثنتين وخمسين سنة .

قالوا : وهدم عبد الله بن علي قصر مروان بن محمد بحران وكان أنفق عليه عشرة آلاف ألف درهم .

قال رؤبة بن العجاج في عبد الله بن علي :

أيها القائل قولاً أحنفا سفاهةٍ من رأيه وصلفا
ما قام عبد الله إلا أنفا خوفاً على الاسلام أن يُستضعفا
ومِنْ صلاحِ الدّين أن يُستخلفا أشجع من ليث عرين أغضفا

قال أيضاً :

ان لعبـد الله عندي أثـراً ونعماً جزاؤها أن تشكرا[1]

وقال ابن شبرمة :

أقول لذي مكاشرة وضغن سعرتَ الحرب بين بني أبيكا
وأورثت الضغائن من بنيهم بني أبنـائهم وبني بنـيكـا
كأنك قد أصابك سهم حتف وأسلمـك العـداة لأقـربيكـا

وقال ابن شبرمة في أبي مسلم :

سـما بـالجيـاد وفـرسـانها إلى الشـام كالأسـد الأزور

---

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان رؤبة المطبوع .

أمر ولد محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس

ولد محمد بن علي ، وهو الإمام : ابراهيمَ الامام وأمه جان أم ولد . وعبدَ الله أبا العباس وأمّه ريطة الحارثية . وعبد الله أبا جعفر ، وأمه سلامة بربرية . وموسى لأم ولد ، ويقال أنها أم ابراهيم . ويحيى بن محمد أمّه أم الحكم بنت عبد الله بن الحارث من ولد نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو ببّة . والعباس بن محمد لأم ولد . ولُبابَة تزوّجها جعفر بن سليمان بن علي . ويقال إنه كان له داود وعبيد الله ويعقوب فلم يُعقبوا .

فأما إبراهيم بن محمد :

فإن أباه محمد بن علي قال لميسرة وأبي عكرمة مولى قريش وغيرهما ممن كان مع أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، حين عدل أبو هاشم إلى محمد بن علي فأعلمه أنه الامام : هذا ابني ووصيّي والامام بعدي ، فبايعوا محمداً ، وإبراهيم على ذلك . ووجه محمد أبا رياح ميسرة مولى بني أسد الى الكوفة ، بمشورة أبي هاشم ، فصيره صاحبه بها ، وكان أبو هاشم قال له : عليك

بالكوفة فَبِها شيعتك وأهل مودتك ، واجتنب الشام فليس ببلد يحتمل دعاتك ولا يصلح لهم ، وعليك بخراسان ، فوجّه إلى خراسان رجلاً أمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد ولا يسمّي أحداً .

ويقال : إن ميسرة وجّهه من الكوفة ، وهو محمد بن خُنَيس ، فأجابه من أجابه فلما صاروا سبعين جعل منهم اثني عشر نقيباً وهم : سليمان بن كثير مولى خزاعة ، ويكنى أبا علي ، ويقال هو سليمان بن كثير بن أمية بن اسماعيل بن عبد الله بن المؤتنف من أنفسهم . موسى بن كعب التميمي ، ويكنى أبا عُيينة ، ومالك بن الهيثم ، ويكنى أبا نصر . والقاسم بن مجاشع التميمي ، ويكنى أبا حامد . ولاهز بن قُرَيْظ ، ويكنى أبا النضر . وعيسى بن أعين ، ويكنى أبا الحكم . وعمرو بن أعين الخزاعي ، ويكنى أبا حمزة . وقحطبة بن شبيب الطائي ، واسمه زياد ، ويكنى أبا عبد الحميد . وشبل بن طهمان الرَّبَعي ، ويكنى أبا اسماعيل . وعمران بن اسماعيل مولى آل أبي معيط ، ويكنى أبا النجم . وخالد بن إبراهيم ، ويكنى أبا داود . وطلحة بن رزيق ، ويكنى أبا منصور . ومنهم من يجعل زياد بن صالح مكان أبي النجم عمران بن إسماعيل ، ويجعل العلاء بن حُرَيث مكان عيسى بن أعين .

فلم يزل الرجل مقيماً بخراسان حتى توفي بها ، فقدم قحطبة وسليمان بن كثير بن أميّة إلى الكوفة فلم يعرفا الإمام ، فأتيا المدينة فسألا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن الإمام فقال : هو منا وهو بالشام ، فمضيا إلى الشام فلقيا محمد بن علي فذاكراه أمرهم وسألاه أن يبعث إلى خراسان رجلاً معهما ، وكتب إلى أبي عكرمة الصّادق ، واسمُه

زياد بن درهم وهو بالكوفة ، فخرج معهما إلى خراسان . ويقال بل كتب إلى ميسرة في توجيه رجل يثق به ، فوجّه أبا عكرمة ، فلما صار بخراسان اكتنى بأبي محمد ، وتسمى ماهان ، فلم يزل بها حتى قدم أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسري والياً على خراسان من قبل أخيه ، وذلك في أيام هشام فسعى إليه جبلة بن أبي رَوّاد - واسم أبي رَوّاد حسين - بأبي عكرمة وأصحابه ، فقتل أسد أبا عكرمة ، وضرب أبا داود ألفاً ، ويقال ثلاثمائة ، وأمر به فضرب على رأسه حتى عمش ، ثم كلم فيهم ورَشا بعضهم حتى تخلّصوا . ومكث محمد لا يبعث أحداً سنة ، ثم بعث أبا الحسن كثير بن سعد ، فأقام ثلاث سنين ، ثم قدم ، فبعث محمد بن علي : عمار بن يزداد ، فتسمى بخداش بن يزيد . ويقال إن عماراً هذا كان فاخرانياً من أهل الحيرة نصرانياً ، ثم أظهر الاسلام وصار معلماً بالكوفة ، فلما مات ميسرة صيّر محمدُ بن علي بكيرَ بن ماهان ، أبا هاشم ، مكانه .

ويقال : بل صيّر سالماً الأعمى أبا الفضل بالكوفة بوصية ميسرة ، وصار بكير بعده بالكوفة ، فوجه بكير عماراً هذا فغيّر سنن الامام ، وبدّل ما كان في سيرة من قبله ، وحكم بأحكام منكرة مكروهة ، فوثب به أصحاب محمد بن علي فقتلوه ، ويقال بل قتله أسد بن عبد الله وصلبه ، وكان هشامٌ عزل خالداً فانصرف أسد عن خراسان معزولاً ، وولّى هشام الجنيد بن عبد الرحمن ، ثم ولى هشام : أشرس بن عبد الله السلمي ، ثم عاصم بن عبد الله الهذلي . ثم أعيدت خراسان إلى خالد بن عبد الله ، فولّاها أسداً ، وكان لا يظفر بداعية ولا مدعوّ إلا ضرب عنقه وصلبه حتى أخذ سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وموسى بن كعب ، ولاهز بن

قريظ ، وخالد بن إبراهيم ، وطلحة بن رزيق ، فأتي بهم فقال : يا فسقة ! ألم اظفر بكم في إمرتي الاولى فأعفو عنكم ؟ فقالوا : والله ما نعرف إلاّ طاعة أمير المؤمنين هشام وإنه لمكذوب علينا . فدعا بموسى بن كعب فقال : يا ذا الثنايا أعليّ تتوثّب وفي سلطاني تُدغل ، ثم تدعو هذه السّفلة إلى هذه الدعوة الضالة ؟ فألجمه بلجام حمار ، ويقال بايوان ، ثم أمر به فجذِب حتى حطمت أسنانه ، ثم أمر به فرُتم أنفه ، وأمر بلاهز فضرب ثلاثمائة سوط وحُبس ، ثم طلب فيهم نَفَرٌ من الأزد ، وشهدوا لهم بالبراءة ، فخلى سبيلهم .

وقال الهيثم بن عدي : ضرب أبا داود وكان معهم .

وحدثني أبو مسعود الكوفي قال : لّما غيّر خداش سيرة الإمام ونكب عن الحق قيل : خدش خداش الدين ، فقال أبو السريّ الاعمى :

وخداش المحلّ إذ خدش الديـ ـن وأوفى بدعوة الضُلاّل
دانَ بالرفض والتخرّم[١] حيناً وبقتل النساء والاطفال
أيُّ شيءٍ يكونُ أعجبُ مِنْ ذا أزرقي[٢] ورافضٌ في حال

وشخص بكير إلى خراسان فأصلح ما كان خداش أفسده ، ورد الناس إلى أمر الإمام وسنته .

قالوا : واحتُضر بكير فأوصى إلى سليمان بن حفص أبي سلمة الداعية مولى همدان ، وهو صهره ، وكان صيرفياً ، ويقال خلالاً ، وكتب إلى

---

١ ـ الإشارة هنا إلى مذهب الخرمية .

٢ ـ شهر الأزارقة من الخوارج باستعراض جميع المسلمين .

محمد بن علي الإمام باستخلافه إياه لرضاه مذهبه ونيته ونصيحته ، فكتب إليه محمد بن علي بالقيام بما كان بكير بن ماهان يقوم به ، وكان سليمان بن كثير القائم بأمر خراسان .

ومات أسد بخراسان فولى خالدٌ أمرها جعفر بن حنظلة البهراني ، ثم عزل خالد عن العراق ، ووليه يوسف بن عمر ، فولّى هشام خراسان نصر بن سيار ، وأمره بمكاتبة يوسف ومعاملته ، وقدم على الإمام محمد بن علي : سليمانُ بن كثير ، ولاهز بن قريظ ، وقحطبة بن شبيب في رجالٍ آخرين ، ومعهم أموال وكسىً فأوصلوا ذلك إليه ، فقال لهم : ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا ، فإن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد ، وأنا أوصيكم به خيراً ، فقد أوصيته بكم ، ومات محمد بن علي فصار الأمر إلى ابراهيم الإمام .

وكان أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم من أهل ضياع بني معقل العجليين بأصبهان أو غيرها من الجبل ، وكان يسمّى إبراهيم بن حيّكان ، وانما سماه عبد الرحمن وكناه أبا مسلم ابراهيمُ الامام ، وكان ادريس وعيسى ابنا معقل محبوسين بالكوفة مع قوم ، حبسهم يوسف بن عمر من أهل الجبل بسبب الخراج ، فكان أبو مسلم يخدمهما ويقضي حوائجهما ، وهو في ذلك مع أبي موسى السراج صاحبه يخرز الأعنّة ، ويعمل السروج وله بضاعة في الأدم ، وكان عاصم بن يونس العجلي محبوساً بسبب فسادٍ ، فكان يخدمه أيضاً وكان شيعياً ، فقدم سليمان بن كثير ، ولاهز ، وقحطبة الكوفة يريدون الحج ، فدخلوا على عاصم مسلّمين فرأوا أبا مسلم عنده فأعجبهم عقله وظرفه وأدبه وشدة نفسه وذهابه بها ، ومال إليهم فعرف أمرهم فقال : أنا

أصحبكم وأكون معكم ، فسألوا أبا موسى السراج أن يعينهم به ، وكان من كبار الشيعة ، ففعل وكتب معه كتاباً الى إبراهيم الإمام ، وقد كان علم أن إبراهيم على الحج في سنته ، وأن القوم واعدوه الالتقاء بمكة . فشخص أبو مسلم معهم ووجدوا إبراهيم بمكة فأعطوه عشرين ألف دينار ، ومائتي ألف درهم ، وأوصلوا إليه كسىً حملوها له ، ورأى إبراهيم الإمام فعرفه وأثبته لأنه كان يراه أيّام اختلافه إلى أبيه في محبسه ، وتأمل أمره وأخلاقه فأعجبه منطقه ورأيه وجزالته ، فقال : هذا عضلة من العضل ، ومضى به فكان يخدمه ، ثم إن هؤلاء النقباء قدموا على إبراهيم يطلبون رجلاً يتوجه معهم إلى خراسان ، فعرض على سليمان بن كثير أن يكون ذلك الرجل فأبى ، وعرض مثل ذلك على قحطبة ، فأبى فأراد توجيه رجل من أهل بيته فكره ذلك ، وذكر أبا مسلم فأطرياه ، ووصفا عقله وعلمه بما يأتي ويذر ؛ فاستخار الله ووجهه إلى خراسان ، فنزل على سليمان بن كثير فكان والشيعة جميعاً له مُكرمين مبجّلين سامعين مطيعين ، وجعل أمرهم ينمو حتى كان منه ما كان .

وحدثني عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الامام قال : كان أبو مسلم لبعض أهل هراة أو بوشنج ، فقدم مولاه على الإمام ، وقدم به معه فأعجبه عقله فابتاعه منه بألفين وعشرين درهماً وأعتقه ، ومكث عنده سنين ، ثم وجهه إلى خراسان .

وقال هشام بن الكلبي : كان ابوه من خَوَل آل معقل فأُسلم إلى أبي موسى السراج فكان معه ، وقدم أبو موسى الكوفة فبينا ابو مسلم يخرز شيئاً في يده اذ رأى الناس يتعادون ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هاهنا فيل ينظر

الناس إليه ، فقال : وأي عجب في الفيل ؟ انما العجب أن تروني وقد قلبت دولة وقمت بدولة .

وقال غير ابن الكلبي : كانت أُمُّه أمَةً لبني معقل ، وكان أبوه من أهل ضياعهم فأتى الكوفة معهم فابتيع للامام ، وذكر بعضهم أنه من أهل أصبهان وأن رجلًا من ضبّة اختدعه وهو صبي فأقدمه الكوفة ، وقيل أيضاً إن أباه كان من أهل بابل أو خطرنية[1] وكيلاً للعجليين وكان اسمه زاذان بن بنداد هرمز ، وأمه وشيكة ، فقدم العراق مع عيسى بن معقل فكان يخدمه في سجن الكوفة ويسمع قول الشيعة ، فمال إليهم ، وقوم يزعمون أنه كان يسمى ابراهيم وكان يقال لأبيه عثمان ، وأنه من ولد كسرى ، وأن الامام كان يبعثه إلى خراسان .

وذكر بعض ولد قحطبة أنه كان عبداً للعجليين فأسلموه إلى أبي موسى ، فتعلم منه السراجة ، فابتيع للإمام بسبعمائة درهم ، وأُهدي إليه ، وان اللذين أهدياه : سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ .

وحدثنا المدائني عن شهاب بن عبد الله قال : كان أبو مسلم يختلف الى خراسان ، يبعثه الإمام بكتبه إلى سليمان بن كثير فيشخص على حمارٍ له ، فقال خادمٌ لسليمان : لقد جاءنا مرة فلم نعرض عليه الطعام ، فلامنا سليمان على ذلك ، وكان أصغر عندنا من أن نلتفت اليه .

قالوا : ووجه إبراهيم أبا مسلم إلى خراسان ، وكتب إلى من بها من أوليائه بالسمع والطاعة له ، وإلى أبي حفص سليمان بن سلمة الداعية يعلمه

١ ـ خطرنية : ناحية من نواحي بابل العراق . معجم البلدان .

توجيهه إياه ، ويأمره بإنفاذه إلى خراسان ، فشخص فنزل على سليمان بن كثير ، فكان يجلّه ويوقره ويعظم أمره ؛ حتى إذا ظهر أمر أبي مسلم والدعاة بخراسان ، وعليها نصر بن سيار ، دسّ نصر رجلاً استأمن إلى أبي مسلم ، وأظهر الدخول معه في أمره فعرف أن الذي يكاتبهم ويكاتبونه ويدعون له إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فكتب بذلك إلى مروان بن محمد ، فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان - ومن قال الوليد بن معاوية بن مروان باطل ، لم يكن لمعاوية بن مروان ابن يقال له الوليد - وهو عامله على دمشق يأمره أن يكتب إلى عامله على البلقاء في المسير إلى كداد والحميمة وأخذ إبراهيم بن محمد بن علي ، وشدّه وثاقاً ، وحمله إليه في خيل كثيفة يحتفظ به ، فإذا وافى إلى ما قبله أنفذه إليه مع من يقوم بحفظه وحراسته ، فأُتي إبراهيم وهو في مسجد القرية ، فأُخذ ولُفَّ رأسه وحمل إلى دمشق ، فأنفذه الوليد بن معاوية إلى مروان ، وكان معه عدة من أهله قد شيّعوه فيهم : عبد الله بن علي ، وعيسى بن علي ، وعيسى بن موسى ، فانصرفوا من حرّان ، ووبّخ مروانُ إبراهيم حين دخل اليه فاشتدّ لسان ابراهيم عليه فيما خاطبه به ، وقال له مروان : أيَرْجو مثلك أن ينال الخلافة ؟ فقال : رجوتَها وقُلدّتَها وأنت ابن طريد رسول الله ولعينه ، وكيف لا أرجوها وأنا ابن عمّه ووليّه ؟! وقال : لقد علمنا أن الذي يذكر من بغضك بني هاشم ومن به شرفوا ، لحق ، فأمر به إلى الحبس فحبس بحرّان في سجنها ، وفيه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز . ثم بعث مروان في بعض الليالي إلى حاجبه صقلاب ومعه عشرون من مواليه خزر ، وصقالبة ، وروم إلى السجن ، ومعهم صاحب السجن ففتح لهم ودخلوا ،

ثم خرجوا فأصبح إبراهيم ، وعبد الله بن عمر ميّتين ؛ فيقال ديست بطونهما ، ويقال غُمّا ، ويقال سُمّا ، ويُقال عُصِر ما تحت سراويلهما حتى ماتا .

وقال الهيثم بن عدي : غُمّ إبراهيم الإمام في جراب نورة ، وغمّ الآخر بمرفقة فيها ريش ، وكان مهلهل مولاه يقول : كنت أخدمه وهو محبوس بحران ، وأشتري حوائجه ، وكان شراحيل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك محبوساً في حجرة غير حجرة ابراهيم التي كان محبوساً فيها ، وكان صديقاً لابراهيم فكانا يتلاطفان ويتهاديان في محبسهما ، فأُتي ابراهيم بلبن مسموم أو غير لبن وقيل له : بعث إليك به أخوك شراحيل ، ولم يكن شراحيل بعث به ، فشربه فتوفي ، قال : فأنا الذي صليت عليه .

وقال أبو مسعود الكوفي : بلغني أن إبراهيم أخرج فوضع على باب السجن فأخذه رجل من بني سَهْم فكفنه وصلى عليه ودفنه ، قال : وبلغني أن أبا العباس كان أشبه الناس بأخيه إبراهيم الإمام ، فلما جاء الرسول لحمل ابراهيم وجد ابراهيم متغيّباً فأخذ أبا العباس ، فلما علم ابراهيم بأخذه قال : ما من الموت مَفَرٌّ ولا لأمر الله مدفع ، فخرج فقال للرسول : أنا بغيتك فَخَلِّ عن أخي ، فحمله ، وكان لإبراهيم يوم مات فيما يقال تسع وأربعون سنة ، وقال بعضهم أربع وثلاثون سنة .

وهرب أبو العباس بعد مقتل إبراهيم إلى الكوفة ومعه أهل بيته ، فأخفاهم أبو سلمة الداعية في سرداب في دار بني أودٍ حتى قدم المسوِّدَة ، فكان يقال : ما رأى الناس أبعد هِمَماً ، ولا أكبر نفساً من قوم خرجوا على تلك الحال يطلبون الخلافة .

وقال الهيثم بن عدي : رأى إبراهيم الإمام رجلاً من ولد زياد بن أبي سفيان يجر ثيابه ، وإن إبراهيم لفي محملٍ على غير وطاءٍ يُؤتى به مروان ، فقال :

أطلها فيما طولُ الثياب بنافع إذا كان فرع الوالدين قصيرا

وقال الهيثم : لما وقعت العصبية بخراسان ، وتحرك أمر الدعاة ، كتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم :

دونك امر قد بدت أشراطه وريّشت من نبله مـراطه
إن الهدى لواضـح صراطه لم يبق الا السيف واختراطه
إن السبيل واضح صراطه

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه قال : كان إبراهيم الإمام يدعو وهو في حبس مروان : اللهم رب السموات السبع ، والأرضين السّبع ، والبحار السّبع ، وربّ العرش العظيم ، والآيات والذكر الحكيم صل على نَبيك ونجيبك محمد وعلى آله وخلفه ، علينا وعلى أهل ملتنا ودعوتنا ، بما ينعش العاثر ، ويبرىء السقيم ويفك الأسير ، ويشفي المريض ، اللهم العن أهل بيت اللعنة ، وأُنزل بهم النقمة وحقّق فيهم الرواية ، واحصدهم بالسّيف حصداً ، إنك على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم .

وحدثني داود عن أبيه ، قال : كان إبراهيم الإمام يصلي في كل يومٍ خمسمائة ركعة ويقول : هذه صلاة أبي وجدّي .

وحدثني داود عن أبيه قال : تَحَيّن إبراهيم غفلةَ من كان وُكّل به حين حُمل، فكتب كتاباً إلى أخيه أبي العباس، ودفعه إلى سابق مولاه وأمره أن يوصله

إليه ، فلمّا وقف بباب مروان بحران أسَرَّ إلى سابق شيئاً سُئل عنه سابق بعد ذلك فقال : أمرني أن أقرأ على أبي العباس السّلام وأعلمه أنه وصيّه ، بأمر الإمام محمد بن علي . وكانت نسخة الكتاب :

«بسم الله الرحمن الرحيم .

حفظك الله يا أخي بحفظ أهل الايمان ، وتولاك بالخير والإحسان ، كتابي إليك وقد وَرَدْتُ حران ، والرجل قاتلي لا محالة ، فإذا أنا هلكت فأنت الإمام الذي يقيم أمرنا ، ويرعى حرمة أوليائنا ، ودعاتنا ، ويُتِم الله به وعلى يديه ما أثلّنا وأثّل لنا ، فعليك أي أخي بتقوى الله وطاعته في قولك وفعلك ، وإصلاح نيتك ليصلح لك عملك ، واستوص بأهل دعوتنا وشيعتنا فاحفظ عبد الرحمن أميننا والسّاعي في أمورنا ، وعرّف أهل خراسان ما توجبه لنا بايثار طاعتنا ، ولا يكونن لك رأي ، ولا لأهلنا إلا الشخوص عن الحميمة وكداد إلى أوليائنا وشيعتنا بالكوفة ، مخفين لأشخاصكم مستترين عمن تخافون غيلته لكم وسعيه بكم إن شاء الله ، وأنا استودعكم الله وحده ، وأسأله لكم الصنع والكفاية ، وعليكم السّلام ورحمة الله وبركاته» .

وحدثني بعض أصحابنا عن أبي الحسن المدائني قال : كان إبراهيم الإمام جواداً معطاءً ، فوفد عليه رجلٌ من الأنصار فأعطاه كل دينار كان عنده ، فلقيه رجل فحدثه بما أعطاه إبراهيم وقال : هو والله كما قال الشاعر :

يرى البخل مُرّاً والعطاء كأنما ... يلذ به عذباً من الماء باردا

قالوا : وقدم إبراهيم الإمام المدينة فأتته عجوزٌ من ولد الحارث بن عبد المطلب ، فشكت الحاجة ، فقال : نحن على سفر وما يحضرنُا لك الكثير ، ولا نرضى بالقليل ، فاقبلي بما حضر ، وتفضلي بالعذر ، فأعطاها ناقة له برحلها وعبداً ومائة دينار .

وقال المدائني : كان إبراهيم الإمام يقول : إنَّا قومٌ لا نخشو عند السؤال ولا نجفو عند الاستعطاف . قال : وكان يقول : السّخاء من رقّة القلب والرحمة أصل كل حسنة .

وحدثني ابو مسعود الكوفي عن هشام بن الكلبي قال : كان إبراهيم الإمام يقول : الكامل المروءة من حصّن دينه ، ووصل رحمه ، واجتنب ما يلام عليه .

حدثنا علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : كان إبراهيم الإمام يقول : سمعتُ أبي يقول : لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره ، قال : وأنا أقول نُصح المستشير قضاء لحق النعمة في صواب الرأي .

المدائني عن اسماعيل بن حفص ، قال : أتى رجل إبراهيم الإمام فسأله فأعطاه وكساه وحمله ، فقال : أنتم والله أحق بهذا البيت ممن قيل فيه :

زينت أحسابَهم أحلامُهم وكذاك الحلم زين للحسب

وحدثني محمد بن الاعرابي ، قال : سأل أبو مسلم إبراهيم بن محمد الإمام عن البلاغة فقال : معرفة الوصل من الفصل ، وإصابة المعنى ، واختصار الطريق إلى الغاية التي يريد .

قالوا : قدم إبراهيم المدينة فشكا إليه عبيدٌ مواليهم ، فابتاعهم وأعتقهم ورَفَدهم ، وسأل عن ابن هَرْمة فقيل مُستخفٍ من دينٍ عليه ، فقضاه عنه ، فقال ابن هرمة في قصيدته التي يقول فيها :

كريم اذا ما أوجب اليوم نائلاً عليه جزيلاً بث أضعافه غدا
أغرَّ كضوء البدر يستمطر الندى ويهتز مرتاحاً اذا هو أنفدا

وأولها :

جزى الله ابراهيم عن جُلّ قومه رشاداً بسكفيه ومن شاء أرشدا[1]

وقال ابن هرمة في الإمام إبراهيم :

ناعٍ نعى لي ابراهيم قلتُ له شلّت يداك وعشت الدهر خزيانا
ولا رجعت الى مال ولا ولد ما كنت حيّاً وما سميت إنساناً
تنعي الإمام وخير الناس كلهم أخنت عليه يد الجعدي مروانا
فاستدرج الله مروانا بقدرته سبحان مستدرج الجعدي سبحانا
فأصبح القوم لم تطلل دماؤهم وكان حَيْنُ بني مروان قد حانا[2]

وقال سديف بن ميمون[3] :

كيف بالعفو عنهم وقدما قتّلونا وهَتّكوا الحرمات
قتلوا سبط أحمد لا عفا الرحمن عنهم مكفّر السيئات

١ ـ ديوانه ص ٩٠ ـ ٩٥ .
٢ ـ ديوانه ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧ .
٣ ـ ترجمته في الأغاني ج ١٦ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

اين زيدٌ واين يحيى بن زيد ... يـا لها من مصيبـة وتراتِ
والامامُ الذي أصيب بحـــ ... ـران إمام الهدى ورأسُ الثِّقات[1]

وقال ابن هرمة ، ويقال سديف :

قد كنت أحسبني جلداً فضعضعني ... قبرٌ بحرّان أمسى عصمة الدين
قبر الامام وخير الناس كلهم ... بين الصفائح والاحجار والطين
قبر الامام الذي عمّت مصيبته ... وعيّلت كل ذي وفر ومسكين
فلا عفا الله عن مروان مظلمة ... فـإنه كـان ملعونـاً لملعونِ[2]

فولد إبراهيم بن محمد الامام :

عبد الوهاب ، ومحمداً ، وأخوة لهما درجوا ، وأم حبيب تزوجها عيسى بن موسى فولدت له موسى بن عيسى بن موسى بن محمد . والعقب من ولد ابراهيم لعبد الوهاب ، ومحمد الأصغر . وكان المنصور ولّى عبد الوهاب بن إبراهيم الشام فمات هناك .

فولد عبد الوهاب : محمد بن عبد الوهاب ، وأمّه عائشة بنت سليمان بن علي .

فولد محمد : إبراهيم ، ويكنى أبا إسحاق ، وكان يقال له ابن عائشة ، نُسِبَ إلى جدته ، وكان أبوه أيضاً ينسب إلى أمه عائشة ، وكان إبراهيم هذا أراد الخروج على أمير المؤمنين المأمون ، وبايعه على ذلك قومٌ من أهل الحضرة ببغداد ، منهم : محمد بن إبراهيم الإفريقي ، وفرج البغواري

---

١ ـ انظر الأبيات هذه في الأغاني ج ٤ ص ٣٥٠ ، مع فوارق .
٢ ـ انظر أخبار الدولة العباسية ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ . ديوان ابن هرمة ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

مولى أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، ومالك بن شاهي الكاتب ، ودَبُّوا معه في أمره ، فاطلع المأمون على من كان يسعى له ، فحبسه في المطبق ببغداد ، فأفسد أهله حتى شغبوا فركب المأمون ليلاً إلى باب المطبق ، فأخرج إليه إبراهيم هذا ، فأمر بضرب عنقه وصلبه ، فضربت عنقه ، والمأمون واقفٌ ، وصلب في صبيحة تلك الليلة ، ثم أنزل من يومه .

ووَلَد محمد بن إبراهيم الإمام : عبْد الله ، وأمه زينب بنت سليمان بن علي ، فإليها نُسب الزينبي محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وكان المنصور ولّى محمد بن ابراهيم مكة والمدينة واليمن ، ثم ولّاه الجزيرة ، فلما توفي أخوه عبد الوهاب بالشام ، ولاه الشام مكانه .

ولمحمد بن إبراهيم يقول العنبري :

اقضِ عنّي يا بن عم المصطفى أنا بالله من الدين وبك
من غريم فاحش يقذعُني أشوه الوجه لِعرضي منتهك
ليس بالمقلع عنى دهرهُ حيثْ مازلت من الأرض سلك[1]

وقال ، ورهن مصحفه :

ما ان عمدت كتاب الله ارهنه إلا ولم يبق هذا الدهر لي نشبا
فافتكّ طه وياسيناً فانهما والسبع من محكم الآيات قد نشبا

١ ـ صحف العنبري في أخبار الدولة العباسية ص ٤٠٥ إلى «العبدى» حيث الأبيات .

وأمّا عبد الله بن محمد بن علي أبو العباس :[١]

فحدثني غير واحد أنه لما قتل إبراهيم الإمام خرج من الحميمة يريد الكوفة ، وكان أول بني أبيه خروجاً لخوفه على نفسه لمصير الإمامة إليه ، فلقيه عمه داود بن علي بدومة الجندل فقال : يا بن أخي أين تريد ؟ قال : الكوفة ، قال : أتأتي الكوفة وشيخ بني مروان بحران مطلّ على العراق في خيل العرب ورجالها ؟! فقال : يا عم ان الله إذا اراد أمراً بلغه ، ومن أحبَّ الحياة ذل ، وتمثل :

وما موتة إن متُّها غير عاجز ... بعارٍ إذا ما غالت النفس غولها[٢]

فالتفت داود إلى ابنه موسى ، وأمه أم موسى بنت علي بن الحسين بن علي فقال : صدق ابن عمك فارجع بنا معه نحيا أعزّاء أو نموت كراماً ، فلم يزل أبو العباس بالكوفة حتى ولي الخلافة .

---

١ ـ في هامش الأصل «السفاح ـ قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب الألقاب : لقب بالسفاح لكثرة ما سفحه من دماء المسلمين .

٢ ـ ديوان الأعشى ـ ط . دار صادر بيروت ص ١٣٦ .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن معن بن يزيد الهمداني، قال: كنا نتحدث أن الجعدي قتيل ابن الحارثية.

قالوا: وكان مما زاد أمر أبي مسلم بخراسان قوة العصبية التي وقعت بين: مضر، وربيعة، واليمن، بسبب تقديم نصر بن سيار الكناني بني تميم وتوليته إياهم، وتعصّبه على ربيعة واليمن، حتى غضب جُديع بن سعيد، ويقال ابن علي الأزدي، المعروف بالكرماني، وإنّما قيل له الكرماني لأنه ولد بجيرفت من كرمان.

وقال ابن الكلبي: هو جديع بن سعيد بن قُبيصة بن سراق، وكلم نصراً مرة بعد مرة، فأغلظ له حتى أمر بحبسه، وأخرجه غلام له من مجرى ماء وهو متسلخ فاجتمعت إليه اليمن وربيعة، فلم يزل نصر يحاربه، ثم انفرد بمحاربته الحارث بن سريج بن يزيد المجاشعي، فقتله الحارث، وصلبه نصر وعلق معه سمكة، يُعيِّره بعُمان وصيد السمك، وقام عليٌّ بن جديع مقام أبيه فقاتله الحارث فقتل الحارث، ويقال إن الحارث قاتل جديعاً فقتله جديع، ثم وثبت تميم وفيهم حاتم بن الحارث بن سريج فقتلوا جديعاً والله أعلم.

وقال نصر بن سيار للحارث:

يا مُدخِل الذُّلّ على قومه بُعْداً وسُحْقاً لك من هالك
ما كانت الأزد وأشياعها تطمع في عمرو ولا مالك

في أبيات.

وكان تشاغل نصر فُرصَة لأبي مسلم فقوّى أمره حتى أظهر دعوته وكتب إلى دعاته في الكور بإظهارها.

فلما قتل الكرماني قام بأمر عسكره عليٌّ ابنه ، فأظهر خلع مروان فانضم إليه خلق ، وكان شيبان بن عبد العزيز الخارجي ، وهو شيبان الصغير ، قد صار من سجستان إلى خراسان ، فكتب إليه الكرماني : إنك ونحن خالعون لمروان ، فَصِرْ إليّ لنجتمع على محاربة أوليائه ، أولياء الشيطان ، فصار إليه فكانا يحاربان نصر بن سيار ، ومال أبو مسلم فيما أظهر إلى ابن الكرماني وسلّم عليه بالإمرة وقال له : قد قوي أمرك ووهن أمر نصر ، فابعث عمالك إلى النواحي ، فكان يبعث بالرجل إلى الناحية في جماعة ، ويبعث أبو مسلم إليها مع صاحبه باضعافها فيدعون إلى الرضا من آل محمد .

ثم إن أبا مسلم إنفرد بعسكره ، وبعث إلى نصرٍ وابن الكرماني وشيبان : إني رجل أدعو إلى الرضا من آل محمد ولست أعرض لكم ، ولا أعين منكم أحداً على صاحبه .

ولما رأى نصر قوة أمر أبي مسلم بعث إليه يسأله مُوادعته وأن يدخل مرو ، فقصد لدخولها وزَوى أصحاب ابن الكرماني وأصحاب نصرٍ عنها ، فدخلها في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وهو يقرأ : ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾[1] ، فلما استولى عليها قال نصر : لا مقام لنا مع ما أرى من إقبال أمر هذا الرجل وإدبار أمرنا ، فبعث إلى ابن الكرماني : هذا رجل يظهر الميل إليك ، وإنما يريد ختَلْك فصالِحْني ، فصالحه على أن يكون أمرهما واحداً ، وإن حاربه أبو مسلم رجعا إلى ناحية مرو ، وكان أبو مسلم يظهر لابن

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ١٥ .

الكرماني إعظاماً وإجلالاً حتى إذا ضبط أمر خراسان وغلب أصحابُه ودعاتَه عليها ، ومال الناس إليه من كل أوب ، واشتدّ حجابه ، وغلظ أمرُه ، واستفحل ، بعث رسُلَه إلى نصر بن سيار ، وقد آنسه وبسطه وضمن له أن يكف عنه ، ويقوم بشأنه عند الامام ، وأعلمه أن كتاباً أتاه من عند الإمام يعدُه فيه ويُمنّيه ويضمن له الكرامة . وكان رسُلَه لاهز بن قريظ ، وسليمان بن كثير ، وعمران بن اسماعيل ، وداود بن كرّاز ، وقال لهم : أعلموه اني اريد مشافهته وقراءة كتاب الإمام عليه ، فلما أتوه تلا لاهز قول الله عز وجل : ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾[1] ، فتنبه نصر لما أراد من تحذيره فقال : أنا صائر معكم إلى الأمير أبي مسلم ، ودخل بستاناً له كأنه يريد أن يلبس ثيابه ثم ركب دابته وهرب إلى الري فمات بقِسْطانة[2] . وسأل أبو مسلم عن نصر وهل أنذره أحد ، فأخبر بتلاوة لاهز الآية ، فقال له : يا لاهز أعصبية في الدين ؟! قوما فاضربا عنقه ، فضربت عنق لاهز ، ويقال إن نصراً سار إلى الري فلما دخلها مرض فحمل إلى ساوة بقرب همذان فمات بها .

ووجّه أبو مسلم إلى ابن الكرماني رُسُله وقال لهم : ائتوني بابن الكرماني على الحال التي تجدونه عليها ، فجاؤوا به فحبسه ، وكان أخوه عثمان بناحية هراة فكتب إلى أبي داود في أمره ، فقال له أبو داود : إن أبا مسلم كتب إليّ في عبور النهر لأمر ستعْرفُه ، فإذا عدنا خلّيتُ ما بينك وبين ما وراء النهر وانصرفتُ إليه ، ثم قال : لا يعبرنّ أحد إلا أصحاب عثمان ،

١ - سورة القصص - الآية : ٢٨ .
٢ - قرية بينها وبين الري مرحلة في طريق ساوة . معجم البلدان .

فعبروا حتى إذا بقي في نفر وثب به فقتله ، وبعث برأسه إلى أبي مسلم ، فأخرج عليّاً عند ذلك فقتله ، وكان أبو مسلم قد وادع شيبان إلى مدّة ، فوجه إليه جيشاً فواقعوه فكشفوه ، وصار إلى ناحية أبيورد وأهلها أول من سوّد ، فكتب أبو مسلم إليه أن بايع للرضا من آل محمد حتى لا أعرض لك ، فبعث إليه : بل بايعني أنت ، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن ابراهيم مولى بني ليث بن بكير ، وهو بأبيورد ، في مناهضته فناهَضَهُ فقتله وأصحابَه الا عدة تفرقوا في البلاد ، ويقال بل صاروا إلى نصر قبل هربه .

حدثني أبو مسعود عن أشياخه قال : لما ظهر أبو مسلم بعث نصر إليه عرفجة بن الورد فقال : القَهُ فأسأله من هو وما أمره ، فأتاه فقال له : ما اسمك ؟ فنظر إليه شزراً ، ثم قال : عبد الرحمن بن مسلم . فقال : مِن مَن ؟ فنظر إليه حتى قيل سيقتله ، ثم قال : علمُ خبري خير لَكَ من علم نسبي ، فقال أبو نُخيلة :

نفّستَ عن عرفجة بن الورد غياطلاً من كرب وجهد

ثم إن عرفجة أتى البصرة ومات بها بعد حين .

قالوا : وأتى أبا مسلم قومُ من أصحاب الحديث فسألوه عن شيء من الفقه ، فقال : ليس هذا بوقت فُتيا ، نحن مشاغيل عن هذا ومثله .

وحدثني أبو مسعود وغيره ، قال : لما ظهر أمر أبي مسلم كتب نصر بن سيّار بن رافع بن جري أحد بني جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، قال نصر بن سيار :

أبْلِغ ربيعة في مروٍ وذا يمن أن اغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تنشبون الحرب بينكم كأنّ أهل الحجى عن رأيكم غيب

وتتركون عدوّاً قد أحاط بكم ممن تأشّب لا دين ولا حسب
لا عُرْب مثلكم في الناس نعرفهم ولا صريح موالٍ إن هُمُ نُسِبوا
من كان يسألني عن أصل دينهم فإن دينهم ان تهلك العرب
قومٌ يقولون قولاً ما سمعت به عن النبيّ ولا جاءت به الكتب

قالوا : وكتب نصرٌ إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، عامل مروان على العراق حين ظهرت المسودة :

أبلغ يزيد وخيرُ القولِ أَصْدَقُه وقد تيقَّنتُ أن لا خير في الكذب
بِأن خراسان أرضٍ قد رأيت بها بيضاً لو افرخ قد حُدِّثت بالعجب
وقد وجدنا فراخاً بعد قد كثرت لَمّا يَطِرن وقد سربلن بالزغب
إلاّ تُدارك بخيل الله مُعلمة ألهبنَ نيران حرب أيّما لهب

فقال يزيد : لا عليه فما عندي رجل واحد أمدّه به ، وكان مبغضاً له مستثقلاً لولايته خراسان .

قالوا : وكتب نصر إلى مروان يستمدّه ، فأمدّه بنباتة بن حنظلة الكلابي فقتل بجرجان . وكتب إلى مروان :

أرى خلل الرماد وميض جمر حريّ أن يكون له ضرام
فقلتُ من التعجب ليت شعري أأيقاظ أميّة أمْ نيام
فإلاّ تطفئوه يجرّ حرباً يكون وقودها قصر[1] وهام

وقتل ابنٌ لِنصرٍ في العصبية يقال له تميم ، فقال نصر :

نَأى عني العزاءُ وكنت جلدا لأنْ أجلى الفوارس عن تميم

---

١ ـ القصر : أعناق الناس والإبل ، القاموس .

أمر قحطبة

قالوا : وجه أبو مسلم في ذي القعدة سنة ثلاثين ومائة قحطبة بن شبيب بن خالد بن معْدان بن شمس بن قيس بن أكلَب بن سعد بن عمرو بن الصامت بن غَنْم بن مالك بن سعد بن نبهان ـ وهو أسودان ـ بن عمرو بن الغوث بن طيء ، إلى العراق ، ومعه أبو غانم عبد الحميد بن رِبْعي بن خالد بن مَعْدان ، والمسيب بن زهير بن عمرو بن حُمَيْل الضبي ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، وموسى بن كعب بن عيينة بن عائشة بن سري التميمي ، ثم احد امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، وحيّة بن عبدالله بن خلدة بن النطّاق ، من بني العصبة بن امرىء القيس ، ومالك بن الطوّاف بن حضرمي بن مالك بن كنانة ، من ولد العصبة أيضاً ، والقاسم بن مجاشع بن تميم بن حبيب من ولد عرعرة بن عادية بن الحارث بن امرىء القيس ، وأبو عون عبد الملك بن يزيد ، ومُقاتل بن حكيم بن عبد الرحمن العكي وغيرهم ، وحمل معهم مالاً عظيماً لأعطيتهم وكانوا في ستين وفي ثمانين وفي مائة من العطاء . وكان على مقدّمة قحطبة ابنه الحسن بن

قحطبة ، فلما وافى جرجان قال : يا أهل خراسان إن النصر مع الصبّر ، والتنازع فشل ، وإنكم تقاتلون بقية قوم حرقوا بيت الله وكتابه ، واغتصبوا هذا الأمر ، فانتزوا عليه بغير حقّ .

وكان مروان قد أمر ابن هبيرة أن يمدّ نصر بن سيار بنباتة بن حنظلة أحد بني بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، وكان نباتة قد لقي سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة بالأهواز ، وسليمان واليها من قبل عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب حين خرج عبدالله ودعا لنفسه ، فهرب منه سليمان بعد قتال وصار إلى فارس ، فكتب ابن هبيرة إليه في المصير إلى خراسان مدداً لنصر بن سيار ، فأتى أصبهان ، ثم الري ومضى إلى قومس ، فلم تحمله وأصحابه ، فصار إلى جرجان ، وسار قحطبة إليه فالتقيا في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين ومائة يوم جمعة ، وقال قحطبة : هذا يوم يرجى فيه النصر ونزول الرحمة ، وجعل يدعو إلى الرّضا من آل محمد ، ونادى أهلُ خراسان : يا محمد يا منصور ، ونادى أهل الشام : يا مروان يا منصور ، فاقتتلوا طويلاً فقتل نباتة بن حنظلة ، وانهزم أهل الشام أقبح هزيمة ، فوضع السيف فيهم ، فقتل منهم عشرة آلاف ، ويقال ستة آلاف وبعث قحطبة برأس نباتة إلى أبي مسلم ، فأمر فطيف به في كور خراسان .

وقال بعض شعراء طيّ :

لمـا رمتنـا مُضَرٌ بـالقبّ قَـرْضبهم قحطبـةُ القـرضبّ
يدعون مروانَ وأدعو ربّي

قال الحرمازي : أخبرني علماء من أهل خراسان أن نصر بن سيار كان يتضجّع في طريقه حتى قُتل نباتة ، فأتى الريّ فمرض بها وحمل إلى ساوة فمات بها .

قالوا : وقدم قحطبة الري وكتب إلى أبي مسلم يستمده ، فأمده بأبي الجهم بن عطية مولى باهلة في سبعمائة ، ويقال في ألف وسبعمائة ، وكان عامر بن ضبارة المرّي قد وُجّه لمحاربة شيبان الخارجي ففاته ولحق بكرمان ، فأتى كرمان فأوقع به واستباح عسكره ، فأتى شيبان سجستان ثم صار إلى خراسان ، وواقَع عامرٌ عبدالله بن معاوية قبل ذلك بفارس فهزمه ، فكتب ابن هبيرة إليه يأمره بالمسير إلى قحطبة ووجه معه ابنه داود بن يزيد بن هبيرة ، فسارا في خمسين ألفاً حتى نزلا أصبهان وانضم إليهم بها ولد نصر بن سنّيار وجماعة من المروانية من أهل خراسان ، ووافى قحطبة فاقتتلوا ، وعلى ميمنة قحطبة خالد بن برمك والعكّي ، وعلى ميسرته أبو غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي ، ومعه مالك بن الطوّاف التميمي ، وقحطبة يومئذ في اثني عشر ألفاً ، فلم يلبث أهل الشام أن انهزموا ، فقتلوا قتلاً ذريعاً ، وقتل عامر بن ضبارة ، وقتل مساور ، وقديد ، ومبشّر بنو نصر بن سيار ، وخالد بن الحارث بن سريج المجاشعي ، وعامر بن عَميرة السمرقندي ، وكان مع قحطبة ، فانقلب الى ابن ضبارة وبعث برأسه إلى أبي مسلم مع عيسى بن ماهان مولى خزاعة ، فاحتبسه أبو مسلم فلم يخرج من خراسان حتى قتله ، وهرب داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبيه .

وكان مالك بن أدهم بن محرز الباهلي على الري فلما قدمها قحطبة

هرب فصار إلى نهاوند فأمنه قحطبة وفتح نهاوند ، وقال قوم : كان بنو نصر بن سيار بها فقتلهم ، والثبت أنهم قتلوا بأصبهان .

وبلغ عامل حلوان وهو عبيدالله بن العبّاس الكندي خبر أصبهان ونهاوند ، فهرب فلم يلق كيّداً .

ووجه قحطبة عبد الملك بن يزيد الأزدي - أبا عون ، ومالك بن الطوّاف في أربعة آلاف إلى شهرزور ، وبها عثمان بن سفيان ، وهو على مقدمة عبدالله بن مروان بن محمد فناهضا عثمان فقتلاه ، وذلك في العشر من سنة احدى وثلاثين ومائة .

وبلغ قحطبة أن ابن هبيرة بالدسكرة يريده ، فعدلَ إلى راذان فعبر القاطول ثم أتى العلث فعبر في السفن ، ثم أتى أوانا ، ثم الأنبار ثم مليقيا من الفلّوجة ، ثم قدّم قحطبة أمامه الحسن بن قحطبة وهو يريد الكوفة ، فواقعه ابن هبيرة ، ومعه محمد بن نباتة بن حنظلة ، وحوثرةُ بن سهيل الباهلي ، فهزمهم أهل خراسان وفُقِد قحطبة ، فيقال ان قوماً من الطائيين دلّوه على مخاضة فغرق فيها ، ويقال بل وُجد مقتولاً فدفنه أبو الجهم بن عطية ، وكانت الواقعة بفم الزابي من الفلّوجة ، ويقال : وجد مقتولاً وإلى جانبه حرب بن سلم بن أحوز وقد اختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه .

وقال أحلم بن إبراهيم بن بسام : أنا قتلت قحطبة ، نظرت إليه وَاقفاً فذكرت شيئاً كان في نفسي عليه فقتلته ، ويقال انه سقط من جرف وقد اعترم به فرسه فغرق ، وقال سلم مولى قحطبة : جزنا المخاضة التي دلّنا الطائيون عليها فقاتل ليلاً فوجد فرسه عائراً فلم يُدْرَ ما خبره . وزعموا أن معن بن

زائدة ضرب قحطبة على حبل عاتقه فأسرع فيه السيف وسقط إلى الماء فأخرجوه ، وكان قحطبة أوصى إن حدث به حدث فالأمير الحسن بن قحطبة ، فبعثوا إليه فردّوه من قرية شاهي فبويع ، وسار بالناس حتى نزل النُّخيلة ، وواقع ابن هبيرة فقتل من أهل الشام أكثر من ثلاثة آلاف . وسَـوَّدَ محمد بن خالد بن عبدالله القسري بالكوفة ، وخرج في أحد عشر ألفاً ، فدعا الناس إلى الرضا من آل محمّد ، وضبط الكوفة ، وهرب عاملها ، فدخل الحسن بن قحطبة والناس في السوّاد وسألوا عن أبي سلمة وزير آل محمد ، فدلّوا على منزله ، فَخَرَجَ إليهم فقدّموا إليه دابة من دواب الحسن بن قحطبة فركبها وجاء حتى وقف بجبانة السبيع ، فبايعه أهل خراسان والناس .

ثم وجه أبو سلمة الحسن بن قحطبة إلى ابن هبيرة ، وقد صار إلى واسط ، وضم إلى الحسن خازمَ بن خزيمة التميمي والعكي ، وزياد بن مشكان صاحب المشكانية ببغداد ، وعثمان بن نوفل وغيرهم ، وولّى الكوفة محمد بن خالد ، ووجه حميد بن قحطبة إلى المدائن ، ووجه خالد بن برمك ، والمسيب بن زهير إلى دير قُنّى ، وبعث يزيد بن حاتم في أربعمـائة إلى عين التمر ، وبعث بسام بن ابراهيم إلى الأهواز وعليها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة فخرج عنها إلى البصرة .

واقتتل أهل خراسان وأهل الشام بواسط مرّات ، هُزم أهل الشام فيهن كلهن ، وجعل محمد بن خالد على شُرَطِهِ طلحة بن اسحاق الكندي ، وكان قبله على شرطة زياد بن صالح الحارثيّ عامل الكوفة من قبل ابن

هبيرة ، وكان يقال لزياد أبا الصواعق ، ومدح محمداً بن خالد حُوَيْصٌ الأشجعي ، فلم يرضه فقال :

أرى كل جار يفيد الغنى وجار بجيلة لا يفلح
محضتُ بجيلة حسن الثناء فما أحسنوا بي ولا انجحوا
ولو انصفوني لقالوا ثناه عنا فما مثلنا يمدح

وكان أبو العباس وأهل بيته بالكوفة قد أخفاهم أبو سلمة في دار في بني أَوْدٍ ، فكان إذا بعث إليه أبو العباس يسأله عن خبرهم عنده يقول : لم يأْن ظهوركم بعد ، فلم يزل قبل ظهوره كذلك أربعين ليلة وهو يريد أن يَعْدِلَها عنهم إلى ولد فاطمة .

وكان أهل خراسان يسألونه عن الإمام فيقول : نحن نتوقعه ولم يَأْن لظهوره ، ثم أرسل أبو العباس إلى أبي سلمة : إني على إتيانك اللّيْلة فقد عرفت أني صاحب هذا الأمر ، فقال لسَلْمٍ موْلى قحطبة والأسد بن المرزبان : إن رجلاً يأتيني الليلة فإن قمتُ وتركته فاقتلوه فإنه يحاول فساد ما نحن فيه ، فلما صار أبو العباس إليه ناظره فغضب أبو سلمة وأراد القيام ، فعلق أبو العباس بثوبِهِ وضاحكه ثم خرج فركب ولم يعرض له ، فلمّا لقي أهل بيته حدّثهم حديثه وقال : والله ما أفلتُّ منه حتى ساعدتُه على ما يريد ، وانّه لعلى صرف الأمر عنّا . فقال داود بن علي : الرأي أن نرجع إلى المدينة ، وقال عبدالله بن علي : اخرج فاعلم الناس أنك هاهنا . وخرج صالح بن الهيثم رضيع أبي العباس ومعه مولى لهم أسود يقال له سابق فلقيهما أبو حميد السمرقندي فعرفهما ، لأنه كان يأتي الإمام فقال لصالح : ألسْتَ رضيع ابن الحارثية ؟ وقال لسابق : ألستَ مولى الإمام ؟ فقالا : بلى ،

قال : فما تصنعان ههنا ؟ قالا : أبو العباس ابن الحارثية ورجال من أهل بيته بالكوفة مذ كذا وكذا . فأتى أبو حميد أبا الجهم بن عطية بهما ، فصارا معهما إلى بني أود في جماعة ، ثم دخل دار الوليد[1] فقال : أيّكم أبو العباس عبدالله بن الحارثية ؟ فقالوا : هو هذا ، فسلم عليه أبو الجهم بالخلافة ، ثم بكى فقال له : تركنا أبو سلمة هاهنا وأنتم حضور فلم يعلمكم خبرنا ، وبعث أبو الجهم إلى وجوه الناس فأتى عبد الحميد بن ربعي ، وإبراهيم بن سلمة ، وشبيب بن راح ، صاحب مربعة شبيب ببغداد فوق باب الشام ، في جماعة فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه ، وبلغ الخبر أبا سلمة فسقط في يده ، ثم أتى أبا العباس وسلم عليه بالخلافة ، فقال له أبو حميد : على رغم أنفك يا بن الخلّالة ، فقال أبو العباس : مَهْ ، وجعل أبو سلمة يقول : إنما أردتُ اظهار أمير المؤمنين بعد أن أحكم له الأمور ، ومنع أبو الجهم وأصحابه أبا سلمة من الدخول على أبي العباس إلاّ وَحْدَه . وأتى أبو الجهم أو غيره أبا العباس ببرذون أبلق ، وأتى أهل بيته بدواب ، فركب وركبوا وداود بن علي يسايره وهو عن يساره ، فجعل الناس يقولون لداود : هذا أمير المؤمنين ، وهم لا يعرفونه ، فقصّر دون أبي العباس حتى عُرف أنه الخليفة ، وكان أبو الجهم ، وعبدالله بن بسام يمشيان بين يديه ، وأبو سلمة يسير خلفه على فرس له والوجوم يتبينّ فيه .

وصار أبو العباس إلى المسجد فصعد المنبر ، وصعده داود بن علي فصار دونه بمرقاة ، وأمره أبو العباس بالكلام فقال : «شكراً ، شكراً ،

---

١ ـ الوليد بن سعد مولى بني هاشم ، وكانت داره في بني أود . انظر العيون والحدائق لمؤلف مجهول ـ ط . ليدن ١٨٧١ ج ٣ ص ١٩٦ .

شكراً، إنا والله ما خرجنا فيكم لنحفر نهراً ، ولا نبني قصراً ، ولا نسير سير الجبارين الذين ساموكم الخسفَ ، ومنعوكم النصف ، أظَنَّ عدوّ الله أن لن يُقدَر عليه ؟ أرخي له في زمامه حتى عثر في فضل خطامه» ، ثم ذكر العرب فاستبطأهم وقرّظ أهل خراسان ، ثم قال : «الآن عادَ الأمرُ إلى نصابه ، الآن طلعت الشمس من مطلعها ، الآن أخذ القوس باريها ، وصارالأمر إلى النزعة ، ورجع الحق إلى مُستقرِّه في أهل بيت نبيّكم وورثته أهل الرأفة والرحمة ، والله لقد كنا نتوجّع لكم ونحن على فرشنا ، أمِنَ الأبيضُ والأسود بأمان الله وذمته وذمة رسوله ﷺ ، وذمّة العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ، إنّه والله ما بينكم وبين رسول الله ﷺ خليفة إلاّ علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين ، وما بايعتم قطّ بيعة هي أهدى من بيعتكم هذه» .

وحدثني عبدالله بن صالح قال داود بن علي في خطبته : «إن العرب قد أطبقت على إنكار حقّنا ، ومعاونة الظالمين من بني أميّة ، حتى أتاح الله لنا بهذا الجند من أهل خراسان ، فأجابوا دعوتنا وتجردوا لنصرنا» ، قالوا : ثم أجلس أبو العباس موسى بن كعب لأخذ البيعة على الناس ، وبات أبو العباس ليلة الجمعة في قصر الكوفة ، ثـم صلى بالناس يوم الجمعة .

وقال هشام بن الكلبي : وُلِد أبو العباس في أوّل أيام يزيد بن عبد الملك وظهر بالكوفة عشيّة يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وملك أربع سنين وتسعة أشهر ، وتوفي يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وهو ابن ست وثلاثين سنة . قال ابن هشام[1] : وبعضهم يقول ظهر يوم الاربعاء

١ ـ كذا بالأصل وابن كما هو مرجح زائدة .

بالعشيّ ، وبويع في يومه ، ويوم الخميس ، وصلى بالناس يوم الجمعة .

وحدثني ابن القتّات عن المفضّل الضبيّ قال : خطب أبو العباس بعد قيامه بأيام بين الكوفة والحيرة فقال في خطبته : «والله لأعملنّ اللين حتى لا تنفع إلا الشدّة ، ولأكرمنّ الخاصّة ما أمِنتهم على العامة ، ولأغمدنّ سيفي إلّا أن يسلّه الحق ، ولأعطينّ حتى لا أرى للعطية موضعاً ، إنّ أهلَ بيتِ اللعنة كانوا عليكم عذاباً ، ساموكم الخسف ومنعوكم النصف ، وأخذوا الجار منكم بالجار ، وسلّطوا شراركم على خياركم ، وقد محا الله جورهم وأزهق باطلهم ، وأصلح بأهل بيْت نبيّه ما أفسدوا منكم ، ونحن متعهدوكم بالأعطية والصدقة والمعروف ، غير مُجمّرين لكم بعثاً ، ولا راكبين بكم خطراً» .

وقال ابن القتات : خطب أبو العباس يومَ ظَهَر فقال : «الحمدلله الذي اصطفى الاسلام ديناً لنفسه ، فكرّمه وشرّفه وعظّمه ،واختاره لنا ، وأيّده بنا وجعلنا أهله وكَهْفهُ وحصْنه والقوّام به والذابينّ عنه والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحقّ بها وأهلها [و][1] خَصّنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته ، ونسلنا من آبائه وأنشأنا مـن شجرته واشتقّنا من نبعته ، وجعله من أنفسُنا ، فوضعنا مِن الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وذكرنا في كتابه المنزل فقال : ﴿إنما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهركم تطهيراً﴾[2] ثم جعلنا ورثته وعصبته ، فزعمت السبئية الضُلّال ، والمروانيّةُ الجُهّال أن غيرنا أحق بالأمر منّا ، فشاهت وجوههم ، بمَ ، ولِمَ ،

١ ـ زيدت الواو من العيون والحدائق ج ٣ ص ٢٠٠ .
٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٣ .

وبنَا ، هُدي الناسُ بعد ضلالهم وبُصِّروا بعد جهالتهم وأنقذوا بعد هلكتهم ! فظهر الحقّ وأدحض الباطل ، ورُفعت الخسيسة ، وتُمّمت النقيصة ، وجُمعت الفُرقة وذلك بالنبي ﷺ ، فلما قبض الله نبيّه قام بالأمر من بعده أصحابُه فحووا مواريثَ الأمم فَعَدَلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها وخرجوا من الدنيا خماصاً ، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزّوها أهلها ، فجاروا فيها وأساؤوا ، وظلموا فأملى الله لهم حتى آسفوه ، فانتقم منهم بأيدينَا وردّ علينا حقّنا وتدارك أمّتنا ووَلِي نُصرتنا والقيام بأمرنا كما قال : ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾[1] وإني لأرجو أن يتمّ لنا ما افتتح بنا ، وسيأتيكم العَدْل والخير بعد الجور والشرّ ، وما توفيقنا إلا بالله . يا أهل الكوفة انكم محلّ دُعاتنا وأوليائنا وأهل محبّتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة مائة ، فاستعدّوا فإنّي السفّاح المُبيح والثائر المُبير» . وكان مَوْعوكاً فجلس على المنبر ، وقام داود دونه فتكلم .

وحدثني عبدالله بن صالح قال : كان المُسْتَخفون بالكوفة : أبو العباس ، وأبو جعفر ، وداود بن علي ، وموسى ابنه ، وعيسى ، وإسماعيل ، وعبد الصمد ، وعبدالله ، وسليمان ، وصالح بن علي ، والعباس بن محمد ، ويحيى بن محمد ، وعبدالوهاب بن إبراهيم الإمام ، وعيسى بن موسى ، ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس ، ومحمد بن جعفر بن عبيدالله بن العباس ، وبعض ولد معبد بن العباس .

١ - سورة القصص - الآية : ٥ .

قال وحدثنا عبثر أبو زبيد قال : أقرّ أبو سلمة محمد بن خالد القسري على صلاة الكوفة ، وولّى طلحة بن اسحاق شرطها ، فلما بويع أبو العباس ولّى داود بن عليّ الكوفة ، فأقرّ طلحة على شُرطها ،ثم صرف داود وولاّه الحجاز ، وولّى يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس الكوفة ، ثم عزله وولّى عيسى بن موسى بن محمد .

قال : فكان الربيع بن رُكَيْن ، أو غيره ، يختار لعيسى الرجال فيوليهم فقال خلو بن خليفة أو غيره :

أصبح ديني ودين الربيع على مثل دين أبي مسلم
وأصبحت تطلب أهل الصلاح فهل لك في شاعر مُحرم
يُقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وقد حلقَ الرأس بالموسم

قالوا : وكان عيسى يستشير عبدالله بن شبرمة ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فيمن يوليه عمله فسميّا له ، أو أحدهما ، نفراً فخانوا وكسروا الخراج ، فأمر بهم عيسى البطين - صاحب استخراجه - فحبسوا وعذبوا ، فقال مساور الوراق :

رأيت نواهض البقّال خيراً من الشبوط والجدي السّمين
وأحمد في العواقب حين تُبلى اذا كان المردُّ إلى البطين
فيا هذا اللطيف بقاضيينا فكنْ من علم ذاك على يقين
بانك طال ما بهرجت فيها بمثل الخنفساء على الجبين
وقل لهما إذا عرضا لصك برئت إلى عُرَينة من عَرين

وحدثني غير واحد أن عيسى تزوج امرأة من آل جرير بن عبدالله ، فقال : من يحملها إليّ ؟ فقال له ابن شبرمة : يحملها أبو السمح ، وهو رجل

كان يدخل في أعمال الخراج ، فقال مساور :

بينما نحن نرتجي لأبي السمح طساسيج تستر والفراتا
إذ أتانا على الزفاف بعهد ليته قبل هذه كان ماتا

ولقي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عيسى فقال له : ما يمنعك من إتياني ؟ قال : وما أصنع عندك ، إن أدنيتني فتنتني ، وإن أقصيتني حزنتني ، وليس عندك ما أرجوه ، ولا عندي ما أخافك عليه ، وكان عامل عيسى على الصدقات الجرّاح بن مليح ، وعلى بيْت ماله حميد الرواسي ، وكان ابن أبي ليلى على قضاء الكوفة ، وابن شبرمة على قضاء الحيرة .

قالوا : لما بويع أبو العباس ندب أهل بيته إلى قتال مروان ، فلم ينتدب له إلا عبدالله بن علي فوجههُ لحربه ، فكان من أمره ما كان .

أمر ابن هبيرة ومقتله

قالوا : ووجه أبو سلمة : الحسن بن قحطبة إلى ابن هبيرة ، وقد تحصّن بواسط فحاصره ، وكتب أبو سلمة إلى أبي نصر مالك بن الهيثم وهو بسجستان من قبل أبي مسلم يأمره بالمصير إلى البصرة ، فلما قدمها وجد عليها سفيان بن معاوية قد سوّد بها ودعا إلى بني هاشم ، فكتب أبو سلمة إلى نصر يأمره بالمصير إلى الحسن بواسط ففعل ، وواقع الحسنُ ابنَ هبيرة فهزم أهل الشام وغرق منهم خلق ، ثم واقعهم أيضاً فهزمهم ابن هبيرة ، وقاتل عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة قتالاً شديداً ، وثابَ الناسُ فهزم ابن هبيرة .

ثم إن أبا العباس رأى توجيه أبي جعفر المنصور إلى واسط ، وذلك أن قوماً من أهل خراسان كان في أنفسهم على الحسن أشياء فكرهوه ، وسألوا أبا العباس أن يوجه مكانه رجلاً من أهل بيته ليسكنوا إليه ويقاتلوا معه ، فلما قدم المنصور واسطاً تحول له الحسن بن قحطبة عن مضربه . وكتب أبو العباس إلى الحسن : إنما وجهتُ أخي إلى ما قبلك ليسكن الناس إليه ويثق ابن هبيرة بأمانه إن طلب الأمان ، وأنتَ على أمرك وجيشك والتدبير لك .

ثم التقوا وأهل الشام ، فانهزم أهل الشام ، وثبت معن بن زائدة الشيباني ، وكان مع ابن هبيرة فقاتل ، وترجل أبو نصر مالك بن الهيثم ثم افترقوا . ومكثوا أياماً ، فخرج معن بن زائدة ، ومحمد بن نباتة بن حنظلة ، فقاتلوا أهل خراسان فهزموهم إلى دجلة ، فقال لهم أبو نصر : يا أهل خراسان، ويلكم إلى أين تفرون؟ إن الموت بالسيف خيرٌ منه غرقاً، فثابوا وحملوا فهزموا أهل الشام ، فكانوا على ذلك أحد عشر شهراً ، فلما طال عليهم الحصار وجاءهم قتل مروان ببوصير من أرض مصر طلبوا الصلح ، وأتاهم اسماعيل بن عبدالله القسري فقال : علامَ تقتلون أنفسكم وقد قتل مروان ! فطلب معن بن زائدة الأمان فأمنه المنصور ، ثم طلب ابن هبيرة الأمان فأمنه المنصور أيضاً ، وكتب له كتاباً ، واشترط عليه أنه إن نكث أو غدر فلا أمان له . وكان مقيماً بواسط يغدو ويروح إلى المنصور في جماعة كثيرة ، ويتغدّى عنده ويتعشّى إذا حضر في وقت غذائه وعشائه ، وهو في ذلك يدسّ إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وغيره ، ويهمّ بالدعاء لآل أبي طالب وخلع أبي العباس ، فتيقن أبو العباس ذلك من أمره . وكان أبو مسلم يكتب إليه فيشير عليه بقتله ، ويقول : إن الطريق إذا كثرت حجارتهُ فسد ، وصعب سلوكه ، فكتب أبو العباس إلى أبي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة ، فأبى ذلك وكرهه للذي أعطاه من الأمان . فكتب إليه : إن هذا الرَجل قد غدر ونكث وهو يريد بنا العظمى ، وما لكتاب عبد الرحمن فيه اقتله ولكن لما أبان لي من نكثه وفجوره ، فلا تُراجعني في أمره فقد أحلّ لنا دمه . فأمر المنصور الحسن بن قحطبة بأن يقتله فأبى . فقال خازم بن خزيمة : أنا أقتله ، وساعده على ذلك الاغلب بن سالم

التميمي ، والهيثم بن شعبة وغيرهما ، فداروا في القصر ثم دخلوا على ابن هبيرة وعليه قميص مصريّ وملاءة مورّدة أو صفراء ، ومعه ابنه داود وكاتبه عمر بن أيوب في عدة من مواليه ، وكان قد دعا بحجام ليحتجم ، فلما رآهم مقبلين خرّ ساجداً فضرب بالسيوف حتى مات ، وقتل ابنه ومن كان معه ، وأراد عمر بن أيوب الخروج فقتل ، ويقال إنهم جرّوه برجله حتى أنزلوه عن فراشه ثم قتلوه ، وجاؤوا برأسه ورؤوس من كان معه إلى المنصور . وأخذ عثمان بن نهيك سيف حوثرة بن سهيل فضرب به عنقه ، وفعل بمحمد بن نباتة مثل ذلك ، وفعل بيحيى بن حُضَين بن المنذر مثل ذلك . وكان معن بن زائدة الشيباني قد وفد إلى أبي العباس ببيعة ابن هبيرة ، وأقام بالكوفة ، فقتل ابن هبيرة وهو بالكوفة فسلم .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : كان ابن هبيرة إذا رأى وهناً وضعفاً من أمره أنشد :

والثوب إن أسرع فيه البلى أعيا على ذي الحيلة الصانع
كنا نداريها فقد مزّقت واتسع الخرق على الراقع

قال الهيثم : وكان زياد بن صالح الحارثي مع ابن هبيرة ، فكتب إليه أبو العباس : ان لك قرابة وحقاً ، وأرغَبَه فخرج إليه ، فانكسر ابن هبيرة وطلب الأمان .

قال الهيثم : لما أُومن ابن هبيرة ونزل بواسط كتب ابو مسلم : انه قلّ طريق سهل فيه حجارة إلا أضرّت بأهله ، ولا يصلحُ والله لكم أمر دونه ابن هبيرة فاقتلوه عاجلاً فلست آمنُ ان يكيدكم ، فوجّه ابو العباس رسولاً إلى المنصور بكتاب منه يعزم عليه فيه ليقتلنّه ، فوجه المنصور أبا خزيمة والهيثم بن

شعبة والاغلب بن سالم وسليمان بن سلام الحاجب في جماعة فدخلوا رحبةَ القصر وارسلوا إلى ابن هبيرة ، انا نريد حمل ما في الخزائن ، فقال : افعلوا ، فدخلوا الخزائنِ فوكلوا بكل باب خزانة جماعة ودخلوا عليه فقتلوه ، ونادى منادي المنصور : أمِنَ خلق الله إلاّ عمر بن ذر ، والحكم بن بشر ، وخالد بن سلمة المخزومي ، وقتل من وجوه أصحاب ابن هبيرة خمسون رجلاً ، ونودي : يا أهل الشام الحقوا بشامكم ، فاشهدوا أسماءكم هناك ، ووجّه الى المثنى بن يزيد بن عمر أبا حمّاد الابرص ، وهو إبراهيم بن حسّان ، فقتله ويقال إن داود بن علي وجّهه ، واستخلف أبو جعفر بواسط الهيثم بن زياد الخزاعي ، وانصرف هو والحسن ومن معهم إلى أبي العباس .

قال أبو عطاء السندي يرثي ابن هبيرة :

ألا إنّ عيناً لم تجدُ يومَ واسطٍ عليكَ بجاري دمعها لجمودُ
عشيَّةَ قام النائحاتُ وصُفِّقت جيوب بأيدي مأتمٍ وخُدودُ
فإن تُمسِ مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفودُ
يقولون لا تبعد على متعهدٍ بلى كلُّ من تحت التراب بعيدُ

أبو الحسن المدائني عن مسلم بن المغيرة قال : كنت مع أبي أيوب الخوزى في عسكر أبي جعفر ، وكان لأبي جعفر بيت قد بني له ومضربُه يحيط به وكان في ستارة المضرب خلل ، فكنت أنظر منه فرأيت الحسن بن قحطبة إلى جانب المنصور يحدثه ، ثم دعا بحوثرة بن سهيل فجاء عثمان فأخذ سيفه فأراد أن يتكلم ثم سكت فأدخل البيت وأغلق عليه ، ثم خرج سلام صاحب أبي جعفر فدعا بمحمد بن نباتة فصنع به مثل ذلك ، ثم خرج فقال : أين يحيى بن الحضين ؟ ثم دُعي ببشر بن عبد الملك بن بشر ، أو قال

بالحكم بن عبد الملك ، فقام ومعه أخوه أبان فقال : ما فرق بيني وبينه شيء قط ، فقال له سلام : اجلس فانما نفعل ما نؤمر به فجلس ، ثم دعا بخالد بن سنان المرّي وكان على شرطة ابن هبيرة ، ثم قتل خالد بن سلمة المخزومي وابنه ، ثم قتل حرب بن قطن الهلالي ، ثم خرج سلام فقال للناس : انصرفوا .

قال مسلم بن المغيرة : فسألت عثمان بن نُهيك عن السبعة النفر ، فقال : أما حوثرة فإني أدخلت السيف بين ضلعين من أضلاعه وقلتُ : يا عدو الله أنت الكاتب إلى مروان إنّ الله مخزيهم ، ثم لم يُرضك إلاّ شتمنا ! ولم يكن في القوم أجزع من ابن نباتة ، كان يصيح كما يصيح الصبيان على شجاعته وبأسه ، وأما خالد بن سنان فقال : يا مجوس قتلتمونا غدراً ، والله لقد قتلنا سيدكم قحطبة ، وقتل مع ابن هبيرة رباح بن أبي عمارة مولى هشام ، وكان هشام اشتراه بعشرة آلاف فأعتقه ، فلما جرى الصلح بين ابن هبيرة وبين أبي جعفر قال له أبو جعفر : أعربي أم مولى ؟ قال : ان كانت العربية لساناً فقد نطقنا بها ، وإن كانت ديناً فقد دخلنا فيه ، فاستبرعه فسأل عنه فقيل قتل ، ويقال إنه أمر أن يُستبقى فعجل عليه ، وهرب ابن علاثة ، وهشام بن هُشيَم بن صفوان الفزاريان فلُحقا فقتلا على الفرات ، وقتل أبو عثمان الحاجب وهو يتغدى بلحم بقر ، دعا به خازم فضرب وسطه . وقتل الحكم بن عبد الملك أخو بشر بن عبد الملك وابنان له ، وقيل إنه هرب ، وأبو علاثة الفزاري وكان على حلوان ، ويوسف بن محمد بن القاسم الثقفي . ودعي بحرب بن قطن فطلب فيه الحسن بن قحطبة وقال :

خالكم ، فقال أبو جعفر : إن أمير المؤمنين كتب يؤمنك لرحمك وحقن دمك .

قال بعض الرواة : قام سعد الموصلي ـ ويقال سعيد ـ خليفة عثمان الحاجب دون ابن هبيرة فقال : وراءكم ، فضربه الهيثم على حبل عاتقه فصرعه ، وقام داود دون أبيه فقتل .

قالوا : وكان عمر بن ذر يقول : ضاقت عليَّ الأرض ، فخرجت على دابتي أقرأ آية الكرسي فما عرض لي أحد ، فاستأمن لي زياد بن عبيد الله الحارثي فآمنني أبو العباس ، وكان عمر يقص ويحرّض على المسوِّدة . وكان أبو جعفر قد آمن خالد بن سلمة ، فقال أبو العباس ، لو كانت له ألف نفس لأتيت عليه ، فقتله .

قالوا : وكان خازم يقول : والله ما بدرت إلى قتل ابن هبيرة إلّا مخافة أن يُدفع الى رجل من اليمانية فيفخر علينا بقتله ، . وطلب سليمان بن علي الأمان لعقال بن شبة بن عقال المجاشعي ، فأمنوه فذكر بني العباس ففضّلهم وذمّ بني أمية وتنقصهم ، وتكلم ثمامة بن الرحيل الحنفي ، وكان خطيباً ، فقال :

ألا ليت أم الجهم سقيا لذكرها ترى حيث قمنا بالفراق مقامي
عشية بذّ الناس جهدي ومنظري وبـذّ كـلام الناطقين كلامي

وحُدثت ان ابن هبيرة لما بنى مدينته همّ بأن يسميها الجامعة ، فقال له سلم بن قتيبة ، وهو يومئذ معه : أرأيت إن قيل أين الامير ، أيقال في الجامعة ؟ فتطيّر فسماها المحفوظة ، فلما قدم أبو العباس سماها الهاشمية وأتم بناءها .

قالوا : وكان يزيد سخياً وكان يطعم الناس طعاماً واسعاً ويؤتون قبل الطعام بعساس اللبن وبأنواع الأشربة . وكان جلساؤه وسُمّاره داود بن أبي هند ، وابن شبرمة وابن ابي ليلى ، فقال ابن شبرمة :

اذا نحن أعتمنا وماد بنا الكرى أتانا باحدى الركعتين عياض

يعني حاجبه . وكان يقضي في كل ليلة عشر حوائج ، فإذا أصبح أنفذها . وكان ربما لحن في كلامه ، فقال له سلم بن قتيبة في ذلك فتحفظ .

حدثنا المدائني قال : كتب أبو مسلم إلى أبي العباس : إن أهل الكوفة قد شاركوا شيعة أمير المؤمنين في الاسم ، وخالفوهم في الفعل ، ورأيهم في آل علي الرأي الذي يعلمه أمير المؤمنين ، يؤتى فسادهم من قبلهم باغوائهم إياهم واطماعهم فيما ليس لهم ، فالحظهم يا أمير المؤمنين بلحظة بوار ولا تؤهلهم لجوارك فليست دارهم لك بدار ، واشار عليه أيضاً عبد الله بن علي بنحو من ذلك ، فابتنى مدينته بالأنبار وتحول إليها وبها توفي .

وأخذ يوماً بيد عبد الله بن حسن فجعل يطوف به فيها وكان له مكرماً ، وكان ذلك لا يمنعه من حسد ، فجعل يتمثل قول الشاعر :

أَلم تَرَ حوشبا أضحى يُبَنّي منـازل نفعُهـا لبني بقيلَهْ
يؤمِّل أن يعمّر عُمَر نوحٍ وأمـرُ الله يـأتي كـل ليله

فتطيّر أبو العباس وقال : أُفٍّ ، لقَلَّ ما يملك الحسود نفسه ولسانه ، فقال عبد الله : اقلني ، فقال : لا أقالني الله إذاً ، اخرج عني ، فخرج إلى المدينة . ويقال إنه أنشد هذا الشعر ، وقد طوّفه الهاشمية حين استتمّ بناءها .

قالوا : واستعمل أبو العباس أبا جعفر المنصور على : الجزيرة ، وأرمينية ، وأذربيجان ، في ذي العقدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وولى يحيى بن محمد بن علي الموصل ، فقدم ابو جعفر قرقيسيا وعليها المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى ، فدعاه إلى الطاعة فأبى ، فخلّف عليها مالك بن الهيثم فقتل المنذر وصلبه وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وفي تلك السنة وُلد عبد الله بن مالك . ومضى المنصور إلى الرقة فدعاهم فلم يجيبوه ، فخلف عليها موسى بن كعب ففتحها وغلب عليها ، وسار المنصور في مدن الجزيرة يُصالح من دخل في طاعته ، ويخلّف على من التوى عليه حتى فتحها ، فكان ممن صالح أهل الرها ، وأهل نصبين ، وأهل دارا .

قالوا : وخرج على أبي العباس ، والمنصور عامُله على الجزيرة ، قومٌ من الخوارج وأميرهم بكر بن حميد الشيباني ، فوجه إليهم محقن بن غزوان فهزموهم فأتى رأس عين ، وبلغ ذلك أبا جعفر فوجه اليهم مقاتل بن حكيم العكّي ، وأتبعه أبو جعفر من كفرتوثى ، إلى بعض قرى دارا ، فالتقوا فقتل محمد بن سعيد خدينة بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، وكان مع الخوارج ، وانهزمت الخوارج ؛ واعتصم بكر بجبل دارا ، فتوجه اليه العكي فقتله . وأمر أبو جعفر بهدم مدائن الجزيرة إلا حرّان ، واستعمل على أرمينية يزيد بن أسيَد بن زافر السّلمي ، ثم شخص أبو جعفر في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة إلى أرمينية فدوخّها ، واستأمَنَ إليه جماعة كانوا في قلعة الكلاب ، وقفل منها سنة ست وثلاثين ومائة ؛ وعزل يزيد بن أسيد ، ووَلّى أرمينية الحسن بن قحطبة .

وقال الهيثم بن عدي : وجّه أبو العباس حين استخلف أبا جعفر في ثلاثين من بني هاشم والفقهاء فيهم الحجاج بن أرطاة ، إلى أبي مسلم ليهنؤوه بظهور الإمام وما فتح الله على يديه ، ويعلموه ما كان له من الأثر الجميل عند أمير المؤمنين والذي هو عليه من شكره ، فلما قدم عليه ابو جعفر وقف على بابه محجوباً ساعات . ثم أذن له ولم يُظهر له من التبجيل ما كان يستحقه ولم يؤمّره ، فحقد عليه ، فلما قدم على أبي العباس قال : إنه لا مُلك ولا سلطان حتى تقتل أبا مسلم فقد أفْرَط في الدالّة وعدا طَوْره ، فأشار إليه أن أسكت .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن اسحاق بن عيسى بن علي عن المنصور ، حدثني عبد الله بن صالح عن الهيثم بن عدي وغيره قال : أرسل يزيد بن عمر بن هبيرة وهو محصورٌ بواسط إلى المنصور وهو بإزائه : «إني خارج اليك يوم كذا وداعيك الى المبارزة فقد بلغني تجبينك إيّاي» ، فكتب إليه المنصور : «يا بن هبيرة إنك امرؤ متعدٍّ لطورك جارٍ في عنان غَيّك ، يَعدُك الشّيطان ما الله مُكذّبُه ، ويُقَرِّبُ لك ما الله مُباعِدهُ ، أفصح رُويداً تتمّ الكلمةُ ويَبْلُغ الكتابُ أجلَه وقد ضرّيت لي ، مثلي ومثلك أن أسداً لقي خنزيراً فقال الخنزير : قاتلني ، فقال الأسد : إنما أنت خنزير ولست لي بكفؤ ولا نظير ، ومتى فعلت الذي دعوتني إليه فقتلتك قيل قتل خنزيراً ، فلم أعتقد بذلك فخراً ولا ذكراً ، وإنْ نالني منك شيء كان سُبّةً عليّ وإنْ قلّ ، فقال : إن أنت لم تفعل رجعتُ فأعلمت السباع أنك نَكَلْتَ عني وجبنت عن قتالي ، فقال الأسد : احتمال عار كذبك أيسر عليّ من لَطْخِ شاربي

بدمك» ، ولم يمكث ابن هبيرة بعد ذلك إلّا أيّاماً حتى طلب الأمان وضرع إليه .

حدثني المدائني قال : قال بعض أهل خراسان لبعض الفزاريين : ما كان أعظم رأس صاحبكم ؟! فقال : أمَانُكم له كان أعظم .

وقال أبو الحسن : حصره أبو جعفر تسعة أشهر ، ولما قُتِل أخرج إلى باب المضمار بواسط فَصُبَّ النّفط على جثته وأحرق ، وأمر أبو جعفر بهدم مدينة واسط ، وقال : حُصر ابن هبيرة وما في رأسه بيضاء ، فما قتل إلا وقد شاب .

قالوا : وكان ابن هبيرة يقول حين حُصر : والله لو كان أبو جعفر أعزّ من كليب وائل ما قدر عليّ ، ولو كان أشجع من شبيب ما هِبتُه . وقال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي : كيف رأيت صنيعي بابن هبيرة ؟ قال : تغرير وقد سلّم الله ، كنت في خرق وحولك من يطيعه ويموت دونه ويتعصب له من قيس وغيرها ، فلو ثاروا لذهب الناس ولكنّ أمركم جديد والناس بين راجٍ وهائب .

وقال هشام : خرج ابن هبيرة حين خرج إلى أبي جعفر في جماعة ، فيهم جعفر بن حنظلة البهراني ، فألقى له الحاجب وسادة وقال : اجلس راشداً يا أبا خالد ، وقد أطاف بالحجرة عشرة آلاف من أهل خراسان ، ثم أذن له فدخل على أبي جعفر فالقيت له وسادة فحدّث أبا جعفر ساعة ، وكان يركب في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل ، فقال يزيد بن حاتم : ما ذهب سلطان ابن هبيرة بعدُ ، إنه ليأتينا فيتضعضع له العسكر ، فليت شعري ما يقول في هذا عبد الجبار وجهور بن مرّار وأشباههم ؟! فقال سلّام

لابن هبيرة : يقول لك الأمير لا تسر في هذه الجماعة ، فلما ركب ركب في ثلاثين ، فقال سلام : كأنك تريد المباهاة ؟! فقال : إن أحببتم أن نمشي إليكم فَعَلنا ، فقال : ما هذا باستخفاف ولكن أهل العسكر كرهوا هذا الجمع ، فأمر الأمير بهذا نظراً لك ، فكان يركب في رجلين وغلامه ، وختمت خزانته وبيت ماله ودار الرزق وفيها طعام كثير ، وعزم أبو العباس على قتله ووُجد له كتاب إلى عبدالله بن حسن ، فأمر أبو جعفرُ عثمان بن نَهيك بقتله ، فقال : ليقتله رجل من العرب ، فندب له خازماً ، والأغلب ، والهيثم بن شعبة .

قالوا : وسأل المنصور ابن هبيرة عن أدمٍ كان قسمه ، فقال : أيها الرجل توسّع توسّعاً قرشياً ولا تضق ضيقاً حجازياً فما مثلي يسأل عن أدم ولا يعاتب عليه ، وهذا ضربُ أخماسٍ لأسداس ، وقال له المنصور يوماً : يا أبا خالد حَدّثنا ، فقال : والله لأمحضنك النصيحة إمحاضاً ، ولأخلصنها لك إخلاصاً ، إنّ عهد الله لا يُنكث وعقده لا يُحلّ ، وإن امارتكم حديثة ، وخلافتكم بكر فأذيقوا الناس حلاوتها وجنّبوهم مرارتها ، ثم نهض ونهض معه سبعمائة من القيسية ، فقال المنصور : لا يعزّ ملكٌ هذا فيه .

المدائني عن أبي عمرو القرشي قال : دخل ابن هبيرة على أبي جعفر فجعل يحدّثه وأبو جعفر مزْوَرٌّ عنه ، فجعل ابن هبيرة يقول : عليّ ، فأقبلْ أيها الرجل ، فلما خرج قال أبو جعفر ، ألا تعجبون من ابن اللخناء وقوله لي .

حدثني ابن القتّات قال : قال أبو جعفر لسلم بن قتيبة : ما كلمت عربياً قط أعظم نخوة من ابن هبيرة ولا أحسن عقلاً ، قال لي يوماً وهو يكلمني : اسمع لله أبوك ، ثم تداركها فقال : إن عهدنا بالإمرة والولاية قريب فلا تلمني فإنها خرجت مني على غير تقدير فاغفرها ، فقلت : قد غفرتها .

أمر أبي سلمة

قال ابن القتّات:قال المنصور : دعاني أبو العباس فذاكرني أمر أبي سلمة ، فقال : والله ما أدري لعل الذي كان منه عن رأي أبي مسلم وما لها غيرُك ، اخرج إلى أبي مسلم مهنّئاً بما وهب الله لنا ، وبِنُجْحِ سعيه فيما قام به من أمرنا ، وخذ البيعة عليه وأعلمه بما كان من أمر أبي سلمة ، واعِرف رأيه ، وعرّفه الذي نحن عليه من شُكرِه ومَعرِفة حقّه . قال : فخرجت إلى خراسان ومعي ثلاثون رجلاً منهم إسحاق بن الفضل الهاشمي والحجاج بن أرطاة ونحن على وَجَل ، فلما شَارَفْتُ مرو تلقاني أبو مسلم فلما دنا مني نزل وقبّل يدي ، فقلت : اركب ، فركب وقدمت مرو فنزلتُ داراً ، ومكث ثلاثة أيام لا يَسألني عن شيء ، ثم قال لي : ما أقدمك يا أبا جعفر ؟ فأخبرته ، فقال : قد تقدّمت بيعتي وأخذتها لأمير المؤمنين قبل قدومك عليّ ولكني أماسِحُك له ، فماسحني ، ثم قال : أفَعَلها أبو سلمة ؟ قلت : قد فعلها ، فقال : اكفيكموه ، ودعا بمرار بن أنس الضبي فقال : انطلق إلى حفص بن سليمان بالكوفة فاقتله حيث لقيته ، فقدم مرار الكوفة ، وكان أبو

سلمة يسمر عند أبي العباس فقعد له بعض الليالي على طريقه فلما خرج قتله ، فقالوا: قتلته الخوارج . وكان أبو جعفر يأتي دهليز أبي مسلم فيجلس فيه ويستأذن له الحاجب ، ثم أمره بعد ذلك أن يرفع له الستور إذا جاء ويفتح له الأبواب .

وحدثنا ابن القتّات عن إسحاق بن عيسى قال : أراد أبو العباس قتل أبي سلمة فقال له عمه داود بن علي : لا تتولّ قتله فتخبث نفس أبي مسلم ويحتج بذلك عليك ، ولكن اكتب إليه فليوجّه من يقتله ، ففعل .

وقال أبو اللفائف الأسدي :

ويح من كان مذ ثلاثون حَوْلاً ... يبتغي حتف نفسه غير آل
لم يزل ذاك داب كفيّه حتى ... عضّه حدُّ صارم في القذال
كاده الهاشمي منه بكيدٍ ... حيلة غير حيلة الخلال

وحدثني أبو مسعود عن المفضل الضبيّ قال : كتب أبو العباس بخطه أو بإملائه إلى أبي مسلم كتاباً مع أبي جعفر حين وجّهه إلى خراسان : «إنه لم يزل من رأي أمير المؤمنين وأهل بيته الإحسان إلى المحسن ، والتجاوز عن المسيء ما لم يكد دِيناً ، وإن أمير المؤمنين قد وهب جرم حفص بن سليمان لك وترك إساءته لإحسانك إن أحببتَ ذلك» . فلما قرأ أبو مسلم الكتاب وجّه مرار بن أنس إلى الكوفة لقتل حفص حيث ثَقِفه ، وكتب : «إنه لا يتم إحسان أحد حتى لا تأخذه في الله لومة لائم ، وقد قلبتُ مِنّةَ أمير المؤمنين وآثرت الانتقام له» ، فقتل مرار أبا سلمة غيلةً ، فقيل قتلته الخوارج ، وأمر أبو العباس أخاه يحيى بن محمد بالصّلاة عليه .

وقال الهيثم بن عدي : كان أبو مسلم يكتب إلى أبي سلمة : «لوزير آل محمد من عبد الرحمن بن مسلم أمين آل محمد» . فكتب أبو العباس إلى أبي مسلم يعلمه الذي كان من تدبيره في صرف الأمر عنه ونكث بيعة الإمام ، فكتب أبو مسلم يشير بقتله ، فكتب إليه : «أنت أولى بالحكم فيه فابعث من يقتله» ، فوجّه مرار بن أنس الضبيّ فلقيه ليلاً فأنزله عن دابته ثم ضرب عنقه ، ثم جمع أبو الجهم بن عطية ، وكان عيناً لأبي مسلم ، يكتب إليه بالأخبار ، جميعَ القواد ، فقال : إن حفصاً كان غاشاً لله ورسوله والأئمة فالعنوه ، فلعن . فقال سليمان بن مهاجر البجلي :

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا

قالوا : وقال المنصور حين قتل أبو سلمة : دَوِي العبد وأصاب أمير المؤمنين دواه . وقال عبدالله بن علي حين بلغه قتله : كلب أصابه قدر فطاح .
قال : وسمع أبو العباس الصراخ على أبي سلمة فتمثل قول الشاعر :

أفي أن أحشَّ الحرب فيمن يحشّها ألامُ وفي ان لا اقر المخاويا
ألم آلُ ناراً يتقي الناسُ حرّها فترهبُني إن لم تكن لي راجيا

وكان بقاء أبي سلمة في الدولة ثلاثة أشهر ، أو أربعة أشهر .

وحدثني محمد بن عباد ، حدثني رجل من ولد جرير بن عبدالله قال : أعطى أبو العباس محمد بن خالد بن عبدالله القسري ضياع أبيه ، فأعطى محمد ولد أخيه يزيد نصفها ، فقال له أبو العباس : إنا إنما سلّمنا هذه الضياع إليك لبلائك ومخاطرتك بنفسك ولم نعطك إياها لتقسمها بينك وبين ورثة أبيك . قال : وقال قوم إنما أعطاه نصف ضياع أبيه ، فقال له داود بن

علي : ما جزاؤه معها فعل إلا أن تعطيه إياها كملاً ، فقد أحسن وأجمل ، فأعطاه جميعها .

وقال المدائني : حصر عبدالله بن علي إسحاق بن مسلم العقيلي بسميساط ، أو بسروج ، أو غيرها أيام ولايته لأبي العباس ، فقال : إن في عنقي بيعة فأنا لا أنكثها ولا أزال متمسكاً بها حتى أعلم أن صاحبها قد هلك ، فقال له عبدالله : إن مروان قد قتل ، فلما تيقن ذلك طلب الصلح والأمان فأومن وحمل إلى أبي العباس فكان أثيراً عنده وعند المنصور . وكانوا ينسبونه إلى الوفاء وكان فيه جفاء يُدارى له ، فلما خالف عبدالله بن علي أبا جعفر وصار بكار بن مسلم معه فكان أشد الناس على أهل خراسان قال أبو جعفر : يا إسحاق ألا تكفينا أخاك ؟! قال : اكفني عمك حتى أكفيك أخي ، فضحك لقوله .

قالوا : وكان أبو نخيلة[1] يوماً عند أبي العباس وإسحاق بن مسلم حاضرٌ ، وذلك بعد قتل ابن هبيرة وهدم مدينة واسط وبناء أبي العباس مدينته بالأنبار ، فأنشده :

أصبحت الأنبارُ داراً تُعمر ... وخَرجت من النفاق أدْوُر
حمص وقنّسرينها وتدمر ... أين أبو الورد وأين الكوثر
وأين مروان وأين الأشقر ... وأين أجسادُ رجالٍ قبروا

---

١ - ترجم له صاحب الأغاني ج ٢٠ ص ٣٩٠ - ٤٢٣ .

هيهات لا نَصْرَ لمن لا ينصر ... وواسط لم يبق إلا القرقر[1]
بها وإلاَّ الديدبان الأخضر ... منازلٌ كانت بهنّ العُهَّرُ[2]

فغضب إسحاق وقال : والله لقد سمعته يقول فيكم مثل هذا القول ، فقال المنصور : إنما أنت يا أبا نخيلة مع كل ريح ، وكان في إسحاق جفاء ، وأمر أبو العباس لأبي نخيلة بخمسين ألف درهم .

وحدثنا المدائني قال : جلس أبو العباس للناس ذات يوم ، فقام رجل فذمَّ أهل الشام والجزيرة ، فقال له إسحاق : كذبت يا بن الزانية ، فقال زياد بن عبيدالله : خذ للرجل بحقه يا أمير المؤمنين . فقال أبو العباس : أترى قيساً ترضى بأن يُضرب سيدها حدّاً ؟ لو دعوته بالبينة لجاء مائة من قيس يشهدون أن القول قوله ، فترك الرجل مطالبته .

١ ـ أي لم يبق فيها سوى الركام . انظر مادة «قرقر» في النهاية لابن الأثير .
٢ ـ القصيدة في الأغاني ج ٢ ص ٤١٥ ـ ٤١٦ مع فوارق .

ذكر برد رسول الله ﷺ وقضيبه وقعبه ومخضبه

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي ، حدثنا يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح ، أن رسول الله ﷺ دفع بُرداً له إلى أناس من النصارى من أهل دومة الجندل أو أهل مَقْنا أماناً لهم فاشتراه أبو العباس أمير المؤمنين من أولادهم بأربعمائة دينار ، فهو الذي يلبسه الخلفاء .

قال عبدالله ، وذكر الواقدي ، أن الذين دفع البرد إليهم أهل تبوك ، قال : وقال الهيثم بن عدي : هم أهل أيلة . وقال بعضهم : دفن مروان البرد والقعب والقضيب والمخضب لئلا يصير إلى بني العباس فدلهم عليه خصيّ لمروان .

حدثني محمد بن الربيع بن أبي الجهم بن عطية عن أبيه قال : قال أمير المؤمنين أبو العباس : إذا عظمت القدرة قلّت الشهوة ، وقلّ تبرّع إلا ومعه حق مضاع .

وحدثني محمد بن الربيع عن أبيه قال : قال أبو العباس : إن من أدنياء الناس ووضعائهم من عدّ البخل حزماً والحلم ذلاً .

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي عن عبدالله بن عياش الهمداني قال : دخلتُ على أبي العباس أمير المؤمنين بعد مقتل مروان فقلت : الحمدلله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول الله ﷺ وابن عبد المطلب .

قال الهيثم : وكان محمد بن مروان بن الحكم أخذ جارية لابراهيم بن الأشتر النخعي حين حاربه أيام مصعب ، فولدت مروان بن محمد .

وكان الجعد بن درهم قد أفسد دين مروان ، وكان مروان عاتياً لا يبالي ما صنع ، فكان يقال : مروان أكفر من حمار الأزد ، وهو حمار بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان جبّاراً قتّالاً لا يبالي ما أقدم عليه ، فسمي حمار الجزيرة .

حدثني عبدالله بن صالح ، عن رجل ، عن عمارة بن حمزة ، قال : كان أبو العباس يقول : أو قال كتب : «إذا كان الحلم مفسدةً كان العفو معجزةً ، والصبر حسن إلا على ما أوتغ[1] الدّين وأوهن السلطان ، والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة» .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : دخل على أبي العباس مشيخة من أهل الشام فقالوا : والله ما علمنا أنّ لرسول الله ﷺ قرابة يرثونه إلّا بني أمية حتى وليتم . فقال إبراهيم بن مهاجر :

أيها الناس اسمعوا أخبركم عجباً زاد على كل عجب
عجباً من عبد شمس انهم فتحوا للناس أبواب الكذب

١ ـ الوتغ : الاثم والهلاك ، والملامة ، وسوء الخلق ، وفرط الجهل . القاموس .

ورثوا أحمد فيما زعموا دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه يحرز الميراث ألاّ من قَرُب

وحدثني عبدالله بن صالح ، أخبرني الثقة ، قال : وَجِد أبو العباس على إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، وكان من صحابته وسمّاره فحجبه ، فذكر عنده وقيل إنه لحسن العلم والحديث ، فقال عيسى بن علي : إنه لكذلك أفلا تصفح عنه يا أمير المؤمنين وتعيده إلى مجلسك وسمرك ؟ فقال : ما يمنعني من ذلك إلا أني لا أحب أن يتبين الناس أن رضاي قريبٌ من سخطي ، وسوف أدعو به .

المدائني قال : قالت أم سلمة ، امرأة أبي العباس : يا أمير المؤمنين ما أحسن الملك لو كان يدوم ، فقال : لو كان يدوم لدام لمن قبلنا فلم يصل إلينا .

حدثني الحسن بن علي الحرمازي عن العُتبي وغيره ، قالوا : كان أبو العباس يقول : إن أردنا علم الحجاز وتهامة فعند سعيد بن عمرو بن الغسيل الأنصاري ، وان أردنا علم تميم وعلوم فارس والعجم فعند خالد بن صفوان ، وإن أردنا علم الدنيا والآخرة والجن والأنس فعند أبي بكر الهذلي ، وكان هؤلاء سمّارة وحُدَّاثه .

وقال عبدالله بن صالح العجلي : ركب أبو العباس بالأنبار فمر بقوم من الفعلة فقال لعيسى بن علي : يا أبا العباس إن السعيد لمن سلم من الدنيا ، وددت أني لم أتقلد شيئاً مما تقلدت ، أهؤلاء أحسن حالاً وأخف ظهوراً في معادهم أم أنا ؟ فقال عيسى : يا أمير المؤمنين قد أحسن الله إليك وإلى الأمة بك وأنقذهم ببركتك من جور بني أمية وجبروتهم .

المدائني قال : كتب أبو العباس إلى زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي وهو عامله على المدينة أن يخرج المخنثين عنها ، فأمر بإخراجهم ، فقال له صاحب شُرَطِه : إن في دارنا مخنثاً ، فإن رأى الأمير أن يدعه ، فقال : دع في كل دار مخنّثاً ، فقال : إذاً نحتاج إلى أن نجلبهم من الآفاق . وكان زياد بخيلاً حقن بادهان لعلة كانت به ، فأراد غلمانه هراقة ما خرج منه ، فقال : صفّوا هذه الأدهان واستصبحوا بها ولا تهريقوها ، وأكل معه رجلٌ يوماً فأتي بجدي فجعل الرجل يتناول منه تناولاً شديداً ، فقال له : إني أراك تأكل لحم هذا الجدي كأن أمه نطحتك ، فقال : وأراك أيها الأمير تشفق عليه كأن أمه أرضعتك . وأكل عنده الغاضري ، ويقال أشعب ، في شهر رمضان فقدمت إليه مضيرة فجعل يأكل منها أكلاً شديداً ، فقال له : إن أهل السجن يحتاجون في هذا الشهر إلى إمام يصلي بهم فأدخلوا فلاناً ليصلي بهم ، فقال : أوغير ذلك أصلح الله الأمير ، أحلف بالطلاق أن لا آكل مضيرة أبداً .

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي قال : كانت أم سلمة بنت يعقوب المخزومية امرأة أبي العبّاس عند مسلمة بن هشام المعروف بأبي شاكر، وكان أبو شاكر صاحب شراب فشكته أم سلمة إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك فعاتبه فطلقها ، فصارت إلى فلسطين فتزوجها أبو العباس أمير المؤمنين فكلمته في سليمان بن هشام وقالت انه كان مبايناً لمروان فأمر أن لا يعرض له ، فكان يدخل عليه . فبينا هو ذات يوم عنده إذ دخل عليه سديف بن ميمون مولى بني هاشم ، وكان طويلاً أحنى ، فأنشده :

أصبح الدين ثابت الآساس بـالبهاليـل من بني العباس
يا كريم المطهرين من الرجـ ـس ويا رأس كل قرم وراس
أنتَ مهديُّ هاشم ورضاها كم أُناس رجوك بعد أناس
لا تقيلنَّ عبد شمس عثاراً واقطعن كل رقلة وغـراس
انزلوهـا بحيث انزلهـا اللـ ـه بـدار الهوان والاتعـاس
فلقـد غاظني وأوجـع قلبي قـربها من نمـارق وكـراسي
اذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيـلاً بجـانب المهـراس[1]
والامام الذي بحّران أمسى رهن رمس مجاور الأرماس[2]

وأنشد :

لا يَغُرَّنْكَ ما ترى من رجالٍ إن تحت الضلوع داءً دويّا
فضع السيف في ذوي الغدر حتى لا ترى فوق ظهرها امويّا[3]

وأنشد :

علامَ وفيمَ تُترك عبد شمسٍ لهـا في كل نـاحيـة ثُغـاءُ
فما بالرمس من حران فيها وان قُتلت بأجمعها ، وفـاءُ

وكان أبو مسلم يكتب إلى أبي العباس في أمر سليمان : «إذا كان عدوك ووليّك عندك سواء ، فمتى يرجوك المطيع لك المائل إليك ، ومتى يخافك عدوك المتجانف عنك» ؟ فلما خرج سليمان من عند أبي العباس قال لسديف : قتلتني قتلك الله .

١ ـ المشار إليه هنا حمزة عم النبي ﷺ ، والمهراس مما كان يتجمع فيه الماء بأحد .
٢ ـ القصيدة في الأغاني ج ٤ ص ٣٤٥ مع فوارق .
٣ ـ انظر الأغاني ج ٤ ص ٣٤٨ مع فوارق .

قال : ثم دعا أبو العباس أبا الجهم بن عطية فقال له : قد بلغني عن سليمان بن هشام أمر أكرهه فاقتله ، فأخرجه إلى الغريّين فقتله وابناً له وصلبهما ، وحضر غلام له أسود فجعل يبكي على مولاه ويقول : هكذا الدنيا تصبح عليك مقبلة وتمسي عنك مدبرة .

وقال غير الهيثم : دُفع سليمان إلى عبد الجبار صاحب شرط أبي العباس فأمر المسيب بن زهير فقتله . ويقال ، إن سديفاً لما أنشد الشعر قام سليمان فقال : ان هذا يشحذك عليّ ، فقد بلغني أنك تريد اغتيالي ، فقال : يا جاهل ، ومن يمنعني منك حتى أقتلك اغتيالاً ، خذوه ، فأخذ فقتل .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب وغيره ، قالوا : ضمّ سالم بن عبد الرحمن كاتب هشام بن عبد الملك : عبد الحميد بن يحيى إلى مروان حين شخص إلى أرمينية ، وكان عبد الحميد من حديثة النورة من الأنبار ، وأتى الشام فتخرّج هناك ، وقوم يقولون إنه مولى لبني أمية ، وقوم يقولون إنه مولى لغيرهم من قريش ، فلم يزل عبد الحميد مع مروان حتى نزل بمروان الأمر فقال له : إن القوم محتاجون إلى مثلك ، فاستأمن إليهم فلعلك تنفعني في حياتي أو تحفظني في حرمتي بعد وفاتي ، فأنشأ عبد الحميد يقول أو ينشد :

أُسِرُّ وفاءً ثم أُظهر غـدرةً فمن لي بعذرٍ يُوسع الناس ظاهره

وأنشد أيضاً :

فلومي ظاهر لا شك فيه لِـلاَئِمَـةٍ وعـذري بـالمغيب

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك وأقبحهما لي ، ولكني أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك ، فأخذ فحبس ثم قتل .

وحدثني عدة من ولد عبد الحميد بن يحيى أن عبد الحميد استخفى فوجد بالشام أو بالجزيرة ، فدفعه أبو العباس ، إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن وكان على شرطه ، فكان يحمي طستاً ويضعه على رأسه حتى مات . وكان يقول : ويحكم إنّا خطباء كل دولة ، وسُئِل عن أموال مروان فقال : والله ما أعلم منها إلا ما تعلمون .

وحدثني بعض ولد عبد الحميد أنه كان يكنى أبا يحيى وأنه كان يقول : من كان منطقه أكثر من عقله كان منطقه عليه ، ومن كان عقله أكثر من منطقه كان منطقه له .

وحدثني ابن القتّات قال : لما وَلي أبو العباس مدح أبو عطاء السّندي[1] بني العباس فقال :

ان الخيار من البرية هاشمٌ ... وبنــو أُميــة أرذل الأشرار
وبنو أُمية عودهم من خِرْوَع ... ولهاشم في المجد عودُ نُضار
أما الدعاةُ إلى الجنان فهاشمٌ ... وبنــو أُمية من دُعـاه النار

فلم يصله بشيء ، فقال :

يا ليت جور بني مروان عاد لنا ... وان عدل بني العباس في النّارِ

وقال أبو عطاء أيضاً :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم ... فقد عاد سعر التمر صاعا بدرهم
فإن قلتُمُ رهطُ النبي محمد ... فإن النصارى رهط عيسى بن مريم

١ ـ هو أفلح بن يسار ، مولى بني أسد ، نشأ بالكوفة ، وكان مخضرمي الدولتين . انظر ترجمته في الأغاني ج ١٧ ص ٣٢٧ ـ ٣٤٠ .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : دفع ابن عياش المنتوف إلى أبي العباس حوائج له وكان فيها أن يجزّ لحية علي بن صفوان ليسويّه به ، وكان علي طويل اللحية ، فلما ودخل أبو العباس المقصورة وصعد المنبر رأى ابن عياش وابن صفوان قبالته ، ورأى طول لحية ابن صفوان فاستضحك فوضع كمه على وجهه فلما انصرف قال لابن عياش : ويلك كدت تفضحني ، فقال : والله ما أردت إلا أن تذكر حاجتي .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش قال : ابتدأ أبو العباس آل أبي طالب بالبر والتكرمة ، فكان ذلك لا يزيدهم إلا التواءً عليه ، وكان عبد الله بن حسن بن حسن أشدهم له حسداً ، وأقلهم له شكراً ، فقال يوماً : لقد صدق معاوية حين قال : ما أحَدٌ من الناس إلا وأنا استطيع رضاه إلا حاسد نعمة لا يرضيه عني إلا زوال نعمتي فلا أرضاه الله عني أبداً ، وهؤلاء بنو أبي طالب قد وصلت أرحامهم وأحسنت برّهم وهم يأبون بحسدهم وسوء نياتهم إلا القطيعة ، وإني لأتخوف أن يعود حلمي عليهم بما يكرهون في عواقب الأمور والله المستعان .

وحدثني عبد الله بن صالح عن علي بن صالح صاحب المصلّى قال : أقدم أبو العباس عبدَ الله بن حسن عليه ، فبّره وأكرمه وأعطاه ألف ألف درهم ، فلما انصرف إلى المدينة أتاه أهلها مُسلّمين عليه وجعلوا يدعون لأبي العباس لبّره به واجزاله صِلتَهُ ، فقال عبد الله : يا قوم ما رأيت أحمق منكم تشكرون رجلاً أعطانا بعض حقنا وترك أكثره . فبلغ ذلك أبا العباس فدعا إخوته وأهل بيته وجعل يعجبهم من قول عبد الله ، فقالوا : يا أمير المؤمنين إنما يتمّ احسانك إليه وإنعامك عليه بالصفح عنه ، وتكلم أبو جعفر فيه

بكلام شديد وقال : إن الحديد بالحديد يفلح . فقال أبو العباس : من تشدّد أنفر ، ومن لان تألّف ، والجاهل تكفيكَه مساوئه .

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم عن ابن عياش ، قال : كان أبو العباس أسخى الناس ، ما وعد عدة قط فأخرها عن وقتها أو قام من مجلسه حتى يقضيها ، ولقد سمعناه يقول : إن المقدرة تصغّر الأمنية ، لقد كنا نستكثر أموراً أصبحنا نستقلّها لأخسّ من صحبنا ، ثم يسجد لله شكراً .

المدائني قال : سمر خالد بن صفوان عند أبي العباس ، ففخر قومٌ من بني الحارث بن كعب وخالد ساكت ، فقال له أبو العباس : تكلم يا خالد ، فقال : هؤلاء أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه وليس الأعمام بدون الأخوال ، فقال : وما أكلم من قوم إنما هم على افتخارهم بين ناسج بُرد وسائس قرد ودابغ جلد ، دلّ عليهم هدهد ، وغرّقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة ، فجعل أبو العباس يضحك .

أبو الحسن المدائني عن أبي محمد المغربي قال : قال أبو العباس لخالد بن صفوان حين أخذ سليمان بن حبيب : أشعرت أن سليمان أخذ من بثر ؟ فقال : هذا الذي خرج رقصاً ، دخل قفصاً .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عبد الجبار الكاتب قال : دخل بخالد بن صفوان على أبي العباس أمير المؤمنين ، فقال له : لقد وَليت الخلافة فكنت أهلها وموضعها ، ورعيت الحق في مسارحه وأوردته موارده فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك وعدلك ورأيك ومجلسك ، حتى كأنك من كل أحد ، وكأنك لست من أحد ، فأعجبه قوله وأمر له بمال .

المدائني قال : دخل خالد بن صفوان على أبي العباس فقال له : ما تقول في أخوالي بني الحارث بن كعب ؟ قال : هنالك هامة الشرف ، وخرطوم الكرم ، وغرس الجود ، إنّ فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، إنهم لأطولهم أمماً وأكرمهم شيماً وأطيبهم طعماً ، وأوفاهم ذمماً ، وأبعدهم هماً ، هم الجمرة في الحرب ، والرفد في الجدب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب ، فقال : لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت .

حدثني أبو دُهمان بن أبي الأسوار قال : كان أبو العباس يسمع الغناء فإذا قال للمغني «أحسنت» لم ينصرف من عنده إلّا بجائزه وكسوة .

وقيل له أن الخلافة جليلة ، فلو حجبت عنك من يشاهدك على النبيذ ، فاحتجب عنهم ، وكانت صلاته قائمة لهم .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب قال : لما بلغ أبا جعفر استئذان أبي مسلم للحج وهو يومئذ بالجزيرة ، وكان والي الجزيرة وأرمينية لأبي العباس ، كتب إلى ابي العباس يسأله توليته الموسم فكتب إليه يأمره بالقدوم ليقلده الموسم ، ووافى أبو مسلم فدخل على أبي العباس وأبو جعفر عنده ، فسلم على أبي العباس ولم يسلم على أبي جعفر ، فقال له أبو العباس : هذا أبو جعفر أخي ؟ فقال : إن مجلس أمير المؤمنين لا تُقضي فيه الحقوق .

قالوا : وكان سليمان بن كثير الخزاعي من النقباء ، فلما قدم المنصور خراسان على أبي مسلم قال له : إنما كنا نحب تمام أمركم وقد تم بحمد الله ونعمته ، فإذا شئتم قلبناها عليه ، وكان محمد بن سليمان بن كثير خداشيّاً فكره تسليم أبيه الأمر إلى أبي مسلم ، فلما ظهر أبو مسلم وغلب على الأمر

قتل محمداً ، ثم قال سليمان للكفّية ـ وهم الذين بايعوا على أن لا يأخذوا مالاً وأن تؤخذ أموالهم إن احتيج اليها ويدخلوا الجنة ، ويقال إنهم أُعطوا كفّاً كفّاً من حنطة فسمّوا الكفّية ـ : حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء ، يعني أبا مسلم ، فبلغ قوله أبا مسلم فاستوحش منه ، وشهد عليه أبو تراب الداعية ومحمد بن علوان المروزي وغيرهما في وجهه بأنه أخذ عنقود عنب فقال : اللهم سّود وجهَ أبي مسلم كما سوّدت هذا العنقود واسقني دمه ، وشهدوا أن ابنه كان خداشيّاً وأنه بال على كتاب الإمام ، فقال لبعضهم : خذه بيدك فألحقهُ بخوارزم ، وكذلك كان يقول لمن أراد قتله ، فقتل سليمان ، وكتب إلى أبي العباس بخبره وقتله إيّاه ، فلم يجبه على كتابه ، فكان ممّا عاتبه عليه المنصور أن قال : قتلت سليمان بن كثير نقيب نقبائنا ، ورئيس شيعتنا ، وشيخ دعوتنا ، وابنه ، وقتلت لاهزاً .

أمر زياد بن صالح

وحدثني أبو الصلت الخراساني وغيره ، قالوا : بلغ أبا مسلم عن زياد بن صالح تنقّص له وذم ، وأنه كان يقول : إنما بايعنا على إقامة العدل وإحياء السنن ، وهذا جائر ظالم يسير سَير الجبابرة ، وإنه مخالف له قد أفسد عليه قلوب أهل خراسان ، فدعا به فقتله . وكان عيسى بن ماهان مولى خزاعة صديقاً له ومطابقاً على بعض أمره ، فقال للناس : إن أمير المؤمنين قد أعظم قتل زياد ، وذمّ أبا مسلم وأنكر فعله وقال : إنه قتل رجلاً ذا قِدَمٍ وبلاء حسن في دولتنا ، وبرىء منه ، وقد بعث إليّ بعهدي على خراسان ، ودعا قوماً إلى حرب أبي مسلم فأجابوه سراً وخالفه أقوامٌ قتلهم ، وكان عيسى يومئذ بإزاء قرية وجهه أبو داود إليها ليحارب أهلها ، وقدم رسول أبي العباس وهو أبو حميد إلى أبي مسلم بخلعٍ وبزٍّ وبكتاب يلعن فيه زياد بن صالح وأشياعه ويصوّب رأي أبي مسلم في قتله ، فأمر أبو مسلم أبا داود بقتل عيسى بن ماهان فكتب إليه : إن رسول أمير المؤمنين قد قدم على الأمير بخلع وبزّ له وللأولياء ، وذكرناك له فصر إلينا لتشركنا في أمرنا وسرورنا

وترى رسول أمير المؤمنين فتعرّفه حالك ، فقدم على أبي داود فقال : خذوا ابن الفاعلة ، وأمر به فأدخل في جوالق ثم ضرب بالخشب حتى مات ، فكتب أبو العباس إلى أبي مسلم يعظم قتل عيسى ، ويأمره أن يقتل أبا داود به ، فكتب في جواب ذلك يعذر أبا داود خالد بن إبراهيم ويذكر ان ابن ماهان لو ترك لكان منه مثل الذي كان من زياد بن صالح ، من إفساد الناس وحملهم على المعصية والخلاف .

أمر السّفياني

قالوا : ونزل عبدالله بن علي على نهر أبي فطرس ، وكانت ببالس ابنة لمسلمة بن عبد الملك ، فخطبها عامل عبدالله بن علي ، وهو رجل من أهل خراسان فأنعمت له وقالت : أتهيأ لك ، وكتبت إلى أبي الورد مجزأة بن الهذيل بن زفر الكلابي تستجير به ، فخرج أبو الوازع أخو أبي الورد في جماعة فأتوا بالس والخراساني في الحمام فدخلوا عليه فقتل ، ولحق بهم أبو الورد ودعا الناس فأجابه من قيس وغيرها زهاء سبعة ألاف ، أكثرهم من قيس ، وبلغ أبا محمد زياد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية ، وذلك الثبت ـ وقيل ان اسم هذا السفياني العباس بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية ، وان زياداً كان خرج طالباً بدم الوليد بن يزيد وليس هو بالخارج أيام عبدالله بن علي ، والثبت أنه زياد ـ فطمع وقال : أنا السفياني الذي يروى أنه يردّ دولة بني أميّة ، ونزل دير حنينا ، وبايعه الوليد والناس وكتب إلى هشام بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط يدعوه إلى الخروج معه فاعتلّ عليه .

وبلغ عبدالله بن علي الخبر فقتل جميع من كان معه من بني أمية ومن يهدي هداهم ، ووجه عبد الصمد إلى السفياني وأصحابه وهم بقنسّرين في

سبعة آلاف فاقتتلوا فانهزم الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حمص ، وأقبل ابن عليّ حتى نزل على أربعة أميال من حمص ووجّه بسام بن إبراهيم وخفافاً المازني بين يديْه إلى حمص ، وكتب إلى حُميد بن قحطبة فقدم عليه . وصار السّفياني وأبو الورد إلى مرج الأخرم[1] ، وأتاهم عبدالله بن علي ومعه عبد الصمد وحميد بن قحطبة فاقتتلوا في آخر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وعلى ميمنة أبي محمد أبو الورد وعلى ميسرته الأصبغ بن ذُؤالة الكلبي ، فانهزم أهل الشام وهرب السفياني وجرح أبو الورد ، فحمل إلى أهله فمات ، ولجأ قومٌ من أصحاب أبي الورد إلى أجمة فأحرقت عليهم .

وبلغ ابن علي أنّ أبا محمد لبس الحُمرة ودعا الناس ، فأجابه خلقٌ ، فسار إليه فهزمه فتوارى ، ثم أتى المدينة وعليها زياد بن عبيدالله الحارثي فاستدّل عليه حتى عرف الدار التي هو فيها فوجّه إليه من يأخذه ، فخرج من الدار فقاتل ورماه رجل بسهم فأصاب ساقه فصرعه واعتوروه فقتلوه وكبّروا ، فسمع التكبير ابنٌ له يقال له مَخْلد ، فخرج فقاتل حتى قتل ، وصلب أبو محمد وابنه .

قال الحرمازي : خرج السفياني في أيام أبي العباس ثم انهزم وتوارى حيناً فقتل في أول خلافة المنصور .

---

١ ـ قرب قنسرين ـ بغية الطلب ج ٩ ص ٣٩٢٧ ـ ٣٩٣٣ حيث ترجم للسفياني بشكل موسع .

أمر بسّام بن إبراهيم

قال المدائني وغيره : كان بسام بن إبراهيم مع نصر بن سيار ، فلما ظهر أبو مسلم صار إليه وترك نصراً ، فقدم مع قحطبة وشخص مع ابن علي إلى الشام ، فلما خلع أبو الورد وبايع أبا محمد السفياني ثم هرب السفياني واستخفى ، صار بسّام إلى تدمر وعزمه على الخلاف لأشياء أنكرها من سيرة ابن علي ، فمنعه أهل تدمر من دخولها فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم جماعة بعث برؤوسهم إلى عبدالله بن علي ليُوهمه أنه على طاعته . وأظهر بسام الخلاف فانصرف عنه عامة جنده وأتى قرقيسيا ، فكتب ابن عليّ بخبره إلى أبي العباس ، ثم أتى المدائن في جمع فوجه إليْه أبو العباس خازم بن خزيمة فقاتله فانهزم بسام وصار إلى السوس وتفرق عنه أصحابه ، ثم مضى إلى ماه وخازم يتبعه ، ثم توارى وكتب إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين : إن أجبتني ضربت بين أهل خراسان وبايعتُ لك ، فخاف جعفر أن يكون أبو العباس دسّ الكتاب إليه فأتى أبا العباس بكتاب بسام ، فقال : أحسن الله جزاءك يا بن عم ، اكتب إليه فواعده مكاناً يلقاك فيه ، فواعده الحيرة ووجه إليه

بذلك ابنه إسماعيل بن جعفر ، وأمر أبو العباس أبا غسان مولاه وحاجبه بتفقده ومراعاته ، فلما رآه أبو غسان مع إسماعيل بن جعفر عرف أنه بسام وكان عليه سواد بلا سيف ، فقال له : من أنت ؟ قال له : رجلٌ من أهل الجزيرة من العباد ، فرفع أبو غسان عليه العمود ، فشتمه بسّام وقال : لو كان معي سيفي ما اجترأت أن ترفع عليّ عمودك ، فأخذه وأتى به أبا العباس ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم صلب .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : خرج على أبي مسلم ببخارىٰ .

شريك بن شيخ المهري

وقال : إنما بايعناكم على العدل ولم نبايعكم على سفك الدماء والعمل بغير الحق ، فاتبعه أكثر من ثلاثين ألفاً ، فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي قبل قتله بسنة أو نحوها ، ويقال بعث غيره ، فحاربه وأوقع بأصحابه وقتله .

أمر سلم بن قتيبة بن مُسلم

حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن معمر بن المثنى ، وحدثني غيره : أن يزيد بن عمر بن هبيرة قدم والياً على العراق من قبل مروان بن محمد ، فكتب ابن هبيرة إلى مروان يستأذنه في تولية سلم بن قتيبة البصرة ، فنهاه عن ذلك للذي كان من قتيبة بن مسلم في خلع سليمان بن عبدالملك والخلاف عليه ، فلم يزل يراجعه في أمره ويصف له دينه وفضله ومذهبه حتى أذن له في توليته البصرة ، وكان سلم يجالس محمد بن سيرين ، ومات ابن سيرين وله عليه خمسة آلاف درهم جعله منها في حلٍّ ، وكان يجالس بعده أيوب السختياني فقال بعض أهل البصرة حين ولي سلم : ترفقي تصيدي .

ولما ولي سلم ، بعث إليه آل المهلب عبدَالله بن عبيدالله أبا النضر النحوي الأزدي ، وكان خلاً له ، يستأذنونه في قدوم البصرة ، وكان آل المهلب مع عمرو بن سهيل فهربوا ، فأذن لهم ، وكتب إليه ابن هبيرة يأمره بأخذهم والجدّ في طلبهم فغيّب عنهم وعذر في أمرهم وأمر الناس ، وبعث إليه بنو المهلب بثلاثين ألف درهم ، ويقال أكثر من ذلك ، فلم يقبلها وردّها

وقال : يا سبحان الله ، أبيعُ المعروف بيعاً ؟! وكانوا ربما أتوا سلماً لَيْلاً في حوائجهم ، فلم يزالوا كذلك حتى ظهرت المسوّدة وحصر الحسنُ بن قحطبة يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط . وولّى سلم بن قتيبة شرطته الحكم بن يزيد بن عُمير الأسيِّدي ، فاستخلف ابن رَالان المازني ، من بني مازن بن مالك بن عمرو واسمه الفضل بن عاصم بن عبد الرحمن بن شداد بن أبي محياة بن جابر بن رُويل بن رَالان وهو يعرف بابن رَالان ، ثم إن ابن هبيرة ولّى الحكم بن يزيد كرمان فقتل بها ، قتلهُ تميم بن عمر التيمي وأقر ابن رَالان على شرطه ، فقال سلمة بن عياش[1] يهجوه :

أتيتُ ابنَ رَالان في حاجة ... فلم أرَ خيراً ولم أحْمَد
وقد جاءنا عاقداً نخوةً ... يضيق لها شكة المربد
فيا ليت أني غرمتُ الذي ... أصبْت وإنك لم تشهد

حدثنا إسحاق حدثنا إسماعيل بن عُليّة عن ابن عون قال : مات محمد بن سيرين ولسلم عليه خمسة آلف درهم فجعله منها في حِلّ وقال : أترون عبدالله بن محمد مستعدياً إن لم آخذها ؟ قال : وأتى سلم بن قتيبة رجل فقال له : اني كنت في نعمة من الله فزالت ولم أجد أحداً أولى بأن أفزع إليه منك فافعل ما يشبهك ، فقال سلم :

يرى بدهات الحمد لا يستطيعها ... فيجلس وسط القوم لا يتكلّمُ

ثم نهض ، وقال : الرجل لا يبرحُ ، فدخل إلى أهله ثم جمع ملء كمه دنانير وحليً من ذهب وجوهر ، ثم خرج إلى الرجل فنبذ ذلك إليه

١ ـ ترجم له صاحب الأغاني . ج ٢٠ ص ٢٩٤ ـ ٣٠٠ .

وقال : استمتع بهذا . وكان يقول : عجباً لمن يضنّ بما يصيرُ إلى هذه المزابل .

وقال له رجل : لي إليك حاجة لا مرزئة عليك فيها ولا عناء ، فقال : ما مثلي يسألُ عن هذه الحاجة ، وقال سلم : ما أعرف قافية يستغنى عن صدرها إلا قول الحطيئة .

- - - - - - - لا يذهب العرف بين الله والناس[1]

المدائني قال : قال عمرو بن هَدّاب : إنما كنا نعرف سؤدد سلم بأنه كان يركب وحده ثم يرجع في خمسين .

قال : واستنشد سلم أبا عمرو بن العلاء شعر الفرزدق :

تحنّ بـزوراء المدينـة نـاقتي حنين عجول تبتغي البوَّ رَائمِ[2]

ونسي أبو عمرو ما فيها من هجاء قيس ، فوقف ، وعرف سلم ما سبب وقوفه فقال : هات لله أبوك ، فقال : اعفني أصلح الله الأمير ، قال : والله لتسلسلنّها في آذانهم في سواد هذا الليل .

المدائني قال : قيل لسلم بن قتيبة : قد ساءت آداب حشمك لحسن خلقك ، فقال : لأن ينسب حشمي إلى سوء الأدب أحبّ إليّ من أنسب إلى سوء الخلق . وكان أهل طستنجان قطعوا الطريق في عمل سلم ، ففرض فرضاً بالبصرة ووجهه إليهم فقاتلوهم ، ثم اصطلحوا فكتب عليهم كتاباً وكان أول من فعل ذلك .

---

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ط . دار صادر بيروت ص ١٠٩ والشطر الأول قوله :

من يفعـل الخير لا يعـدم جوازيـه - - - - - - - -

٢ ـ ديوان الفرزدق ـ ط . دار صادر بيروت ج٢ ص ٣٠٧ ، والبو «ولّد الناقة» .

وقال المدائني : قسم يزيد الرِّشك بين سلم واخوته أرضاً بالطفّ ، فجار على سلم ، فلما ولي تجنّى عليه فضربه ، وكان يزيد قاسم أهل البصرة في زمانه ، وتكلم رجل بكلام حسن ، فقال بعض من حضر : هذا كلام تعلمُه ، فقال سلم : قد أحسن من تعلّم كلاماً حسناً من غيره فأداه في موضعه .

قالوا : ولمّا حُصر ابن هبيرة ، وظهر أمر المسودة كتب سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب إلى أبي سلمة حفص بن سليمان الداعية : إنك إن وليتني البصرة أخذتها لك ، فكتب إليه بولايتها ، فسوّد وأرسل إلى سلم : إني لك شاكر ما سلف من بلائك عندنا وقد ولاني هؤلاء القوم البصرة فأخرج من دار الامارة وانزل حيث شئت في الرحب والسعة ، فأرسل إليه سلم : اني غير خارج منها ، ولكن وادِعْني حتى ننظر ما يصنع ابن هبيرة فإن خرج عن واسط وقتل خرجت لك عن دار الامارة فإنك تعلم أن مروان وابن هبيرة لم يُقتلا ولم يُهزما ، فأبى سفيان أن يفعل ، فأرسل سلم إلى بني تميم يستنصرهم ، فحثّهم على نصرته جيهان بن محرز المنقري وأُذكرهم خذلانهم عديّ بن أرطاة ، فأجابوه ، وسفر بين سلم وسفيان : إسماعيل بن مسلم المكي ، هو وعباد بن منصور، وعثمان البتي مولى ثقيف، وأبو سفيان بن العلاء ، ومعاوية بن عمر بن غلاب ، ومسلمة بن علقمة ، وقال أبو النضر النحوي : أنشدك الله في نفسك فإن تميماً لا تناصحك وقد ذهبت دولة أهل الشام ، فنهره وزبره ، وكلْم هؤلاء الذين سميناهم سفيان وحذّروه الفتنة ، فقال سفيان لابن العلاء : أترى سلماً مقاتلي ؟ فقال : أي والله ولو كنت في تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعين وهو وحده حتى تخرج نفسه ، وكان عبد

الرحمن بن يزيد بن المهلب حاضراً فصوّب قول ابن العلاء وقال : صدقته ونصحته ، فوادعه سفيان وكتب بينهما كتاباً على أن يقيما على هيئتهما حتى ينظرا ما يصنع ابن هبيرة والمسودة .

وبلغ الخبر أبا سلمة ، فكتب إلى بلج بن المثنى بن مُحربة العبْدي : ان قاتل سفيان سلماً وإلّا فأنت أمير البصرة ، فأعلم بلج سفيان ذلك ، فقال : لا بل أقاتل سفيان ، وأمسك بلج عن تولي البصرة ، وكتب أبو سلمة إلى الصمّة بن دريد بن حبيب بن المهلب بعهده على البصرة ، فحرّك ذلك سفيان بن معاوية تحريكاً شديداً وعزم على محاربة سلم ، فأرسل إلى المشارع فأخذ كل دابة وجدها ، وبلغ ذلك سلماً فأبرز سريره وأرسل إلى أصحابه فجاءته : قيس ، وتميم ، وبنو مسمع من بكر بن وائل ، وأتاه تسنيم بن الحواري ، واجتمع إلى سفيان أصحابه الأزد وبكر بن وائل وعبد القيس ، فعقد سلم لأبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان على أهل العالية ومن كان من قريش وثقيف ، ولعمر بن المسور بن عمر بن عبّاد على بني عمرو وحنظلة ، وعمر بن المسور الذي يقول فيه غيلان بن حريث التميمي :

يا عمر بن مسور بن عبّاد ... أنت الجواد ابن الخيار الأجواد

وجعل سفيان على ميمنته معاوية ابنه ، وعلى ميسرته محمد بن المهلّب ، وعقد لعبد الواحد بن زياد بن عمرو على طائفة من أصحابه ، وصار سفيان في أصحابه إلى موضع بالبصرة يعرف بسقاية ابن بُرثُن ، وأتته بنو حنيفة ، وبنو هزان من عنزة بن أسد بن ربيعة .

وخرج دريد بن الصمّة بن حبيب بن المهلب في أحسن من عدة سفيان ، وقدم على سلم مددٌ من أهل الشام فالتقوا في يوم أربعاء ، وأمر سفيان فنودي : من جاء برأس فلهُ خمسمائة درهم ومن جاء بأسير فله ثلاثمائة ، ووجه عبد الواحدبن زياد بن عمرو العتكي فحرق ظلال السوق ، ووجه سلم أبان بن معاوية ومعه أميّة بن خالد بن أبي عثمان ، من ولد خالد بن أسيد ، وعبدالله بن عمرو الثقفي إلى ناحية من النواحي فمرّ بقومٍ لهم صنيع فأخرجوا فالوذج فإنه ليأكل اذ حُمل على أصحابه فانهزموا ، فمسح يده ووضع بيضته على رأسه وركب فهزم أولئك الذين حملوا على أصحابه وهزم أصحاب سفيان أقبح هزيمة ، وقاتل سفيان سلماً في يوم الخميس فهزم سفيان وأصحابه حتى خرج من باب البصرة ومعه عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب ، وقتل معاوية ابنه ، وكان على الشاميين الذين أُمدّ سلم بهم جابر بن تَوبة الكلابي ، فانتهبوا دور العتيك حتى أخذوا الشاء والدجاج ، وارادوا استعراض ربيعة حتى كُلّم جابر فكفّهم ، وصار سفيان إلى ناحية ميسان أوكسكر ، وأقام سلم بالبصرة نحواًمن شهرين فلما رأى علوّاً من المسودة شخص عن البصرة إلى البادية واستخلف على البصرة محمد بن جعفر أحد بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فكان أول من سوّد بعد سفيان بن معاوية . ولما هرب سفيان سوّد مسمع بن مالك بن مسمع الأبرص وضبط البصرة ، وقدم بسام وهو والي الأهواز فأمّ بالبصرة حتى ولي سفيان بن معاوية البصرة ثانية.

ولما قدم بسام بن إبراهيم البصرة هدم دار عبدالله بن أبي عثمان وهو ابن عبدالله بن خالد بن أسيد ، ودار محمد بن واسع بن عبيد بن عاصم بن

قيس بن الصلت بن حبيب السلمي ، ودار ابن رالان ودار بشر بن هلال بن أحوز ، ودوراً من دور المضرية . وكان بسّام قد ولي الأهواز من قبل أبي سلمة الداعية .

وقال المدائني : هدم هذه الدور سفيان حين ولي البصرة بعد أن سكنت الفتنة . وقدم عبد الصمد بن علي فأخذ بيعة أهلها .

ولما خرج سلم من البصرة كتب أبو العباس إلى داود بن علي وهو عامله على الحجاز يأمره بطلبه ، فوجه في طلبه فلم يقدر عليه ، وبعث سلم إلى أبي العبّاس ببيعته مع محمد بن سعد الأنصاري وكتب يذكر طاعته وأنه استخلف على البصرة رجلاً من بني هاشم لميله إليهم ، فقال : لو أقام لنفعه ذلك ، وكتب له أماناً وأمره بالظهور والقدوم . وكتب سفيان إلى أبي العباس مع سليمان بن أبي عيينة يعلمه ما كان من مبادرته إلى الطاعة والتسويد ويشكو اجتماع مضر عليه ، فقال أبو سلمة : يُكتب عهد سفيان على البصرة ، فكُتب له عهد من أمير المؤمنين أبي العباس بولايتها ، فلما قتل أبو سلمة أمر أبو العباس بعزل سفيان وقال : هو من عمال الناكث أبي سلمة ، وولّى البصرة عمر بن حفص هزارمرد ، ثم ولّى سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس .

وقال أبو عبيدة : اتى سلم البادية فأقام في قومه وولد له ، ثم أتاه أمان أبي العباس عن غير طلب منه له فأقبل إلى البصرة حتى نزل في دار أبي سفيان بن العلاء ليلاً ، وبعث إلى سليمان بن علي يعلمه مكانه ، وقد كان كتاب أبي العباس ورد عليه بإيمانه وأخذ البيعة عليه ، فغدا على سليمان فأمنه وأخذ عليه البيعة ، فاعترضه محمد بن أبي عيينة بن المهلب فقال : أصلح الله

الأمير أتؤمنه وسيفه يقطر من دماء أنصاركم ؟ فلم يكلمه ، فقال سليمان : كلمه ، فقال سلم : إن آل المهلب فراش قين وذبان طمع شرابون بأنقع ، لا يوثق منهم بثقة ، ولا يحامون على حرمه وهم أصحاب يزيد بالعقر أسلموه ، وأصحاب سليمان بن حبيب بالأمس خذلوه ، وهذا بعد في نفسه فإنما هو نطفة سكران في رحم صنّاجة . فقال محمد : أصلح الله الأمير خذ لي بحدّي ، فأمر سليمان بإخراجه فأخرج ، ثم غدا على سليمان مستعدياً عليه ، فقال له : ويحك ما كان سلم ليقول شيئاً إلّا شهد عليْه ألف نزاريّ ، فأمسك .

وقال يونس النحوي : نظرت إلى رؤبة بن العجاج في مربعة باب عثمان وذلك في الحرب بين سلم وسفيان وهو على فرس متقلداً سيفه ومتنكبّاً قوسه يقول : يا معشر الفتيان ـ يعني بني تميم ـ أطلقوا لساني بجميل ذكركم ، فإذا أتى رجل بأسير أو رأس قتيل قال : لا شلل ولا عمى . وقال ابن المقفع ، ويقال يحيى بن زياد الحارثي :

ما كنت أعجب ممن نال ميسرة ... حتى مررت على دار لسفيان
لا تعجبنّ ، فقد يُلفى الكريم له ... جد عثور ويضحي الوغد ذا شأن
إن كنت لا تدّعي بيتاً له قدم ... إلا بقصرك لم تنهض بأركان
سام الرجال بآباءٍ لهم شرفٌ ... تلك الفضيلةُ لا ما شيّد الباني
وإن سموتَ بيوم العقر مفتخراً ... فذلك العار للباقي وللفاني
واذكر ليالي سلْم إذ تركتَ له ... ما في رحالك من مال ونسوان
فظل يفري أديم الأزد ضاحية ... فرياً وامعنت منه أيّ إمعان

وكان سلم لا يؤتي بأسير الا حبسه ، حتى أُتي بابن عم له يكنى أبا عصام فأمر بضرب عنقه وقال :

دقّك بالمنحاز حبَّ الفُلْفُل[1]

وكان عمر بن مسور يأخذ أسلحة الاسارىٰ ويخلي سربهم .

قالوا : ولما ولي سفيان دعا بخالد بن صفوان وكان قد قتل له ولد أيضاً في الحرب فقال له : عزّني ، فقال: أنا وأنت كما قالت الباكية :

اسعدني اخواتي فالويل لي ولكُنَّه

فغضب وقال : جدّدت لي حزناً ، فقال : ليسلّ عنك ما تجد من اللوعة عليه علمُك بأنك غير باقٍ .

١ ـ ويروى «حب القلقل» ، وحب القلقل ثمر شجرة من العضاة ، يخبط بالمنحاز لكثرة شوك شجره فيسقط ، والمنحاز : المدق . انظر الأمثال لأبي عبيد ص ٣١١ .

[وفاة السفاح][١]

حدثني أبو مسعود عن مشايخ الكوفيين قالوا : كان أبو العباس طويلاً أبيض أقنى ذا شعر أسود جعد حسن اللحية جعدها ، قدم من الشام ثم قدم أهله بعده ، فجاءته الخلافة ومعه داود بن علي ، وموسى بن داود ، والمنصور ، وعيسى بن موسى ، ومحمد وعبد الوهاب ابنا ابراهيم الإمام ، والعباس بن محمد ، ويحيى بن محمد ، وسليمان ، وصالح ، وعبد الله ، وعبد الصمد ، واسماعيل ، وعيسى بنو علي بن عبد الله ، ويحيى بن جعفر بن تمام ، ومحمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس ، ورجل من بني معبد بن العباس . قال : وكان قاضياه ابن أبي ليلى وابن شبرمة .

حدثني أبو مسعود عن زهير بن المسيب الضبي عن أبيه قال : اجتمع لأبي العباس في سنة ست وثلاثين : فتح السند ، وإفريقية ، ومكاتبة صاحب الأندلس فقال لبعض عمومته : سمعت أنه إذا فتح السند وإفريقية

---

١ ـ أضيف ما بين الحاضرتين لضرورة السياق .

مات القائم من آل محمد ، فقال له : كلا ، فما برح حتى دعا بدوّاج لقشعريرة أصابته .

المدائني وأبو مسعود قالا : كان الدم قد هاج بأبي العباس فأشار عليه الاطبّاء بالفصد فلم يقدم عليه فحُمّ ، ثم خرج بعد المُوم[1] فمات بالأنبار . وكان أراد البيعة لابنه محمد ، ثم قال : ابني حدث فما عذري عند ربي ، فقالت له أم سلمة بنت يعقوب امرأته وهي أم محمد : ولِّ غيره واجعله ثانياً ، وكلمت أخواله في أن يسألوه ذلك ، فقال : أخاف أن يقصر عمر من اجعله قبله فتدركه الخلافة وهو صغير فيصير الأمر إليه قبل أن يستحقه ، ولكني أصيّره إلى رجل من أهلي أثق بفضله واحتماله ، فاثبت اسم أبي جعفر المنصور ، وعيسى بن موسى بن محمد من بعده في كتاب ، وخُتم الكتاب ، وجُعل في منديل وجُمعت أطرافه وخُتم عليه بخاتم أبي العباس ، وأخذه عيسى بن علي إليه .

وحدثني أبو الحسن المدائني قال : كان أبو العباس يتقلب فيبقى جلده على الفراش ، وخرج رجيع داود بن علي من فمه ، وسُقي بطن يحيى بن محمد .

وحدثني أبو الحسن المدائني قال : قال لأبي العباس بعض عمومته : كيف أصبح أمير المؤمنين ؟ فقال الطبيب : أصبح صالحاً ، فسَلَتَ ذراعه بيده فتناثر لحمه وقال : كيف يكون صالحاً من هذه حاله ؟ وكانت خلافة أبي العباس أربع سنين وثمانية أشهر وأياماً ، وتوفي بالأنبار سنة ست وثلاثين

١ـ «الموم : البرسام» . والبرسام علة يهذى بها . القاموس .

ومائة ودفن بالأنبار ، وصلى عليه عيسى بن علي عمه ، وقال بعضهم عيسى بن موسى ابن أخيه ، وكان له يوم توفي ست وثلاثون سنة ، ويقال أقل من ذلك . وكان آخر ما تكلم به أن تشهّد ، ثم قال : إليك ربيّ لا إلى النار .

وحدثني عبد الله بن صالح قال : بلغني أن عيسى بن علي قال لأبي العباس : يا أمير المؤمنين اذكر رجلاً يمدّ الناسُ إليه أعناقهم بعدك ، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر ، فقال : كنت وعدت عبد الله بن علي إن قام بهذا الأمر أن أوليه الخلافة بعدي ، فقال له سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : لا تخرجها من ولد محمد بن علي ، فقبل قوله .

وولد لأبي العباس

محمّد والعباس وعلي وابراهيم واسماعيل ، درج هؤلاء الأربعة ، وريطة ، وأمهم أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي .

فأما ريطة فتزوجها محمد بن عبد الله بن علي المخالف لأبي جعفر ، فتوفي قبل أن يجتمعا ، فتزوجها محمد فولدت له علياً وعبد الله ابني المهدي ، وكانت ريطة من أشد الناس قوةً وبطشاً .

وأمّا محمد بن أبي العباس ، فكان أشد الناس أيضاً بطشاً عابثه المهدي وهو أمير فغمز ركابه حتى ضاق وضغط رجله فلم يقدر على إخراجها منه حتى ردّه فأخرجها . وأغزى المنصور محمد بن أبي العباس الديلم في سنة إحدى وأربعين ومائة في أهل البصرة والكوفة والجزيرة والسواد ، ووجهه في سنة

سبع وأربعين ومائة عاملاً على البصرة ، فاشتكى واستعفى فأعفاه ، واستخلف على البصرة عقبة بن سلم ، فأقرّه المنصور بعده إلى سنة إحدى وخمسين ومائة . وكان محمد يقول الشعر ويتغنى به الحكم الوادي المغني ، فمن شعره :

زينب ما ذنبي وماذا الذي غضبتم فيه ولم تُغضبوا
والله ما أعرف لي عندكم ذنباً ، ففيم العتب يا زينب[1]

ويقال ان حماداً المعروف بعجرد قال له هذا الشعر ، وقال له :

يا ساكن المربد قد هجت لي شوقاً فما أَنْفَكُّ بالمربد
سوف أوافي حفرتي عاجلاً يا منيتي إن أنت لم تُسعدي

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه قال : دخل دحمان الأشقر المغني ، وحكم الوادي على محمد بن أبي العباس بالبصرة ، فدعا بكيس فيه أربعة آلاف درهم فقال : من غنّى صوتاً يطربني فالكيس له ، فغنى دحمان صوتاً قديماً ثقيلاً فلم يطرب له ، فغنّى حكم هزجاً[2] فطرب له وحرّك رجليه ورأسه ، وأمر بالكيس فدفع إليه . قال : والحكم منسوب إلى وادي القرى .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب قال : كان محمد بن أبي العباس يلوي العمود ويلقيه إلى أخته ريطة فتردّه ؛ قال : وولاه المنصور البصرة ، فكان يخضب لحيته بالغالية فكنوه أبا الدبس . قال : وكان معه حكم الوادي

---

١ ـ أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق للصولي ـ ط . بيروت ١٩٧٩ ص ٤ .
٢ ـ الهزج : صوت فيه بحح ، صوت دقيق مع ارتفاع . معجم الموسيقى العربية لحسين محفوظ ـ ط . بغداد ١٩٦٤ . ص ١١٩ .

وكان ضارباً ، قال : وقد رأيته في خلافة الرشيد جسيماً أحول . قال المدائني : ومن غناء الحكم شعر حمّاد عجرد[١] في محمد بن أبي العباس :

أرجو بعد أبي العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعراقاً وعيدانا
فأنت أكرم من يمشي على قدم وانضر الناس عند المحل أغصانا
لو مَجّ عودٌ على قوم غضارته لمجّ عودك فينا المسك والبانا

وقال المدائني : قال محمد بن أبي العباس :

قولا لزينب لو رأيـ ـتِ تشوفي لك واشترافي
وتبدّدي كيما أرا كِ وكان شخصك غير جاف
ووجدت ريحك ساطعاً كالبيت جُمِّر للطواف
وتركتني وكأنما قلبي يوجَّأُ بالأثافي[٢]

قال : وفيه غناء ليونس الكاتب .

قال : ويقال إن زينب هذه زينب بنت سليمان ، ويقال زينت بنت محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، وكان قد زُوّجها فأراد الابتناء بها في المدينة حين قتل أبوها فمنعه عيسى بن موسى من ذلك ولامه عليه وقال له : يا جاهل ، ما يؤمنك أن تقتلك بأبيها ؟ فيقال ان عيسى بن موسى تزوجها بعد وفاته ، ولم يدخل بها محمد حتى توفي . وكان موت محمد بن أبي العباس ببغداد .

---

١ ـ حماد بن عمر بن يونس السوائي ، شاعر من مخضرمي الدولتين ، توفي سنة ١٦١ هـ/٧٧٨ م . الأعلام للزركلي .
٢ ـ أشعار أولاد الخلفاء ص ٥ ـ ٧ مع فوارق .

وقال الحرمازي : كان حماد عجرد يقول الشعر لمحمد بن أبي العباس في زينب بنت سليمان بن علي ، فطلب محمد بن سليمان عجرداً فاستجار عجرد بقبر سليمان بن علي فلم ينفعه ذلك عنده . وقيل إن محمدّ بن سليمان لما ولي الكوفة طلب عجرداً فشخص إلى البصرة فاستجار بقبر سليمان بن علي ، وقال في أبيات له :

إن اكـــن مـذنبـاً فأنـت ابـ ـن مـن كان لمن كان مذنبـاً غفارا
يا بن بنت النبي إنّي لا أجعـ ـل إلاّ إليك منك الفرارا
غير أني جعلت قبر أبي أيو ب لـي من حوادث الدهر جارا
لم أجد لي من الأنام مجيراً فاستجرت التراب والأحجارا

فألح في طلبه فأتى قبر سليمان فكتب عليه :

قل لوجه الخصيّ ذي العار إني ســوف أُهـدي لزينب الأشـعارا
قد لعمري فررتُ من شدّة الخـو ف وأنكـرتُ صاحبيّ جهارا
وظننت القبـور تمنـع جـارا فاستجرت التراب والأحجارا
فـاذا القبـر ليس لي بمجير فحشا الله ذلك القبر نارا

وكانت أم سلمة بنت يعقوب عند مسلمة بن هشام المعروف بأبي شاكر ، فطلقها فخلف أبو العباس عليها ؛ ويقال كانت عند عبد الله بن عبد الملك ، ويقال عند مسلمة بن عبد الملك ، والثبت عند أبي شاكر ، وكان اسماعيل بن علي تزوج أم سلمة بعد أبي العباس ، فغضب المنصور من ذلك فطلقها ، وقال بعضهم : خطبها فلمّا أنكر المنصور ذلك أمسك .

وأما عبدالله بن محمد أبو جعفر وهو المنصور :

فكان يعرف بعبد الله الطويل ، ولم يزل مشهوراً بطلب العلم والفقه والآثار .

حدثني ابن الاعرابي الراوية عن سعيد بن سلم قال : وجه محمد بن علي عبد الله ابنه أبا جعفر إلى البصرة ليزور من بها ، ويدعو إلى الرضا من آل محمد ، فكان يأتي عمرو بن عبيد ويألفه ، فلما صار إلى الشام سمعه أبوه يتكلم بشيء يقايس فيه فأنكره عليه وقال : هذا من كلام مولى بني تميم ، يعني عمرو بن عبيد .

وحدثني جماعة من المشايخ قالوا : لما خرج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، عامل يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، سار إليه المنصور فيمن أتاه من بني هاشم ، فولاه ايذج من الأهواز ، فأخذه سليمان بن حبيب بن المهلب وكان عامل عبد الله بن عمر على الأهواز فحبسه وشتمه ومَنْ هُوَ منه وأراد قتلَه ، فقال له سفيان بن معاوية ويزيد بن حاتم : إنما أفْلَتْنَا من بني أميّة بالأمس ، أفَتُريدُ أن يكون

لبني هاشم عندنا دمٌ ؟ فخلى سبيله ، ويقال إنه كان ضربه ؛ فلما خلّصا المنصور من يد سليمان بن حبيب ، صار إلى عمرو بن عبيد فأقام عنده ، ثم سار مستتراً إلى الحميمة من أرض الشراة .

وحدثني أبو مسعود عن اسحاق بن عيسى قال : لما شخص ابو جعفر يريد عبد الله بن معاوية مرّ بالراوي[1] فقيل له : إن ها هنا منجماً يقال له نوبخت ، فعدل إليه وسأله عما يؤول إليه حاله في وجهه فيما بعد ذلك ، فقال له نوبخت : أما أنت فسيصير إليك ملك العرب ، وأما وجهك هذا فسينالك فيه مكروه ، فلحق بعبد الله وكان من أمره ما كان .

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي وغيره ، أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج ، فكتب إليه : إن الجهاد أفضل من الحج ، فكتب إنه لا بُدّ لي من الحج فإني حججت وأنا تابع بغير مالي وعلى غير ظهري ، وفي نفسي من ذلك شيء ، فكتب إليه يأمره بالقدوم في ألف ويقول : إنما تسير في سلطان أهلك ، وطريق مكة طريق لا يحتمل العساكر ، فأما المال فلا تستكثر منه وعوّل علينا فيه ؛ فأقبلَ في الرجال ومعه الأموال حتى نزل الري وخلف بها ثمانية آلاف فارس ، وخلف الأموال ، وأتى الأنبار في ألف وقال : أني لأرجو ان يموت أبو العباس فأكون مع أقوى من يأتي بعده ، ثم أغلب على الأمر ، ويكون لي شأن من الشأن فلا يبقى بلد إلّا وطئته برجليّ هاتين .

---

١ ـ كذا بالأصل ولعلها تصحيف «الزاوية» وهي موضع قرب البصرة وقرية على الدجلة بين واسط والبصرة ، وقرية بالموصل معجم البلدان .

فلما دخل على أبي العباس أظهر أبو العباس له جفوة ، لما بلغه عنه ، ثم أظهر مبرته وقال له : لولا أن أخي على الحج في عامه هذا لوليتك الموسم فإنك رجلٌ منّا أهل البيت ، وكان المنصور لما بلغه أن أبا مسلم على الحج كتب من الجزيرة يسأل أن يُوَلّى الموسم ، ويقال : بل كره أبو العباس أن يسأله أبو مسلم ولاية الموسم فلا يجد بداً من توليته إياه . فكان أبو مسلم يتقدم أمام أبي جعفر بادياً وراجعاً خوفاً على نفسه لما كان حقد عليْه حين أتاه بخراسان من إجلاسه إياه في دهليزه ، وكتابه إليه يبدأ بنفسه ، مع أشياء كانت تبلغه عنه فكان أبو مسلم يقول : أما وجد أبو جعفر سنة يحج فيها إلا هذه السنة التي حججت فيها ؟ فلما قضيا حجهما ، فأقبل أبو مسلم فكان بين البستان وذات عِرْق[1] جاء المنصور خبر وفاة أبي العباس ، وأبو مسلم متقدمه بمرحلة ، فكتب إلى أبي مسلم : إنه قد حدثَ حَدَثٌ ليس مثلك غاب عنه فصر إليّ ، فلم يقدم عليه وكتب إلى المنصور كتاباً بدأ فيه بنفسه ، فقال المنصور : انا بريء من العباس ان لم أقتل ابن وشيكة . وكان أبو مسلم يصلح العقاب ويكسو الأعراب في كلّ منزل ، فكان ذلك يغيظ أبا جعفر ، ويرى أنه استطالة منه عليه . فلما ورد أبو جعفر الأنبار وجد عيسى بن موسى بها وقد حوى الخزائن والأموال وحفظها ، فسلمها إليه .

وكان عبد الله بن علي قد خلع ، فندب المنصور أبا مسلم لحربه ، فسارع إلى ذلك ليتخلص من يده . وذكروا أن أبا مسلم لما ورد الأنبار أراد

---

١ ـ لعل البستان هنا هو ما عرف باسم بستان ابن عامر ، وأما ذات عرق فهي مُهَلّ أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة . معجم البلدان .

عيسى بن موسى على خلع المنصور ومخالفته ، وقال له : أنت وصيّ الإمام وأحق بالأمر من أبي جعفر ، فقال له : الأمر لعمّي ولو قدّمني أبو العباس لقدّمتُه على نفسي .

وحدثني ابن الأعرابي عن المفضّل قال : أتت أبا مسلم وفاة أبي العباس ولم يعلم أنه قد ولّى المنصور الخلافة بعده ، فكتب إلى المنصور : «عافاك الله وأمتع بك ، أتاني خبر وفاة أمير المؤمنين رحمة الله ، فبلغ مني أعظم مبلغ وأمسّهُ وَجَعاً وألمّاً ، فأعظم الله أجرك ، وجبر مصيبتك ، ورحم الله أمير المؤمنين وغفر له وجزاه بأحسن من عمله» . فلما قرأ المنصور كتابه استشاط غضباً ، وكتب إليه : «من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الرحمن ، وصل إليّ كتابك فرأيتك غير موفق فيه للرشد ولا مسدّد للصواب ، ولكني ذكرت ما تقدم من طاعتك فعطفني عليك ، وقد وليتك مقدمتي فسر على اسم الله وبركته حتى توافي الأنبار ، ومن انكرت من أمره شيئاً من عمالنا فصرفُه والاستبدال به إليك» ، فحقد كل واحد منهما على صاحبه .

قال ابن الأعرابي : وحدثني سعد بن الحسن ، أن المنصور لما قرأ كتابه أجابه عليه وقد استشاط فقال لعطية بن عبد الرحمن التغلبي : لمثلها كنت أحسيك الحُسى ، إن العبد كتب إليّ بما ترى وقد أجبته فانطلق بالكتاب إليه ، فإذا أخذ في قراءته فاضرب عنقه ، فإن قُتِلتَ فشهادة والله خليفتك على من تخلّف وهم عندي عدل ولدي ، وإن سلمتَ فلك من المكافأة ما تطأ العرب به عقبك ، فقال له اسحاق بن مسلم : يا أمير المؤمنين إنه لا يؤمن أن ينْبو سيفُه فيقتل باطلاً ويكرّ العلج علينا ، وقال له يزيد بن أسيد اذكر قول القطامي :

قد يُدرك المتأنّي بعضَ حاجِته وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ[١]

وقال له أبو أيوب كاتبه : أخِّر الأمر حتى تقدم إلى شيعتك وأهل بيتك . فأنفذ المنصور كتابه مع غير عطية .

وحدثني عبد الله بن خلف الوراق عن عدة من آل حميد بن قحطبة قالوا : لما بلغ أبا مسلم موت أبي العباس كتب به إلى أبي جعفر وهو لا يعلم باستخلافه إياه ، فلما أتاه أنه قد استخلفه كتب إليه : «أصلحك الله يا أمير المؤمنين صلاحاً نامياً باقياً ، بلغني هذا الأمر الذي أفظعني وأتاني به كتاب عيسى بن موسى مع محمد بن الحُصين ، إلا أنه سرّى عني الغمّ ولوعة المصيبة ما صار إليك من الأمر ، فنسأل الله أن يعظّم أجرك ويحسن الخلافة عليك فيما ولّاك ، وأن يبارك لك فيما قلدته ، إعلم أنه ليس أحد يا أمير المؤمنين أشد تعظيماً لحقك وحرصاً على مسرّتك مني ، والله اسأل لك السّلامة في الدين والدنيا» . وكان ورود الكتاب بصُفينة[٢] ، ثم بعث ابو مسلم بالبيعة بعد يومين ، وإنما أراد أن يرهبه .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن اسحاق بن عيسى بن عليّ ، أن أبا العباس توفي والمنصور بمكة ، وأبو مسلم حاج أيضاً ، فقام أبي ـ عيسى بن علي ـ فخطب الناس بالأنبار فقال : «الحمد لله أهل الحمد ووَلّيه ، ذي المجد والعظمة الكبرياء والقدرة الذي كتب الموت على خلقه وسوّى فيه بين عباده

---

١ ـ القطامي هو عمير بن شييم ، شاعر اسلامي مقل مجيد ، انظر ترجمته في الأغاني ج ٢٤ ص ١٧ ـ ٥٠ ، وورد بيته هذا في ص ٢١ .

١ ـ صفينة قرية بالحجاز على يومين من مكة ، وعقبة صفينة : يسلكها حاج العراق ، وهي شاقة . معجم البلدان .

فلم يعزّ منه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا خليفة هادياً ، جعلهم فيه شرعاً ، وجعله عليهم حتماً ، فقال لنبيه ﷺ : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مُتَّ فهم الخالدون﴾[1] ، وقال : ﴿إنك ميّت وإنهم ميّتون فتبارك الله رب العالمين﴾[2] . ثم ان خليفتكم عبْد الله أبا العباس أمير المؤمنين رحمة الله عليه كان عبْداً من عباد الله الذين كتب عليهم الموت ونقلهم إلى دار الثواب ، أكرمه بخلافته وأحيا به سُنّة نبيه وردَّ به حقّ أهل هذا البيت إليهم حتى استقر في مقرّه ، وحلّ محله وخرج من أيدي الفجرة الظلمة أهل بيت اللّعنة الذين أخذوه اغتصاباً وظلماً وابتزازاً بالتمويه والشُّبه وادّعاء الأباطيل ، ثم استعمله الله بطاعته الى انقضاء مدته وأثره ونفاد أجَلِه وأكله ، وقبضه إليه حميداً رشيداً ، قد رضي سَعْيَه وأقام به حقّه ، فرحمةُ الله عليه وبركاته وصلواته ، وقد استخلف أخاه أبا جعفر أصلحه الله وأمتع الخاصّة والعامّة به لكمال سنّه ، وفضل رأيه ، وصحة عزمه ، ونفاذ بصيرته ، وجعل وليّ العَهد بعدَه عيسى بن موسى بن علي ، وهو من قد عرفتم جَزالَتَهُ وبراعته وفضله ، فعند الله نحتسب أبا العباس أمير المؤمنين ، وإياه نسألُ أن يعظّم أجورنا وأجوركم فيه ، وأن يبارك لأمير المؤمنين فيما ولّاه واسترعاه ، ويحضره الرشد والسداد في أموره . فبايعوا رحمكم الله لأمير المؤمنين عبْد الله أمتع الله به ، ولعيسى بن موسى بن محمد بن علي إن كان من بعده ، بيعة صادقة عن طوع واعتقاد ونيّة حسنة بيعةً تنشرح بها صدوركم ، وتخلص فيها نياتكم ، لتنالوا بها عاجل المكافأة وآجل الثواب إن شاء الله ، أحسن الله عليكم

١ - سورة الأنبياء - الآية : ٣٤ .
٢ - سورة الزمر - الآية : ٣٩ .

الخلافة وتولاكم بالكفاية» . ثم بكى وبكى الناس ، فلما نزل كتب إلى عيسى بن موسى بالقدوم وكان بالكوفة فقدم الأنبار وأعطى الناس أرزاقهم ، وكتب عيسى بن علي إلى أبي جعفر : «أما بعد ، أصلح الله أمير المؤمنين ، وأصلح به وعلى يديه ، فإن أقل المصائب يا أمير المؤمنين نكاية وإن عظُمت بها الرزِّية وجلّ الخطب وأفظع الأمر مُصيبةٌ جبرت بحسن العوض في الدنيا وجزيل الثواب في الآخرة ، وإن أمير المؤمنين أبا العباس رحمةُ الله وصلاته عليه كان من عباد الله الذين حتم عليهم الموت وخلقهم للفناء ، فقبضه الله حميداً سعيداً قائماً بالحق جميل النظر للخاصة والعامة ، مشفقاً عليهم ، مُعَفِّياً بعدله على جور الظلمة من أهل بيت اللعنة ، وبإحسانه على إساءتهم وشرارتهم ، وقد استخلفك يا أمير المؤمنين بعده وجعل وليّ عهدك عيسى بن موسى بن محمد ، فأعظم الله أجر أمير المؤمنين على الرزِيَّة الفاجعة ، وبارك له في العطية الفاضلة ، فلا مصيبة أجلّ من مصيبته ولا عُقبى أحسن من عقباه ، ورحم الله أبا العباس وغفر له وضاعف له حسناته ، وجعل الله أمير المؤمنين خير خليفة وإمام ، أعْمَلَهَ بعدل ، وأقومَهَ بحق ، وأنظرهُ لعامّة ، وأحناه على خاصة بَمنّه وقُدرته ، وقد دعوت الناس إلى بيعتك يا أمير المؤمنين ، فسارعوا إليها واحتسبوا الخير فيها ، حقّقَ الله آمالهم وبَلّغهم لك وفيك أمانيهم يا أمير المؤمنين ، فاشكر الله يزدك ، واستعنه يُعنِك ، واستكفِهِ يكفك ، أسأل الله لأمير المؤمنين أحسن الحفظ وأدوم العافية والسلامة في الدنيا والآخرة» .

قال : وكتب رقعة أدرجها في الكتاب لم يُدر ما فيها ، وبعث بالكتاب مع محمد بن الحصين العَبْدي ، فلما قرأه أبو جعفر بكى . وحمّل عيسى بن

علي وعيسى بن موسى محمّد بن الحصين كتابين إلى أبي مسلم بالتعزية والتهنئة بولاية أمير المؤمنين أبي جعفر . وقال محمدَ بن الحصين لأبي جعفر حين قرأ كتاب عيسى بن علي إليه : قد أعقب الله المصيبة الجليلة بالنعمة العظيمة ، فأحسنَ الله يا أمير المؤمنين من المصيبة عقباك وبارك لك فيما ولاك وأعطاك ، فأمر له بخمسائة دينار ، ويقال بألف دينار ، وكتب إلى عيسى بن علي بأبرّ كتاب وألطفهِ وجزاه الخير على ما كان منه ، وكتب إلى عيسى بن علي وعيسى بن موسى في القيام بأمر الناس وضبط ما قبلهما إلى قدومه .

قال : وكتب عيسى بن علي إلى عبد الله بن علي بالخبر وعزاه عن أبي العباس وهنأه بولاية أمير المؤمنين أبي جعفر ، وأنفذ الكتاب مع أبي غسّان حاجب أبي العباس والهيثم بن زياد الخزاعي ، فلما دخلا عليْه سلم الهيثم بالإمرة وسلم أبو غسان بالخلافة ، فقال الهيثم : مَهْ فإن أبا العباس قد استخلف أبا جعفر أخاه ، فقال عبد الله : أنا أحق بالأمر منه ، إن أمير المؤمنين رحمه الله ندب الناس إلى الجَعْدي فتثاقلوا عنه فقال : من انتَدَبَ إليه فهو الخليفة بعدي ، فانتدبتُ ، فقال الهيثمُ : نشدتُك الله أن تهيج الفتنة وتعرض أهل بيتك لزوال النعمة ، فقال : اسكت لا أُمّ لك ، وقام فخطب ونعى أبا العباس وادعّى أنه ولاّه الخلافة بعده ، فصدّقه أبو غسّان وكذّبه الهيثم ورجل آخر معه ، فأمر بالهيثم والرجل فضربت أعناقهما . وخرج ابن علي من دابق ، وكان متوجهاً إلى بلاد الروم للغزو في مائة ألف ، فقال له ابن حنظلة البهراني : يا أمير المؤمنين ، الرأي أن توجه ألف رجل وتبعث عليهم رجلاً تثق بصرامته وبأسه ونصيحته ، وتأمره أن يأخذ طريق السماوة فلا يشعر أبو جعفر وأبو مسلم إلا بموافاته إياهما ، وتغذّ أنت السير حتى تنزل

الأنبار ، فلم يقبل مشورته لأنه من أهل الشام ، وقد كان أبو جعفر خاف هذا الفعل من عبد الله فأسرع السير وأغذّه حتى نزل الأنبار فسأل عن ابن علي فأخبر أنه بحران قد صَمَد صَمْد مقاتل بن حكيم العكي لإبائه بيعته حتى يجتمع الناس ، فحمد الله على ذلك ، ثم بلغه أنه قد أخذه وبعث به إلى عثمان بن سُراقة فحبسه بدمشق فقال : لله العكي ماذا يذهب منه .

حدثني أبو مسعود قال : لما أتى أبا جعفر خبر وفاة أبي العباس دعا إسحاق بن مسلم العقيلي ، وكان قد حجّ معه ، فقال له : ماذا ترى أن نصنع ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان ابن علي حازماً فسيوجه خيلاً تلقانا في هذه البراري فتحول بيننا وبين دار الخلافة ، ويأخذنا أسراء فاقعُد على دوابك فإنما هي ليالٍ حتى نقدم الأنبار ، قال : فإن هو لم يخالف ؟ قال : فلا حياة به ، والرأي اغذاذ السّير على حال. قال : فارتحل أبو جعفر وقدّم أبا مسلم أمامه يطوي المراحل إلى الأنبار ، وندب أبا مسلم لعبد الله بن علي فسارع إلى محاربته .

حدثني محمد بن الأعرابي قال : لَقِيَتِ المنصور أعرابيّةٌ في طريقه ، وقد توفي أبو العباس والمنصور مقبل إلى الأنبار ، فقالت له : أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في أخيك ، فإنه لا مصيبةَ أعظم من مصيبتك ، ولا عوض أفضل من خلافتك ، فقال : بلى ، الأجر ؛ فقالت : هو لك مذخور إن شاء الله ، فوهب لها ألف درهم .

وحدثني أبو مسعود قال : حجّ المنصور أمير المؤمنين في السنة التي استخلف فيها ، وفي سنة سبع وأربعين ومائة أو ثمان وأربعين ومائة، وفي السّنة التي توفي فيها ، وكانت وفاته بمكة .

وحدثني المدائني قال : حجّ مع المنصور اسحاق بن مسلم العقيلي ، فكان عديله ، فقال المنصور ذات يوم : لقد أبطأنا عن الحج وإني لأخاف فَوْتَهُ ، فقال اسحاق ، وكان فيه جفاء : اكتب في تأخير الحج إلى قدومك ، فقال : ويحك أوَ يكون أن يؤخر الحج عن وقته ؟ فقال : أوَ تريدون شيئاً فلا يكون ؟

وحدثني المدائني قال : كان أمير المؤمنين المنصور يقول : الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاث خلال : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك .

وحدثني المدائني قال : قال اسحاق بن مسلم العقيلي : حججت مع أبي جعفر فقال : قل للحادي أُحْدُ ، فقلت : يا عاصم أُحدُ ، فحدا فأجاد ، فقال : قل له : قد أمر لك أمير المؤمنين بألف درهم فدعا له ، ثم قال : قل له أُحْدُ أيضاً ، فأعاد فأجاد ، فقال : قل له : قد أمر لك أمير المؤمنين بكسوة ، فدعا له ، ثم قال : قل له احد ايضاً فحدا فأجاد ، فقال : قل له : أمر لك أمير المؤمنين بخادم ، فقلت : يا عاصم قد أمر لك أمير المؤمنين بخادم ، فقال لي مُسِراً لقوله : بأبي أنت مُسّه فلعله موعوك ؟ فأعطى ذلك الذي أمر له به .

حدثني محمد بن عباد البجلي ، حدثني زهير بن المسيب عن أبيه قال : جرى عند المنصور ما كان من مداراته إياه ، فقال المنصور : إذا مدّ عدوك إليك يده فإن أمكنك أن تقطعها وإلّا فقبّلها .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء قال : حدثني من أثق به قال : كان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من أعظم الدعاة قدراً وغَنَاءً ، وهو الذي

أخرج أبا العباس من موضعه الذي أخفاه فيه أبو سلمة وخزيمة ، وقام بأمره حتى بويع ، وكان أبو العباس يعرف له ذلك ، وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه من خراسان ويأمره أن يكاتبه بالأخبار ، فلما استخلف المنصور بلغه أنه يكتب إلى أبي مسلم بخبره ، وأنه قال : ما على هذا بايعناهم وإنما بايعناهم على العدل ، فدعاه ذات يومٍ فتغدّى عنده ثم سُقي شربة عسل فلما وقعت في جوفه هاج به وجع فتوهم أنه قد سمّ فوثب ، فقال له المنصور : إلى أين يا أبا الجهم ؟ قال : إلى حيث أرسلتني ، ومات بعد يوم أو يومين .

وحدثني بعض ولد أبي الجهم أنه سُقي شربة من سويق لوز ، فقال الشاعر :

احذر سويق اللوز لا تشربنّه فشرب سويق اللوز أردى أبا الجهم

قالوا : وسار أبو جعفر في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة إلى أرمينية فدوّخها ، واستخلف الحسن بن قحطبة عليها ، ثم قفل منها إلى الجزيرة في سنة ست وثلاثين ومائة، وأذن له أبو العباس في القدوم عليه ، وولاه الموسم ، فحج بالناس ومعه اسحاق بن مسلم فكان عديله .

حدثني المدائني قال : أُهديت إلى ولد المنصور حملان من هذه البربرية فقال لقهرمانه : خذها إليك فاذبح لنا كل يوم منها حملاً فإن الصبيان يكتفون بالصّعْو[1] .

---

١ ـ الصعو : عصفور صغير . القاموس .

قال : وقال المنصور لعيسى بن عبد الله النوفلي لما مات أبو العباس : قد عرفتني في السلطان وقبله ، فهل رأيت لي لذة في مطعم أو مركب أو ملبس ؟ ولقد أتتني الخلافة وما طلبتها ، فقال : مازلتُ والله أعرفك بالزْهد والفضل وطلب العلم .

وحدثني علي بن المأمون عن أبيه عن الرشيد قال : أُدخلت على المنصور وأنا صبيّ فرأيته جالساً على حصير متكئاً على مسورة جلود فدعا بعشرة دنانير جدد فوهبها لي ، وأخذني فقبّلني وصرفني .

وحدثني المدائني قال : كان المنصور يخرج من مقصورة النساء ليلاً يريد المسجد ومعه جارية حبشية ، أو قال صفراء ، تحمل له سراجاً .

وحدثني قال : كان المنصور يقول : الملوك ثلاثة : معاوية وكفاهُ زياد ، وعبد الملك وكفاه الحجاج ، وأنا ولا كافي لي .

وكان يذكر بني أميّة فيقول : رجلهم هشام . وكان يقول : الخلفاء أربعة والملوك أربعة ، فالخلفاء : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وعثمان على ما نال وقد نيل منه أعظم ، والملوك : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، وأنا ، ولنعم الرجل كان عمر بن عبد العزيز ، كان أعور بين عميان . وكان يقول : نعم صاحب الحرب حمار الجزيرة من رجل لم يكن عليه طابع الخلافة ، يعني مروان .

المدائني ، قال : أتى ابنٌ ليوسف بن عمر المنصور فوصله بثلاثة آلاف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين أمّلتُ منك أكثر من هذا ، فقال : هذه كانت صلة أبيك لنا ، قال : يا أمير المؤمنين فأين فضل قريش على ثقيف ، وفضل الخلافة على الإمارة ؟ فضحك وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وحدثني ابن الأعرابي قال : قال المنصور : معاوية للحلم والأناة ، وعبد الملك للإقدام والإحجام ، وهشام لتقسيط الأمور ووضعها مواضعها ، قال : وشاركتُ عبد الملك في قول كثيِّر :

يصدُّ ويَرْضى وهو ليثُ عرينه وإن أمكنْته فرصةٌ لا يقيلُها[1]

حدثني المدائني قال : بلغني أن المنصور قال ذات يوم في كلامه : إن الحلم يزيد العزيز عزاً ، والذليل ذلاً .

المدائني ، قال : قال أبو جعفر لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناس إلى قومك ، فقال :

إنّ العرانين تلقاها محّسدة ولن ترى للئام الناس حُسّادا

قال : صدقت . قال : وبينا المنصور يخطب اذ قام رجلٌ فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون﴾[2] ، فأُخذ ، لما قضى المنصور صلاته ودخل القصر ودعا به فقال : طالت صلاتك وكثر صومك ، فضجرت من الحياة وقلت : أعترضُ هذا الرجل فأعظه فإن قتلني دخلت الجنة ، وهيهات أن تدخلها بي ، خلّوا سبيله .

وحدثني أبو فراس الشامي عن أبيه ، قال : خطب المنصور في بعض الجمع ، فقام رجلٌ من الصّوفيين فقال : ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾[3] ؟ فأُخذ ، فلما فرغ المنصور من خطبته وقضى كلامه أمر أن

---

١ ـ ديوان كثير عزة ـ ط . الجزائر ١٩٣٠ ج ٢ ص ٢٦ مع فوارق واضحة .
٢ ـ سورة الصف ـ الآية : ٢ .
٣ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٤٤ .

يضرب أربعين درة فضرب ، ثم دعا به فقال : إنّا لم نضربك لقولك ، إنما ضربناك لكلامك في الخطبة فلا تَعُد ، وأمر بتخلية سبيله .

وحدثني أبو مسعود وغيره قال : خطب المنصور فلما قال : «وأشهد أن لا اله إلا الله» ، قام إليه رجلٌ كان في أخريات الناس فقال : يا أمير المؤمنين إني أذكّرك من ذكرت ، فقال : «سمعاً سمعاً لمن ذكّر بالله وأيامه وأعوذ بالله أن أكون جبّاراً عنيداً ، وأن تأخذني العزّةُ بالاثم لقد﴿ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين﴾[1]، وأنتَ فما أردتَ الله بها إنما أردت أن يُقال قامَ فقال فعوقب فصبر ، وأهوِنْ عليّ بقائلها لو هممتُ ، فاهتَبِلْها ويلك إذ عفوتُ وإياك وإياكم أيها الناس وما أشبهها ، فإن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا انتشرت وعنّا أخذت وحملت» ، ثم عاد في خطبته .

حدثني أبو مسعود ، قال : قدم على المنصور قومٌ من أهل الشام بعد هزيمة عبدالله بن علي ، وفيهم الحارث بن عبد الرحمن الحرشي ، فقام عدة منهم فتكلموا ، ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين لسنا وفد مباهاة ولكن وفد توبة ، ابتلينا بفتنةٍ استفزّت شريفنا ، واستخفّت حليمنا ، فكنا بما قدّمنا معترفين ، ومما فرط منّا معذورين ، فإن تعاقبنا فبجرمنا ، وإن تعفُ عنّا فبفضلك علينا ، فاصفح يَا أمير المؤمنين إذا ملكت وأمُنن إذ قدرت ، وأحسن فطال ما أحسنت ، فقال المنصور : أنت خطيبهم ، وأمر بردّ قطائعه بالغوطة عليه .

قال : ووجّه المنصور إسحاق الأزرق مولاه فأتاه بامرأتين وُصفتا له ، احداهما من ولد خالد بن أسيد ، والأخرى فاطمة بنت محمد بن محمد بن

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٥٦ .

عيسى بن طلحة بن عبيْدالله ، فجيء بهما وقد خرج إبراهيم بن عبدالله بن حسن بالبصرة ، فقيل له إن هاتين الجاريتين قد استوحشتا إذ لم ترهما ، فقال : والله لا كشفتُ ثوب امرأة عني حتى أدري أرأسي لإبراهيم أو رأس إبراهيم لي . ومحمد بن عيسى بن طلحة الذي يقول :

فلا تعجل على أحد بظلم ... فان الظلم مرتَعُه وخيمُ
ولا تفحِش وان مُلِّئتَ غيظاً ... على أحدٍ فإن الفحش لومُ
ولا تقطع أخاً لك عند ذنبٍ ... فإن الذنب يغفرهُ الكريم
وما جزعٌ بمغنٍ عنك شيئاً ... ولا ما فات تُرجعه الهموم

وقال :

اجعل قرينك من رضيتَ فَعَاله ... واحذر مقارنة القرين الشائن

وقال :

لا تلُم المرء على فعله ... وأنت منسوبٌ إلى مثله
من ذَمّ شيئاً وأتى مثله ... فإنما يُزري على عقله[1]

فزعموا أن أبا جعفر كان يقول : كان محمد بن عيسى عاقلاً ، وينشد شعره ويقول : كان محمد بن محمد عاقلاً أيضاً ، وإن صاحبتنا لعاقلة .

وحدثني محمد بن عباد ، حدثني أزهر بن زهير عن أبيه زهير بن المسيب قال : بعث أمير المؤمنين المنصور إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقال : إني أريد مشاورتك في أمر ، فلما دخل عليه قال : إني قد تأنّيت أهلَ المدينة مرة بعد أخرى ، وثانية بعد أولى ، فلا أراهم ينتهون

---

١ ـ معجم الشعراء للمرزباني ـ ط . دمشق مكتبة النوري ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ مع فوارق .

ولا يرجعون ، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يعقر نخلهم ويغور عيونهم ، قال : فسكت جعفر ، فقال له : ما لك لا تتكلم ؟ قال : إن أذِن لي أمير المؤمنين تكلمتُ ، فقال : قل ، قال : إنّ سليمان عليه السّلام أعطيَ فشكر ، وإنّ أيّوب ابتُليَ فصبر ، وإنّ يوسف قدر فغفر ، وقد وضعك الله في السطة من بيت النبوّة وفضّلك بالخلافة وآتاك علماً كاملاً فأنت حقيق بالعفو عن المسيء والصفح عن المجرم ، قال : ففثأ غضبه وسكّنه .

حدثنا محمد بن الأعرابي عن علي مولى قريش قال : دخل رجلٌ من قيس أحسبه أبا الهيذام ، وقال غيرُ علي : دخل ابن شبرمة على المنصور فقال له المنصور : أَلَكَ حاجة ؟ قال : نعم بقاؤك يا أمير المؤمنين ، فقال : ويحك سلني قبل أن لا يمكنك مسألتي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أَستقصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتنم ما لك ، وإن سؤالك لشرف وعطاك لفخر ؛ وما بامرىء بذل وجهه إليك شَيْنٌ ولا نقص ، وعندي من فضل الله خيرٌ كثير .

وحدثني أحمد بن الحارث عن المدائني قال : مات إسحاق بن مسلم من بثرةٍ خرجت به في ظهره ، فحضر المنصور جنازته ، وحمل سريره حتى وضعه وصلى عليه ، وجلس عند قبره ، فقال له موسى بن كعب أو غيره : يا أمير المؤمنين ، أتفْعل هذا به ، وكان والله مبغضاً لك كارهاً لخلافتك ؟ قال : ما فعلت هذا إلاّ شكراً لله إذ قدمه أمامي ، قال : أفلا أخبر أهل خراسان بهذا من رأيك ، فقد دخلتهم وحشةٌ لما فعلت ؟ قال : بلى ، فأخبرهم فكبّروا .

وكان مروان بن محمد أودع يزيد بن أسيد جاريتين يقال لهما سبيكة وزنبرة ، فلما صار يزيد إلى المنصور استوهبهما منه فوهبهما له ، وفيهما يقول إسحاق بن سماعة المعيطي في شعر له :

لعن الله أحمد بن يزيـ ... د بنِ زافرٍ حيث كانا
فضح الله أحمدَ بنَ يزيـ ... د وكَساهُ مذلة وهوانا
شان قيساً بخونه وأبوه ... لم يزل شانياً لها خوانا
خان مروانَ في سبيكةَ لمّا ... زال ظلُّ السلطان عن مروانا
فأتتني بأحمدٍ من حلال ... أو حرامٍ من التّقى عريانا
يشتهي ما اشتهت سبيكـ ... ـةُ بالأمس وان كان في الحروب جبانا
هو دان الزبير دين غويّ ... راح من سورة الهوى سكرانا
وابنُه في الفعال ليس بمحمـ ... ـودٍ اذا الفعلُ زيّن الفتيانا

وحدثني أبو مسعود قال : حدثني من سمع المنصور يوم مات إسحاق بن مسلم وكان موتُه بالهاشمية يتمثل :

كفاك عديّاً موتُه ولربما ... تُغيظك أيامٌ له وليال

وحدّثني أبو مسعود ، حدثني إسحاق بن عيسى قال : ولّى المنصور عبداً له يقال له طارق ضيعةً من ضياعه بالشام فاستقصى على أهلها ، فقدم منهم قوم على المنصور فشكوه فقال : إنما نقمتم عليه لما اخترتُه له وأحمدتُه عليه ، قالوا : انه عبدٌ وربّما صلى بنا ، قال : هو حرّ فصلوا خلفه ، فقام متكلمهم فقال : بُتَّ بخير يا أمير المؤمنين ، فضحك وكتب إلى صاحبهم بالرفق بهم .

وحدثني جماعة من بني العباس وغيرهم أن المنصور كان ربما علّق البواري على أبوابه في الشتاء، وقال هي أوقى. حدثني بعض ولد إسحاق بن عيسى، عن أبيه عن جده، قال: قُدِّمتْ إلى المنصور عصيدة فقال: ليس هذه بالعصيدة التي نعرف، ليعمل لنا تمرها بنواه. فلما كان الغد من ذلك اليوم حضرتُ غداهُ فأتينا بقصعةٍ فيها ثردة صفراء وعليها عُراق وأكلنا منها ثم رفعت، وأتينا بلونين فلما رفعا أتي بالعصيدة فأكل منها أكلاً صالحاً، وقال: هذه هي فلما رُفِعتَ المائدة غَسَل يده ودعا ببخور فبخرها ثم قال: إنما فعلتُ هذا لأني أريد الجلوس للناس ومنهم من يقبّل يدي.

وحدثني أبو مسعود قال: قال المنصور لعبد الله بن الربيع: قد عرفتني سوقة وخليفةً، فهل رأيتني كَلِفاً بأمر مطعم أو مشرب أو ملبس؟ فقال: لا ولكني رأيتك تلذ حُسن الذكر، وتنفي الضيم، وتضع الأمور مواضعها.

وحدثني الربيع بن عبيدالله بن عبدالله بن عبد المدان وأخوه زياد، وحدثني بعض ولد المنصور، أنه كان إذا ولد لرجل من أهل بيته مولود ذكر أمر له من دار الرقيق بظئر وجارية تخدمه ووصيف، وأمر لأمه بجاريتين ومائتي دينار وطيب، وإذا كان المولود انثى بعث نصف ذلك.

وحدثني أبو مسعود وغيره قالوا: قدم إسحاق الأزرق، صاحب الدار ببغداد عند القنطرة العتيقة، وهو مولى المنصور، عليْه بامرأتين كان أشخصه لحملهما، إحداهما فاطمة بنت محمد الطلحية، والأخرى أمةُ الكريم بنت عبد الرحمن بن عبدالله من ولد خالد بن أسيد بن أبي العاص، ويقال العالية بنت عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد بن أسيد، فقالت له ريسانة قيّمة

نسائه : يا أمير المؤمنين ان الطلحية قد استحقبتك واستبطأت برّك وأنكرت وصاحبتها تركك الدعاء لهما ، فقال : أما ترين ما نحن فيه ، وكان إبراهيم بن عبدالله قد خرج بالبصرة ، ثم أنشد :

قومٌ اذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون النساء ولو باتت باطهار

وقال : ما أنا بناظر إلى امرأة حتى أدري أرأسي لإبراهيم أو رأس إبراهيم لي ، وكانت عليْه جبة قد اتّسخَ جيبها ، فقيل له : لو نزعتها وغيّرتها ، فقال : لا والله أو أدري أهي لي أم لإبراهيم .

المدائني قال : قال عبدالله بن الربيع الحارثي : قال لي أبو العباس ذات يوم : إني أريد أن أبايع لأبي جعفر أخي ، فأخبرت أبا جعفر بذلك فأمر لي بكسوة ومال ، فقلت : أصلح الله الأمير ، إن لك مؤونة ولعله ان يأتيك من أنا أعذر لك منه ، فأمر بردّ ذلك ، وقمتُ فانصرفتُ وراح ورحت إلى أبي العباس ، فدخل عليه وجلست غير بعيد ، فطال تناجيهما ، ثم ارتفعت أصواتهما بقول أبو العباس : بلى والله ، وبقول المنصور : لا والله ، ثم خرج أبو جعفر فأخذ بيدي فسألته عن تحالفهما ، فقال : ليس هذا وقت اخبارك وغمز بيدي ، فلما أفضى الأمر إليه وقتل أبا مسلم دخلت عليه وهو طيب النفس فقال : ألقوا لأبي الربيع وسادة ، فثنيت لي وسادة وجلست ، فقال : ألا أخبرك بالأمر الذي سألتني عنه يوم دخلتُ على أبي العباس فتحالفنا ؟ فقلتُ : أمير المؤمنين أعلم ، قال : تذاكرنا الدعوة ، فقلتُ : أتذكر إذ كنا نرمي وأبو مسلم يردّ علينا النبل ، فقال إبراهيم : ما أكيسه ويقتله عبْد الله ! فقلتُ : بلى ، قال : فأنت عبدُ الله وأنت تقتله ، فقلت :

لا والله ، قال : بلى والله ، فلما خالف عبدالله بن علي وجهته إليه فقلت هو يقتله ، فلما سلم منه وصنع ما صنع قلت أنا عبدالله ، أقتله ، فقتلته .

حدثني أبو مسعود الكوفي ، حدثني إسحاق بن عيسى وجماعة من العباسيين ، أن المنصور قال : رأيت فيما يرى النائم ، وأنا بالشراة ، كأنّا حول الكعبة فنادى منادٍ من جوف الكعبة : أبو العباس ، فنهض فدخل الكعبة ثم خرج وبيده لواء قصيرٌ على قناة قصيرة فمضى ، ثم نودي : عبدالله ، فنهضت أنا وعبدالله بن علي نبتدر ، فلما صرنا على درجة الكعبة دفعتُه عن الدرجة فهوى ودخلت الكعبة ، وإذا رسول الله ﷺ جالس فعقد لي لواءً طويلاً على قناة طويلة ، وقال خذه بيدك حتى تقاتل به الدجال .

وحدثني عبدالله بن أبي هارون الكاتب قال : وردت على المنصور خريطة من صاحب أرمينية ليلاً فلم يوصلها الربيع الحاجب إلا مصبحاً ، فقال له : يا بن اللخناء ، والله لهممت أن أضرب عنقك ، أتحبس عني خريطة صاحب الثغر الأعظم ساعةً واحدة فضلاً عن ليلة ! وسخط عليه يوماً ، ثم رضي عنه وقال : لا تعد .

وحدثني المدائني قال : قال المنصور : من أحب أن يحمد بغير مرزئة فليحسّن خلقه ولينبسط بِشره .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : قدم وفد من أهل المدينة على أبي جعفر ، وفيهم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، فدخلوا عليه فساءل عبد الرحمن عن حالهم فأخبره بما كان من الوليد من أخذ أموالهم ، فأمر بردّها عليهم .

حدّثني الحرمازي ، حدثني عبدالله بن صالح ، عن شيخ له ، قال : كان زياد بن عبيد الله الحارثي ، خال أبي العباس ، مع خالد بن عبدالله القسري بالعراق وولي شرطته ، ثم كان مع يوسف بن عمر بعده ، ومع يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلما ولي أبو العباس قال له يزيد بن عمر : والله لأضربن عنقك فقد سررتَ بأمر بني العباس ودولة ابن اختك ، وكان معه بواسط ، فلما وقع الصلح خرج حتى قدم على أبي العباس فقال له : أبطأت عني يا خال ، فأخبره بقصته ، ثم ولاه مكة والمدينة بعد داود بن علي ، وابنه موسى بن داود ، فلما توفي أبو العباس بعث إليه المنصور بعهده فغذَّر[1] فيما كان يأمره به في عبدالله بن حسن وفي طلب ابنه ، فعزله وأغرمه ثم ضمّه إلى المهدي حين وجهه إلى الري ، فلما سار ثلاث مراحل تغدى المهدي ثم صار إلى فسطاطه فأُتي بقدح فيه عسل قد خيض له فشربه ونام ، فطلبه المهدي فوُجد ميتاً فبكى عليه وأمر فحفر له وصلى عليه ودفنه ، فكان يقال انه سمّ ووجد منتفخاً ، وذلك باطلٌ والثبتُ أنه مات فجأة .

حدثنا المدائني قال : حُدّث المنصور بأن عجلان بن سهيل الباهلي سمع رجلًا قال ، وقد مرّ هشام بن عبد الملك : قد مرّ الأحول ، فقال له : يا بن اللخناء أتسمّي أمير المؤمنين بالنَّبز ، وعلاه بسوطه ، ثم قال : لولا رحمتي لك لضربتُ عنقك ، فقال المنصور : هذا والله الذي ينفع معه المحيا والممات .

وحدثني سليمان بن أبي شيخ قال : قدم ابن أنعُم المحدّث على المنصور فقال له المنصور : لقد استرحت من وقوفك بباب هشام وذوي هشام ،

١ ـ أي قصر .

فقال : يا أمير المؤمنين ما رأيت في تلك المواضع شيئاً يكره إلاّ وقد رأيت في طريقي إليك ما هو أعظم منه ، فقال المنصور : ويحك إنا لا نجد من نوليه أعمالنا ممّن نرتضيه ، فقال : بلى والله يا أمير المؤمنين لو طلبتهم لوجدتهم ، إنما الملك بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها .

قال : وأقبل المنصور يوماً راجعاً من ركوبه يريد قصره ، فلما صار على بابه رأى فِرج بن فضالة المحّدث جالساً فلم يقم له ، فلما دخل القصر دعا به فقال : ما منعك من القيام حين رأيتني ؟ قال : منعني من ذلك أني خفت أن يسألني الله لم فعلتُ ، ويسألك لِمَ رضيتَ ، وقد كره رسول الله ﷺ ذلك ، فسكت المنصور ، وخرج فرج .

وحدثني محمد بن حبيب عن أبي فراس قال : قال المنصور لهشام بن عروة : أتذكر يا أبا المنذر حين دخلتُ إليك أنا وإخوتي مع أبي الخلائف وأنت تشرب سويقاً ، فإنّا لما خرجنا قال لنا أبونا : يا بنيّ استوصوا بهذا الشيخ فإنه لا يزال في قومكم عمارة ما بقي مثله ، فقال : ما أذكر ذلك . فلما خرج هشام قيل له : ذكرّك أمير المؤمنين شيئاً يُتوسل بدونه ، فقال : لم أذكر ما ذكرني ، ولم يعودني الله في الصدق إلاّ خيراً .

قالوا : ودخل عليه سوّار بن عبدالله العنبري فقال : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ادنُ أبا عبدالله، فقال : أَدنو على ما مضى عليه الناس أم على ما أحدثوا ؟ قال : على ما مضى ، فدنا ومدّ يَدَهُ ، فصافحه ثم جلس .

قال : وكتب المنصور إلى سوّار في بعض الأمور ، فكان في ذلك إضرار بقوم ، فلم ينفّذ سوّار الكتاب ، فاشتدّ ذلك على المنصور ، فكتب إليه

سوار : إنّ عدْلَ سوّار مضافٌ إليك ، وزينٌ لخلافتك ، فسكن غضبه وأمسك عن ذلك الأمر .

وحدّثني الحسن بن علي الحرمازي قال : نظر المنصور إلى بعض القضاة ، وبين عينيه سجّادة فقال له : لئن كنت أردتَ الله بالسجود فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه ، وان كنت إنما أردتنا بهذه السجادة فينبغي لنا أن نحترس منك .

وحدّثنا أبو مسعود الكوفي قال : كان يحيى بن عروة رضيع المنصور ، وهو مولى لهم ، فصيْرهُ أبو جعفر على ثقله عام حَجَّ ، فلما دعا عبدالله بن علي إلى نفسه حمل ثقل أبي جعفر وجواريه وصار إلى عبدالله بن علي ، فلما هرب استخفى يحيى ، ثم ظفر به المنصور ، فقطع بالسيوف .

حدّثني أبو مسعود الكوفي قال : كانت عَبْدةُ بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية عند هشام ، وكانت أجمل الناس ، وكانت إذا رأت أم حكيم بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص امرأة هشام أيضاً عنده قالت لها : كيف أنت يا أمه ؟ فيضحك هشام من قولها ويعجبه ظرفها ، وأم حكيم هذه التي يقول فيها الوليد بن يزيد :

علِّلاني بعـاتِقـاتِ الكـروم واسقياني بكأس أُمِّ حكيم[1]

فلما صار عبدالله بن علي إلى الشام خطب عبدة ، فأبت عليه التزويج فأمر بها فبقر بطنها ، فكان المنصور إذا ذكر فعله بها لعنَهُ . قال : وجعلت عبدة حين أتي بها ليبقر بطنها وتقتل تنشد :

فقُـل للشامتـين بنا أفيقـوا سيلقى الشامتون كما لقينا

---

١ ـ شعر الوليد بن يزيد ص ١٤ .

أمر أبي مسلم في خلافة المنصور

حدّثني محمد بن عباد الكاتب ، عن أزهر بن زهير ، عن أبيه ، قال : كان أبو مسلم مُستخفّاً بمواليه، فإذا أتاه كتابُ المنصور فقرأه لوى شدقه ثم ألقاه إلى أبي نصر مالك بن الهيثم فيتضاحكان ، ويبلغ أبا جعفر ذلك فيقول : إنا لنخاف من أبي مسلم أكثر مما كنا نخاف من حفص بن سليمان .

قال : ولما فرغ أبو مسلم من محاربة عبدالله بن علي ، وحوى عسكره وما فيه ، بعث المنصور مرزوقاً أبا الخصيب لإحصاء ذلك ، فغضب أبو مسلم وقال : ما لأبي جعفر ولهذا ، إنما له الخمس ، فقال مرزوق : هذا مالُ أمير المؤمنين دون الناس ، وليس سبيل هذا سبيل مَا لَهُ منهُ الخمس ، فشتمه وهَمَّ بقتله ثم أمسك .

وحدّثنا عبدالله بن صالح ـ وذكره المدائني ـ قال : بعث المنصور يقطين بن موسى إلى أبي مسلم بعد هزيمة عبدالله بن علي ليحصي ما كان في عسكره ، فقال أبو مسلم : أفَعَلَها ابنُ سلامة الفاعلة ، لا يُكَنِّي ، فقال يقطين : عجِلتَ أيّها الأمير ، إنما أمرني أن أحصي ما وجد في عسكر الناكث

ثم أسلمه إليك لتعمل فيه برأيك وتصنع به ما أردتَ ، ويكون قد عرفَ مبلغه .

فلما ورد يقطين على المنصور أعلمه ما قال وما قال هو له ، فخاف أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان ، فكتب إليه : «إني قد وليتك الشام ومصر ، فهما أفضل من خراسان ، ومنزلك بالشام أقرب إلى أمير المؤمنين فمتى أحببت لقاءه لقيته» ، وأنفذ الكتاب إليه مع يقطين أيضاً ، فلما قرأه قال : أهو يوليني الشام ومصر مكان خراسان وخراسان لي ؟ وعزم على إتيان خراسان ، فنزل المنصور المدائن ، وأخذ أبو مسلم ، طريق حلوان ، فقال المنصور : رُبَّ أمرٍ لله دون حلوان ، وأمر عمومته ومن حضر من بني هاشم أن يكتبوا إليه فيعظّموا عليه حق الطاعة ويحذروه سوء عواقب الغدر والتبديل والنكث ويسألوه الرجوع ويشيروا عليه به . وكتب إليه المنصور : «إني أردت مذاكرتك أشياء لم يحتملها الكتاب فأقبل فإن مقامك قِبَلي يسير» ، فلم يلتفت إلى الكتاب ، فبعث إليه جرير بن يزيد البجلي ، وكان صديقاً لأبي مسلم راجحاً عنده ، فلم يزل يمسح جوانبه ، ويرفق به ، ويعرّفه قُبح ما ركب ، وأن النعمة إنما دامت عليه بالطاعة ، وقال له : إن أمر القوم لم يبلغ بك ما تكره ، وإنما لك إن عصيتهم خراسان ولا تدري ما ينباق[1] عليك من شيعتهم من أهل خراسان ممّن ترى أنه معك ، وإن أطعتهم فخراسان وغيرها من البلاد لك ، فانصرفَ راجعاً .

وحدثني محمد بن عباد عن أزهر بن زهير ، وحدثني شيخ لنا أيضاً ، أن المنصور كتب إلى أبي مسلم كتاباً لطيفاً مع أبي حميد المروروذي وقال : إن

١ ـ انباق : هجم على قوم بغير اذنهم أو تعدى . القاموس .

أجاب إلى الانصراف وإلاّ فقل له ، يقول لك أمير المؤمنين : نُفيتُ من العباس لئن مضيتَ ولم تلقني لا وكلتُ أمرك إلى أحدٍ سواي ، ولو خضتُ إليك البحر الأخضر حتى أموت أو أقتلك . فلما قرأ الكتاب عزم على المضيّ لوجهه ، فأدّى إليه أبو حميد الرسالة فكسرته وعزم على الانصراف إلى المنصور ، وخلّف ثقله بحلوان وعليه مالك بن الهيثم وقال : لئن أمكنني قتله لأقتلنّه ثم لأبايعن من أحببت ، وتمثل بعض من معه :

ما للرجالِ مع القضاء محالةٌ ذهبَ القضاءُ بحيلة الأقوامِ

وحدثني بعض ولد يقطين بن موسى قال : كان أبو مسلم آنس الناس بيقطين ، فلما قدم الكوفة وهو يريد الحج قال له : يا يقطين بلغني أنه نشأ بالكوفة رجل يقال له جحا ظريف مليح ، وأن أهلها عملوا بعدنا جُوذابة[1] تنسب إلى رجل يكنى أبا جرير ، فأطعمني من الجوذابة وأرني جُحاكم ، فاتُّخذتْ جوذابات وأتي بها مع طعام كثير ، فلما تغدى أبو مسلم قال : أرني الآن جُحا هذا ، فطُلب حتى وجد وأُتي به يقطين وأبو مسلم وهما في غرفة ليس فيها غيرهما ، فأخذ بعضادة الباب ثم قال : يا يقطين ، أيكم أبو مسلم ؟ فضحك أبو مسلم وكلمه فاستملحه فوهب له خمسة آلاف درهم .

قال : ثم شخص أبو مسلم إلى مكة ، وقدم فمضى لمحاربة عبدالله بن علي ، فلما هزمه بعث المنصور إليه يقطيناً فكلمه بكلام شتم المنصور فيه لأُنْسِهِ كان بيقطين ، فأدّاه يقطين إلى المنصور ، فكان أبو مسلم يقول والله لأقتلنّ يقطيناً .

---

١ ـ طعام يصنع بسكر وأرز ولحم . ألفاظ الأطعمة والأشربة في كتاب الأغاني لرشيدة اللقاني ـ ط . الاسكندرية ١٩٩١ ص ٥٣ .

قال : ولما قدم أبو مسلم على المنصور وهو بالروميّة التي عند المدائن أمر الناس بتلقّيه ، وقام إليه فعانقه وأكرمه ، وقال : كدت تمضي قبل أن نلتقي فألقي إليك ما أريد ، وأمره أن ينصرف إلى منزله فيستريح ويدخل الحمام ليذهب عنه كلال السفر ثم يعود ، وجعل يزيده برّاً وإعظاماً وهو ينتظر الفرصة فيه حتى قتله .

وحدثني أبو مسعود الكوفي قال : لما أراد أبو مسلم الشخوص إلى خراسان عاصياً كتب إلى المنصور : «من عبد الرحمن بن مسلم إلى عبدالله بن محمد ، أما بعد فاني اتخذت أخاكَ إماماً ، وكان في قرابته برسول الله ﷺ ومحله من العلم على ما كان ، ثم استخفّ بالقرآن وخرقه طمعاً في قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله ، ومثلت له ضلالته على صورة العدل ، فأمرني أن أجرّد السيف ، وآخذ بالظنّة ، ولا أقبل معذرةً وأن اسقّم البريء ، وأبرّىء السقيم وآثر أهل الدين في دينهم ، وأوطأني في غيركم من أهل بيتكم العُشوة بالأفك والعدوان ؛ ثم إن الله بحمده ونعمته استنقذني بالتوبة وكرّهَ إليّ الحوبة ، فإن يعفُ فقديماً عرف ذلك منه ، وإن يُعاقب فبذنوبي وما الله بظلام للعبيد» .

فكتب إليه المنصور : «قد فهمت كتابك وللمدل على أهله بطاعته ونصيحته ونصرته ومحاماته وجميل بلائه مقال ، ولم يُرِك الله في طاعتنا إلّا ما تُحب ، فراجع أحسن نيّتك وعملك ولا يدعونّك ما أنكرته إلى التجنّي ، فإن المغيظ ربما تعدّى في القول فأخبرَ بما لا يعلم ، والله وليُّ توفيقك وتسديدك ، فأقبل رحمك الله مبسوط اليد في أمرنا ، محكّماً فيما هويت الحكم فيه ، ولا تُشمت الأعداء بك وبنا إن شاء الله» .

قال : فلما قدم برَّه وأكرمه وهو يريد أن تمكنه الفرصة . ثم صرفه إلى منزله ليستريح .

حدثني محمد بن عباد عن أزهر بن زهير بن المسيب الضبي قال : ندم المنصور على انصراف أبي مسلم حين دخل عليه ، وكان أبو أيوب المورياني أشار عليه بالاذن له ، فلما أصبح غدا إلى المنصور فتلقاه أبو الخصيب فقال له : إن أمير المؤمنين مشغول فانصرِفْ ساعةً حتى يفرغ ، فأتى منزل عيسى بن موسى وكان يحبه ، وكان عيسى شديد التعظيم له ، فدعا له عيسى بالغداء ، فبينا هو على ذلك إذ أتاه الربيع ، وهو يومئذ مع مرزوق أبي الخصيب ، فقال له : يدعوك أمير المؤمنين ، فركب وشغل عيسى بن موسى بالوضوء ، وقد كان أبو مسلم قال له : اركب معي فقد أحسست بالشر ، فقال له : أنت في ذمتي فتقدم فإني لا حِقُك . فلما صار أبو مسلم إلى الرواق قيل له إن أمير المؤمنين : يتوضأ فلو جلست ، فجلس ، وأبطأ عليه عيسى فجعل يسأل عنه ، وأعدّ له المنصور عثمان بن نهيك ، وهو يومئذ على حرسه ، وعدّةً منهم : شبيب بن واج ، صاحب المربّعة ببغداد ، وأبو حنيفة صاحب الدرب في المدينة ببغداد ، ورجلين من الحرس ، وقال لعثمان ، إذا عاتبتُه فَعَلا صوتي فلا تخرجوا ، وكان وأصحابه وراء سترٍ خلف أبي مسلم ، فإذا أنا صفّقتُ فدونكم العلج . ثم قيل لأبي مسلم : قد جلس أمير المؤمنين فقم ، فلما قام ليدخل نزع سيفه فقال : ما كان يصنع بي مثل هذا ، فقيل : ليس ذاك إلا الخير . وكان عليه قباء خزّ أسود وتحته جُبّة خز بنفسجي فدخل فسلّم وجلس على وسادة ليس في البيت غيرها والقوم خلف ظهره ، فقال : يا أمير المؤمنين استُخف بي وأخذ سيفى ، قال : ومن فعل ذلك قبحه الله ؟

ثم قال : هيه ، قتلت أهل خراسان وفعلت وفعلت ، ثم جعلت تقول بمكة أيُصلّي هذا الغلام بالناس ، وألقيتُ نعلي من رجلي فرفعت نفسك عن مناولتي إياها حتى ناولنيها معاذ بن مسلم ، وأعجبُ من هذا إقعادك إياي في دهليزك بخراسان مستخفاً بحقي ، حتى أشير عليك بخلاف ذلك ، فتكارهتَ على تسهيل إذني وفتح الأبواب لي ، ثم كتابُك إليّ تبدأ بنفسك ، وخطبتُك إليّ أمينة بنت علي ، وقولك أنك ابنُ سليط بن عبدالله ، لقد ارتقيت يا بن اللخناء مرتقىً صعباً ، ثم ذمّك أخي وسيرته وقولك : إنه أوطأك العشوة ، وحملك على الاثم ، ثم أنت صاحبي بمكة تنادي : من أكل طعام الأمير فله درهم ، ثم كسوتك الأعراب وقولك : لأتخذنكم دون أهل خراسان ، وأعجب من هذا أني دفعت في صدر حاجبك ، بخراسان فقلتَ لي أيضرب حاجبي ، رُدّوه عنا إلى العراق . فقال أبو مسلم : إنه لا يقال لِي هذا القول بعد بلائي وعنائي . فقال : يا بن الخبيثة إنما عملت ما عملت بدولتنا ولو كان الأمر إليك ما قطعت فتيلاً ، ثم فتل شاربه وفرك يده . فلما رأى أبو مسلم فعله قال : يا أمير المؤمنين لا تدخلنَّ على نفسك ما أرى فإن قدري أصغر من أن يبلغ شيء من أمري منك هذا المبلغ . وصفق المنصور بإحدى يديه على الأخرى ، فضرب عثمان بن نهيك أبا مسلم ضربة خفيفة ، فأخذ برجل المنصور فدفعه برجله ، وضربه شبيب بن واج على حبل عاتقه ضربة أسرعت فيه فقال : وانفساه ، ألا قوة ، ألا مغيث ؟ فقال المنصور : اضربوا ابن اللخناء ، فاعتوره القوم بأسيافهم ، وأمر به فلفّ في مسحٍ ويقال في عباءة وصُيّر ناحية ، وكان الطعام قد وضع للحرس في وقت دخول أبي مسلم فكانوا قد شغلوا به فلم يعلم أحد بمقتله . ووافى عيسى الباب

فاستؤذن له فقال المنصور : أدخلوه ، فلما وقف بين يديه قال : يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم ؟ قال : كان هنا آنفاً ،فقال :يا أمير المؤمنين قد عرفتَ طاعته ومُناصحته ورأي الإمام كان فيه ؟ فقال : اسكت يابن الشاة ـ وكانت أم عيسى توفيت وهو صغير أو مرضت فأرضع لبن شاة ـ فوالله ما كان في الأرض عدوٌّ أعدى لك منه ، ها هو ذا في البساط ، والله ما تمّ سلطانك إلّا اليوم . ودخل إسماعيل بن علي وهو لا يعلم الخبر فقال : إني رأيت يا أمير المؤمنين في ليلتي هذه كأنّك قتلتَ أبا مسلم ، وكأني وطئته برجلي ، فقال : قم فصدّق رؤياك فها هو ذا في البساط . فوطئه ثم رجع فرمى بخفه وقال : لا ألبس خفاً وطئت به مشركاً ، فأتي بخف فلبسه ، وأنشد المنصور :

وما العجز إلّا تؤامر عاجراً وما الفتكُ إلا أن تهم فتفعلا

وقال أبو مسعود : بلغني أن المنصور سأل أبا مسلم عن نصلين أصابهما في متاع عبدالله بن علي ، فقال : أحدهما سيفي الذي كان عليّ . قال أبو دُلامة مولى بني أسد[1] :

أبا مسلم[2] ما غيّر الله نعمةً على عبدِهِ حتي يغيِّرها العبد
أفي دولة المنصور حاولت غدرة ألا إن أهل الغدر أباؤك الكرد
فلا يقطع الله اليمين التي بها علاكَ صقيل الشفرتين له حَدُّ
فما كان الا الموت في غمد سيفه وما خلت أن الموت يضبطه غمد

١ ـ اسمه زند بن الجون ، انظر ترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ـ ط . القاهرة ١٩٦٨ ص ٥٤ ـ ٦٢ .
٢ ـ في طبقات الشعراء ص ٦٢ «أبا مجرم» .

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الأسد الوَرْد
فأصبحتُ في أهلي وأصبحتَ ثاويا بحيث تلاقي في ذرى دجلة المد[1]

وحدثني محمد بن موسى الخوارزمي الحاسب ، عن بعض آل الحسن بن قحطبة وغيرهم ، قال : قتل أبا مسلم : عثمان بن نهيك ، وشبيب بن واج ، وأبو حنيفة ورجلان من الحرس ضربوه بأسيافهم فلم يمت ، وجر برجله فألقي في دجلة ، وكان يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة .

قال : وحدّثني أبي قال : لما قتل أبو مسلم حمل أبو حنيفة جيفته في صندوق حتى توسط بدجلة ثم ألقاه . وسار أبو جعفر بعد ذلك بثلاث إلى الحيرة .

وحدثني أبو مسعود قال : تمثّل المنصور بعد قتل أبي مسلم ببيت الشمّاخ :

وما ان شفى نفساً كأمرٍ صريمةٍ اذا حاجةٌ في النفسِ طال اعتراضها[2]

وقال بشار الأعمى :

أبا مسلم ما طيبُ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عمّا قليلٍ بسالم
كأنّك لم تسمع بقتل متوّجٍ عزيزٍ ولم تعلم بقتل الأعاجم
لحى الله قوماً شرَفوك عليهم وقد كنت مشروفاً خبيثَ المطاعم[3]

قالوا : وكان المنصور يقول : اخطأت مرّات وقاني الله شرّها ، قتلتُ أبا مسلم وحولي من يقدّم طاعته على طاعتي فلو وثبوا بي وأنا في خَرْقٍ[4]

١ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٦٢ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ـ ط . القاهرة ١٩٧٧ ص ٢١٥ مع فوارق .
٣ ـ ديوان بشار بن برد ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ص ٥٩٢ ـ ٥٩٣ مع فوارق .
٤ ـ أي في أرض واسعة . القاموس .

لذهبتُ ضياعاً ، وخرجتُ يوم الراوندية ولو أصابني سهم غَرب لذهبت ضياعاً ، وخرجتُ إلى الشام ولو اختلف بالعراق سيفان لذهبت الخلافة ضياعاً .

قالوا : وأمر المنصور حين قتل أبا مسلم بوضع الاعطاء في الناس ، فجعلوا يأخذون ويبايعون ويلعنون أبا مسلم . وقال أبو دلامة أيضاً :

أبو مسلم عبدٌ لعيسى بن معقلٍ أخي دلف لا قول من يتكذب
حمدت إلهي حين قيل عدوكم أبو مجرم أمسى على الوجه يسحب
فإن يكُ عبداً ذاق حتفاً بجرمه فقد صادف المقدار والحين يجلب
بكت عين من تبكيه ميتاً ولا أرى من الله روحاً من له يتغضّب

وقال أبو عطاء السّندي :

زعمتَ أنّ الدَّيْن لا يُقتضى كـذبـتَ والله أبـا مجـرم
سُقيت كأساً كنتَ تسقي بها أمـرّ في الحلق من العلقم

المدائني قال : كان أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري بخراسان وكان صديقاً لأبي مسلم يلاعبه بالشطرنج ويؤانسه ، وكان ذا قدرٍ بخراسان ، فلما ظهرت الدعوة قدم على أبي مسلم وقال :

قـل لـلأمـير أمـين الامـام وصيٍّ وصيٍّ وصيّ الـوصيّ
أتيتـك لا طـالبـاً حـاجـة ومالي في أرضكم من كفيّ

وكان أبو مسلم يبره ويكرمه ، ثم أمر بقتله ، فقيل له : صديقك وأنيسك ، فقال : رأيته ذا همّة وأبهة فقتلته مخافة أن يحدث حدثاً ، وكان لا يقعد على الأرض إذا قعدتُ على السرير ، ولقد كان عليّ كريماً وكنت له محباً . قال : فعيّر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيّره به .

حدّثني الأثرم عن أبي عمرو الشيباني الراوية قال : لما قتل المنصور أبا مسلم دعا بجعفر بن حنظلة البهراني فأراه إياه مقتولاً ، فقال : وفّقك الله يا أمير المؤمنين وسدّدك عُدّ خلافتك مُذ اليوم .

وحدثني الأثرم عن الأصمعي قال : قال رؤبة بن العجاج : كان أبو مسلم فصيحاً على غلظ وفصح كان في لسانه ، دخلت عليه فأنشدته :

لبيك اذ دعوتني لبيكا أحمد ربّاً ساقني إليكا
أصبح سيفُ الله في يديكا[1]

فأمر لي بكسوة ومال وقال لي : يا رؤبة ، إن لك إلينا عودة وعلينا معوّلا ، والدهر اطرق مستتبّ ، فاذا أتيت خراسان فصر إليّ أغنِك ، فقلت له : إني أريد أن اسألك وأنا أفرقُ منك ، فقال : سَلْ آمنا ، قلت : أرى لساناً عضباً وكلاماً فَصْيحاً، فأين نشأت أيها الأمير؟ قال : بالكوفة والشام ، قلت : بلغني أنك لا ترحم ، قال : كذبوا إني لأرحم ؛ قلت : فما هذا القتل ؟ قال : إنما أقتل من يريد قتلي .

قالوا : ولمّا قتل أبو مسلم كتب المنصور إلى أبي نصر مالك بن الهيثم ، وكان أبو مسلم خلّفَهُ في ثقله بحلوان ، وهو يرى أنه يرجع إلى خراسان ، كتاباً عن لسان أبي مسلم في القدوم بثقله وما خلّف معه ، وختم الكتاب بالخاتم الذي أخذه من إصبع أبي مسلم ، وكانت بينهما علامة فلم يعرفها فيكتب بها ، فامتنع أبو نصر من القدوم ، فكتب المنصور إلى عامله بهمذان يأمره بمنعه من النفوذ ، فأخذه وحبسه في القصر وقال لمن معه : والله

---

١ - ديوان رؤبة ص ١٨١ .

لا يتحرك متحرك إلاّ رميت إليكم برأسه ، ثم حمله إلى المنصور فعفا عنه ، فلما كان يوم الراونديّة قام على الباب فَذَبَّ وأبلى ، فرضي عنه وصارت له مكانة عنده وولاّه الموصل .

حدّثني المدائني قال : قال ابن شبرمة : دخلت على أبي مسلم وفي حجره مصحف وإلى جانبه سيف ، فسلمت عليه ، فقال : يا أبا شبرمة إنما هما أمران : زهدٌ في الدنيا أو سيف يضرب به أهل العناد .

وحدثني عباس بن القاسم أبو الفضل قال : سمعت مشايخنا يذكرون أن أبا مسلم كان رجلاً رَبْعَةً ، وكانت له شعرة وكان أسمر اللون حسن الوجه جيّد الألواح ، قليل اللحم تعلوه صفرة .

وحدثني الحرمازي قال : استشار المنصور إسحاق بن مسلم العقيلي ، أو سلم بن قتيبة ، في أمر أبي مسلم فقال : ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلاّ الله لفسدتا﴾[1] .

حدثني ابراهيم بن عتاب ، حدثني سلام الأبرش قال : أرِق المنصورُ ذات ليلة فقال للربيع : انظر من في الدار من الصحابة فأدخله إلاّ أن يكون عبد الله بن عياش فإنه سائل ملحف ، فنظر فلم يجد في الدار غيره ، فقال : أدخله وتقدم إليه في ترك مسألتي شيئاً ، فضمن له أن لا يسأل ليلته شيئاً ، فلما دخل أقبل يحدّث بأمر السواد وفتوحه وما كان يرتفع من جباياته ، ثم قال : فطول السواد يا أمير المؤمنين كذا وعرضه كذا ولا والله ما لعبدك منه شبر في شبر ، فضحك المنصور وقال : قد أقطعتك غلة ثلاثين ألف درهم من حيث تختار من السواد .

١ ـ سورة الأنبياء ـ الآية : ٢٢ .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب ، عن الربيع قال : جلس المنصور يوماً بالنجف بالكوفة يشرف على الخورنق وظهر الكوفة ، فقال : يا ربيع ابغني رجلاً يحدثني ، فقال : يا أمير المؤمنين بالباب عبد الله بن الربيع الحارثي وأنت تحب حديثه ، فقال : نعم لولا كثرة سؤاله الحوائج ، فقال : أنا أقطع عنك حوائجه في هذا اليوم ، فخرج إليه فاشترى منه مسألته الحوائج بمائتي دينار ، فلما دخل ورأى طيب نفس المنصور جعل يعرّض بالسخاء وينشد شعر حاتم الطائي ، فقال : يا ربيع لا تفِ له فإنه لم يفِ لك ، كفى بالتعريض مسألة . وقال : أنشدني قول كثّير : إذا المال لم يوجب عليك ، فأنشده :

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه صَنيعةٌ تقوى او صديق تخالقه
مَنَعت وبعض المنع حزمٌ وقوةٌ فلم يفتِلذك المالَ إلّا حقائقه[1]

فكان عبد الله بن الربيع يقول : خرجتُ من عند المنصور وأنا أحب الناس إليه .

المدائني ، قال : دخل المنصور المدينة فقال للربيع : ائتني برجل يسامرني ويحدثني ، فأتاه برجل ظريف كان منقطعاً إليه ، فقال له المنصور : من أنت وأين منزلك ؟ قال : ما لي منزل وإني لمغمور النسب لا تبلغني معرفتك . وحدثه فاستظرفه وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فلما انصرف قال للربيع : تنجّز لي صلتي بأبي أنت وأمي ، فقال الربيع : هيهات احتل لنفسك ، فلما ركب المنصور من الغد دعا به فحدثه ثم أنشده قصيدة الأحوص :

---

١ - ديوان كثير ج ٢ ص ٨٣ مع فوارق .

يا بيتَ عاتكة الذي أتعزّل حذر العِدى وبه الفؤاد موكّلُ

حتى انتهى إلى قوله :

وأراك تفعلُ ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل[١]

فقال المنصور : وأبيك لقد اقتضيت فأحسنت ولطفت ، يا ربيع يُعطى جائزته .

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ٢٠٧ ـ ٢١٤ .

باب في أخبار الربيع

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي وهشام بن محمد وغيرهما ، قالوا : كان عيسى بن روضة ـ وهي أَمَة وأبوه نجيح ـ عبد لآل طلحة ، فرآه المنصور بالكوفة في حَلقَةَ المسجد وذلك قبل خلافة أبي العباس ، فقال : لئن ملكنا لنشترينّه فإني لم أرَ ألسن ولا أظرف منه مع عقل كامل ، فلما ولي أبو العباس سأله أن يشتريه فاشتراه بمائة ألف درهم ، فكان حاجب المنصور حتى ظهر منه على تشيعّ فعزله عن حجابته .

حدثني أبو فراس الشامي قال : كان حاجب المنصور عيسى بن روضة مولاه ، ومعه مرزوق أبو الخصيب مولاه ، فلما نحّي ابن روضة أو مات صيّر أبا الخصيب مكانه ، وكان الربيع مع أبي الخصيب يكون فلما مات أبو الخصيب صار الربيع مكانه .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، قال : كان أبو فروة من أراشة من بليّ سبيّاً أخذ من جبل الخليل بالشام فيما يقال ، قال : والثبت أنه كان من سبي عين التمر فأعتقه رجلٌ من بني ضبّة .

وقال الهيثم والمدائني : كان أبو فروة من سبي عين التمر فابتاعه ناعم الأسدي ، ثم ابتاعه منه عثمان بن عفان فأعتقه وجعله يحفر القبور ، فلما وثب الناس بعثمان قال له : يا أثمان ردّ المذالم[1] ، فقال له عثمان : أنت أوّلها ، ابتعتُك من مال الصدقة لتحفر القبور فتركت ذلك . وكنّى أبا فَرْوة لانه أدخل المدينة وعليه فروة .

فحدثت عن أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل ، عن محمد بن صبيح الأبيضي ، قال : كان يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة يتيماً في حجر جدته ، وكانت لجدته جارية نفيسة ، فغشيها يونس يوماً بغير علم جدته فأحبلها فولدت الربيع ، أبا الفضل بن الربيع ، وربيع هو صاحب المنصور ، فجحدته جدته وجحده يونس ، فلما شبَّ باعته جدته فاشتراه زياد بن عبيد الله الحارثي عامل أبي العباس على المدينة وأهداه إلى أبي العباس ، ثم صار إلى المنصور ، فلما استحجبه استمال بني أبي فروة وبرّهم وأرغبهم فشهدوا أنه ابن يونسَ وأنه كان قد أقرّ به .

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي ، قال : كان لهشام بن عمرو مولى قبيصة بن ذؤيب قدر في نفسه وفعالٌ جميل ، وكانت بنو أميّة تجيزهُ وكان سخيّاً مطعاماً للطعام ، فطلب عِينَةً في بعض أيامه وبلغ ذلك عبد الله بن أبي فروة مولى عثمان فقال لقهرمان هشام هذا : بلغني أن أبا عمرو يطلب عينة وعندنا مال فخذ حاجتك منه قرضاً إلى متى شئت واكتمه اسمي ، فأخبر القهرمان هشاماً بذلك ولم يزل يقسم عليه فأخبره بأن ابا فروة صاحبه ،

---

١ ـ أي «يا عثمان المظالم» .

فقال : إنا نحضر أبواب السلطان وغيره فنتساوى وإن كان له عليّ دينٌ ذللتُ له وعلاني فخذ لي من غيره مالاً .

وكان عبدُ الله كاتب مصعب بن الزبير وأنيسهُ ، وكان عبد الله بن أبي فروة سرياً يفعل افعالاً شريفة ويعمّ بمعروفه من انقطع إليه وغيرهم فشهد بعض دور السّلطان ومطرت السّماء فنظر إلى جلسائه فقال : يا غلام هاتِ لنا مماطر ، فأتى بمماطر خزّ بعدتهم وكانوا نحواً من عشرينَ .

قال : وامسك رجل بركابه يوماً ، فقال : ألك حاجة ؟ قال : لك على أبي ألف دينار وقد ترك مالاً ولي إخوة ، فقال : صدقت قد عرفتك ، أعطوه الصك ، والمال لك دون إخوتك .

وحدثني الحسن بن علي الحرمازي عن القاسم بن سهل النوشجاني ، ان زياد بن عبيد الله الحارثي ، خال أبي العباس ، ابتاع الربيع في خمسين غلاماً بالمدينة وهو عامل المنصور عليها وأهداهم إليه فصيّره مع أبي الخصيب ثمّ ضمه إلى ياسر صاحب وضوئه ، وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة . وحج المنصور في تلك السنة فكان ياسر إذا وضع للمنصور الماء عند نزوله لحاجته لم يَرُمْ حتى يفرغ المنصور من الاستنجاء ، واعتلّ ياسر فصيّر الربيع يقوم مقامه في الخدمة ، فكان إذا وضع الماء للمنصور تنحى عنه فإذا تحرك صار إلى الابريق فأخذه ، فقال له : ويحك يا غلام ما أكيسك وأخفك على قلبي ، وسأله عن سنيه فزاد فيها ليتكبر بذلك ، فأعجبه ما رأى منه ، ورأى المنصور في طريقه كتاباً على حائط فقرأه فإذا هو :

وما لي لا أبكي وأنشد فاقتي إذا صدر الرعيانُ عن كل منهل

وفي أسفله : آه ، آه ، آه ، فجعل المنصور يردد نظره في ذلك وينكره ، فقال الربيع : ان أذن لي أمير المؤمنين تكلمتُ ، فقال : تكلم ، فقال : اتبع البيت تأوهاً وحكايةً للبكاء ، فأعجبه ما رأى من فطنته فقال : قاتلك الله ، وأعتقه وصيره مكان ياسر ، ثم رأى تقليده أمر حجابته فكان مع أبي الخصيب فلما مات صيّره مكانه . قال : فدخل بعض الهاشميين على المنصور يوماً فذكر أباه فترحم عليه ، فقال له الربيع : مَهْ ، اتترحمّ على أبيك وأنت تخاطب أمير المؤمنين ؟ فقال : انك لو عرفت حلاوة الآباء ومواقعهم من القلوب لم تنكر عليّ ما قلت . وكان الفضل بن الربيع حاجب الرشيد ، وكان يدعوه العباسي .

وحدثني الحرمازي أو غيره أن المنصور أمر رجلاً ولاه عملاً بالقصد ، فقال : عليك بالقصد والسداد فإنه كان يقال الظمأ الفاضح خيرٌ من الري الفاضح .

حدثني العمري قال : مرَّ المنصور في بعض السكك وكانت مضيقة بالبناء فأمر بهدم ما ضيقت به من ذلك البناء وبلغ الهدم دار أبي دلامة فدخل على المنصور فقال :

يا بن عم النبي زارك زور ... قد دنا هدم داره وبَوارُه
فهو كالماخِض التي اعتادها الطّلق فقرّت وما يقرُّ قرارهُ
كيف يخشى البوار شاعر قوم ... هرمت في مديحهم أشعاره
لكم الأرض كلها فأعيروا ... عبدكم ما احتوى عليه جداره

وحدثني أبو مسعود قال : أمر المنصور الربيع أن يحضر أبا دلامة القصر ويأخذه بصلاة الظهر والعصر والمغرب فأنشأ يقول :

ألم تـريا ان الامـام ألزّني بمسجده والقصر مالي وللقصر
يكلفني الأولى جميعاً وعصرنا فويلي من الأولى وويلي من العصر
لقد كان في أهلي مساجد جمّة ولكنّ هذا الأمر قدر من القدر
ويحبسني عن مجلسٍ استلذّه وأكرمُ فيه بالسماع وبالخمر
وماذا عليه أرشد الله أمره لو ان خطايا العالمين على ظهري

فقال : صدق لعنه الله ، دَعُوه .

قال المدائني : وماتت ابنة للمنصور ، فرأى المنصور ابا دلامة عند قبرها فقال : ما أعددت لهذا المضجع ؟ قال : التي حفر لها يا أمير المؤمنين ، فقال : ويلك الا قلت كما قال الفرزدق حين سأله البصري ورآه عند قبر النوار امرأته عن مثل ما سألتك فقال : شهادة أن لا إله إلا الله مُذ ثمانون سنة ! فقال أبو دلامة : إنّا لا نحب المعاد من الكلام .

وحدثني الحرمازي ، قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشد :

لو كان يقعدُ فوقَ الشمس من كرم قومٌ لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم إلى السماء فأنتم أكرم الناس

فقال المنصور : لقد غدا بك أمر ، قال : نعم ، ولدت لي البارحة ابنة فقلت فيها :

فما وَلَدتكِ مريم أمُّ عيسى ولم يكفلك لقمانُ الحكيم
ولكن قد تضمُّك أمُّ سوء إلى لَبّـاتِهـا وأب لئيـم

فتبسم المنصور وأمر له بأربعة آلاف درهم .

وحدثني أبو العالية البصري قال : أنشد المنصورَ أبو دلامة قولَه :

قالت تبغِّ لنا نخلاً ومزرعة كما لجيراننا نخل ومزدرع
خادع خليفتنا عن ذاك في لطف إن الخليفة للسّؤال ينخدع

فقال لعبد الملك بن حميد : أقطعه ألف جريب نصفها عامر ونصفها غامر .

فقال : بأبي أنت وما الغامر ؟ قال : الذي لا يناله الماء إلاّ بالكلفة والنفقة ، قال : أبو دلامة : فإني قد أقطعت عبد الملك بن حميد بادية بني أسد وصحراء بزيقيا وصحراء أنقُف[1] ، فضحك المنصور وأمر ان تجعل الألف جريب عامرة كلها ، فقال له : جعلني الله يا أمير المؤمنين فداك ايذن لي في تقبيل رجلك ، فقال : لستُ أفعل ، فقال : والله أصلحك الله ما منعت عيالي شيئاً أهون عليهم من هذا .

وحدثني أبو أحمد سلموية بن عمرو النحوي قال : أشار أبو عبد الله الكاتب على المهدي بنزول الرافقة وأراد أن يبعده من المنصور فكتب أبو دلامة :

إن الخليفة والمهدي إذ نأيا فنحن في حيث لا ماء ولا شجرُ
ولا نهارٌ ولا ليل يطيب لنا ولا تضيءُ لنا شمسٌ ولاقمر
الله يعلم أني ناصح لكم فيما أقول وأني حية ذكر
أرى وأسمع ما لا تسمعان به من الحسود وفي في الحاسد الحجر

فرد المنصور المهدي إليه ولم يأذن له في نزول الرافقة .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب ، قال : كان المنصور يقول : ما شيء أجلب لقلب من كلام يصاب به موضعه ، ويروى ذلك أيضاً عن ابن المقفع .

---

١ ـ كذا بالأصل ولعلها تصحيف «القف» أنظرها في معجم البلدان .

حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي قال : قال المنصور لابن عياش المنتوف : لو تركت لحيتك لطالت ، أما ترى عبد الله بن الربيع ما أحسنه ، فقال : ياأمير المؤمنين أنا أحسن منه ، فقال ابن الربيع : اما ترى هذا الشيخ يا أمير المؤمنين ما أكذبه ! فقال ابن عياش : يا أمير المؤمنين مُرْ بجزّ لحيته ويقام إلى جانبي حتى ينظر أيّنا أحسن .

وحدثني عمر بن بكير ، عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عياش ، قال : قال المنصور للأعلم الهمداني : ما مالُك ؟ قال : ما أكف به وجهي ولا أعود بفضله على صديق ، فقال : لقد ألطفت المسألة ، وأمر له بخمسة آلاف درهم .

وحدثني عمر عن الهيثم ، قال : قال المنصور لسفيان : ما أسرع الناس إلى قومك ، فقال :

إن العرانين تلقاها محسّدةً ولن ترى للئام الناس حُسّادا

أمر ابن المقفع

كان عبد الله بن داذبة ، وهو المقفّع ، من أشراف أهل فارس وكان أبوه دخل في عمل للحجاج فخرج عليه مال فضرب به حتى تقفّعت يده ، فغلب على اسمه المقفّع ، واحتال حتى اقترض من صاحب العذاب مالاً ، فكان يُبقي عليه من القتل ، وكان منزله البصرة وكان حريصاً على تأديب عبد الله ابنه يجمع إليه الأدباء ويأخذه بمشاهدة مجالسهم ، وألزمه أبا الغول الأعرابي وأبا الخاموش ، وكانا فصيحين ، فلما مات المقفّع كتب لعامر بن ضبارة ، ثم لما جاءت الدولة صحب بني علي بن عبد الله فكان يكتب لهم كتبهم ، وكان أكثر ميله إلى عيسى بن علي وعلى يده أسلم .

فحدّثني محمد بن قادم النحوي ، عن بعض الهاشميين ، أن عبد الله بن المقفّع دخل على عيسى ليلاً فقال له : إني أريد الاسلام فقد خامر قلبي حبّه وكرهتُ المجوسية ، فقال له : إذا أصبحنا جمعت أخوتي ووجوهاً من وجوه الناس فشهدوا إسلامك . وحضر عشاء عيسى فدعاه ليأكل فامتنع فعزم عليه ، وكان نظيفاً حسن المؤاكلة ، فلم يَدْنُ من الطعام إلاّ على زمزمة

فقيل : اتزمزم وأنت على الاسلام غداً ؟ فقال : إني أكره أن أبيت غداً على غير دين ، فلما أصبح أسلم . وكان يكنى أبا عمرو فتكنى أبا محمد .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب قال : كانت لعبد الله بن المقفّع حال جميلة وغلّة تأتيه من فارس كافية ، وكانت له مروج تقاد إليه منها البراذين والبغال فيهديها ويحمل عليها .

حدثني المدائني ، قال : حضر سلم بن قتيبة ومعن بن زائدة وعبد الله بن المقفّع منزل ابن رامين ، وكان له قيان وهو الذي يقول فيه الشاعر :

إن ابن رامين قد أضحى له بقر عين وليس لنا غير البراذين
لو شئت أعطيته مالاً على قدر يرضى به منك دون الربرب العين

قال : فتغنت الزرقاء أم سعدة جارية ابن رامين صوتاً أعجب سلماً فبعث إلى خازنه فحمل إليه عشرة آلاف درهم فدفَعَها إليها ، ثم غنت إحداهما صوتاً اقترحه معن ، فبعث إلى وكيله فحمل إليه إلف دينار ، وغنت صوتاً لعبد الله بن المقفّع ، وكان قد ابتاع ضيعة بمائة ألف درهم فأمر غلمانه فأتوه بصك الضيعة فدفعه إليها ، فقال معن : لله الفارسي لقد برز علينا . وكان ما بين ابن شبرمة وابن أبي ليلى متباعداً فحاول ابن المقفّع أن يصلح بينهما فأبى ذلك ابن أبي ليلى . وكان ابن شبرمة صديقاً لابن المقفع ، فقال ابن المقفّع :

تنوّقت في الاحسان لم آل جاهداً إلى ابن أبي ليلى فصيّره ذمّا
ووالله ما آسي على فوتِ شكره ولكن سوء الرأي يحدث لي غمّا
وماذا يضرّ المرء من قول قائل إذا هو لم يغش الدناءة والإثما

وحدثني عبد الله بن مالك ، قال : أُخبرت أن عبد الله بن المقفّع كان إذا أقبل يريد منزله يقدم غلام له مجيئه ، فمن كان من غلمانه على غير هيئة

تهيّأ ، ويفتح له أبوابه فيدخل منزله ومعه عدة من إخوانه ، فإذا حضر طعامه وقف قهرمانه فقال : قد هُيّىء في المطبخ كذا وكذا وكذا ، ليعلموا ما يؤتون به من الطعام فيُبقي الرجل نفسه لما يشتهيه ، وكانت أيديهم تغسل بالاشنان قبل الأكل ويقول : ان الأيدي تقع في الحار والبارد ولا يؤمن ان يتحلل في ذلك شيء من وسخها مما لا ينقيه الغسل بالماء وحده .

وحدثني المدائني عن ابن جابان ، قال : كان ابن المقفّع ظريفاً مزّاحاً ذا دُعابة ، فكان بعض من يحسده يقول : إن أدبه أكثر من عقله . وقال ابن المقفّع يوماً لغلامه ، وسمعه يقول : ما أكثر الدُخّان ، فقال : ويلك لا تقل الدُخّان . إنما هو الدُخَان[1] . ثم سمع يوماً كلاماً فقال : ما هذا الذي اسمع ؟ فقال الغلام : هذا كلامُ قومٍ جلوس على الدُكَان[2] ، فضحك وقال : أنا كنت أعجب منك يا بني . وسمع يوماً بعض ولد اسماعيل بن علي يقول : أعطوني برذوني الأسود ، فقال له : لا تقل هذا وقل برذوني الأدهم ، فلما أتي ببرذَوْنِهَ قال : هاتوا طيلساني الأدهم ، فقال له : إنّ عناءً تقويم ما لا يستقيم .

وحدثني المدائني ، قال : كان ابن شبرمة يقول : في الناس رائدان كاذب وصادق ، فأمّا الكاذب منهما فسلم بن قتيبة ، رآني ملزوماً بدين عليّ فسألني عن خبري فأعلمته إياه فمضى ولم يكن عنده ما يرجوه الصديق من صديقه ، وأما الصادق فابن المقفع مرّ بي وأنا على حالي تلك فصفحني وأسرع السير ، فلم ألبث أن جاءني رسوله بحُقٍّ فيه حُليّ وجوهر فقال لي : يقريك

---

١ ـ في هامش الأصل : «يعني بتخفيف الخاء» .

٢ ـ في هامش الأصل : «يعني بتخفيف الكاف» .

أبو محمد السّلام ويقول : إني مررتُ بك ولم أكن على ثقة من أن يتهيأ لي ما بعثت به إليك فيسّرهُ الله وهيأه فاقض من ثمنه دينك واستعن بباقيه على دهرك .

ومرّ ابن المقفع برجل يقاد فقال لخصمائه : إن عزمكم أن تقتلوا هذا الرجل متعمدين لقتله ، ولعله ألا يكون أراد قتل صاحبكم فخذوا مني ديته وهبوه لله ، فلم يزل يطلب إليهم ويزيدهم حتى أخذوا منه ثلاث ديات وأطلقوه .

وحدثت عن عثمان البتي انه ذكر ابن المقفع فقال : اخاؤه عقده .

المدائني قال : عاد ابن المقفع شبيبَ بن شيبة فصادَفه في دهليز فنزل إليه فإنه ليحدثه اذ جاءت جارية لبعضهم وقد ودى[1] بعضهم بغل ابن المقفع فقالت : يا أبا معمر مولاي يقريك السّلام ويقول كيف أصبح اير بغلكم ؟ فقال ابن المقفع : كما ترين عافاك الله ، فتسوّرت الجارية ، وكانت فيه دُعابة .

وكان ابن المقفع يقول : اللسان ترجمان عن القلب فذلله بأسهل اللفظ .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب وغيره ، ان المنصور ولى سفيان بن معاوية البصرة ، وكان بنو علي أمروا ابن المقفع أن يكتب لعبد الله بن علي أماناً حين أجابهم المنصور إلى أيمانه ، فكان فيه : «إنْ عبد الله عبد الله أمير المؤمنين لم يف بما جعل لعبد الله بن علي فقد خلع نفسه والناس في حل وسَعَةٍ

١ ـ ودى البعير : أدلىٰ ليضرب ، أوليبول . القاموس .

من نقض بيعته» ، فأنكر المنصور ذلك وأكبره واستبدّ به غيظُهُ على ابن المقفع ، وكتب إلى سفيان أن اكفني ابن المقفع ، ويقال إنه شافهه بذلك عند توديعه إياه . وكان ابن المقفع يهزأ بسفيان ويستجهله ويقول له : ما تقول في زوج وامرأة ، كم لكل واحد منهما من الميراث ؟ وأنشد يوماً :

له إطِلا[1] ظبي وساقا نعامةٍ

فقال ابن المقفع : ما هذا الطائر الذي تصفه ؟ وسمع سفيان يقول يوماً : ما ندمت على سكوت قط ، فقال له : والله ما تؤجر على الخرس لأنه زين لك ، فكيف تندم على سكوتك ، وكان يلقي عليه مسائل من النحو ثم يقول له : أخطأت ويتضاحك به ، وكان أنف سفيان عظيماً فكان يقول له : السلام عليكما ، كيف أنتما ، يعنيه وانفه . وجرى بينهما كلام فقال له ابن المقفع : يا بن المغتلمة ، والله ما رضيت أمّك برجال العراق ولا اكتفت بهم حتى نكحها رجال الشام ، وكانت أم سفيان ، ميسون بنت المغيرة بن المهلب ، تزوجها القاسم بن عبد الرحمن بن عِضاه الأشعري ، وعيره بهربه من سلم بن قتيبة بالبصرة ، فكان سفيان أشد الناس بغضاً لابن المقفع ، فلما أمره المنصور بما أمره رأى أن الفرصة قد امكنته ، فجاءه ذات يوم في حاجة لعيسى بن علي ، وعيسى بالبصرة وكان قدمها مع سليمان في أمر عبد الله بن علي ، فقتله أشَرّ قتلة .

عبد الله بن مالك الكاتب ، والمدائني ، قالا : وجه عيسى بن علي ابنَ المقفع إلى سفيان في حاجة ، فقال له : أرسل في حاجتك غيري ، فأبى

١ ـ الإطل : الخاصرة . القاموس .

وقال : لن يقدم عليك بمكروه وأنا حاضر ، فلما دخل على سفيان ثم أراد الخروج قال له حاجب سفيان : اصبر ، قال : ويلك ان الصبّر لا يكون الا على بلاء ولكن قل انتظر ، فقال : اجلس في هذه الحجرة فإن للأمير إليك حاجة ، وأومأ إلى حجرة معتزلة ، ثم سجرّ له تنّور وأتاه الحاجب فدَقّ عنقه ، فكأنما قصف قثاءة ، ثم ألقاه في التنور وابن المقفع يقول : يا أعوان الظلمة ، وهذا الثبت . ويقال إنه ألقي في بئر وأطبق عليه حجر ، ويقال بل أدخل حماماً فلم يزل فيه حتى مات .

وقال عباس بن الوليد النرسي : بلغني أن عنقه دقّت بعد أن قطّع عضواً عضواً وألقيت أعضاؤه في النار وهو يراها ويصيح صياحاً شديداً .

وقال بعضهم : ألقي في بئر النورة في الحمام وأطبق عليه الحاجب صخرة فمات .

وكان الهيثم بن درهم مولى بني قيس صديقاً لابن المقفع ، فقال :

إعمد الى بظرِ ميسون فعضّ به   لعل ذلك منه سوف يشفيكا
أردت ذمّة عيسى أن تُدنِّسها   فقد فعلت فرب الناس يجزيكا

قالوا : وشكا بنو علي بن عبد الله ما صنع سفيان بابن المقفع إلى المنصور ، فأمر بحمل سفيان إليه فحمل وشخص معه أهل بيته ، وجاء عيسى بن علي بقوم يشهدون أن ابن المقفع دخل داره فلم يخرج وصرفت دوابه وغلمانه يصرخون وينعونه ، وبآخرين يبُثّون الشهادة أنه قتله ، فقال المنصور : أرأيتكم إن أخرجتُ ابن المقفع اليكم ماذا تقولون ؟ فانكسروا عن

الشهادة وكفّ عيسى عن الطلب بدمه . وقال أبو الغول الأعرابي يرثي عبدَ الله بن المقفع :

وجمتَ وراعكَ الخطبُ الجليلُ ... وأجرى دمعَك الحزنُ الدخيل
كأنّ دموعَ عينك إذ تداعَتْ ... جمانٌ خانـه سلـك سـحيل
عشيّةَ قلتَ للداعي ينـادي ... بعبد الله ويحك ما يقـول
فقال ابـنَ المقفـع فاحتسـبهُ ... فليس إلى لقائكـهُ سـبيلُ
قتيـلُ مَغـالةٍ في السِّـر غدراً ... وقد يغتال ذا العزّ الذليـلُ
لقـد أودى بـه كـرمٌ وبـرّ ... وعـلـم زانَـهُ رأيٌ أصيـل
وجـود يـد بمنفسـها إذا ما ... نفيس المال ضنّ به البخيـل
أبو الأضيـاف يغمرهـم قـراه ... رحيبٌ بالعظيم لـه حَمـول

وقال أيضاً ، ويقال غيره :

لعمري لمن أوفى لجارٍ إجارةً ... لقد غرّ عيسى جارَهُ ابن المقفع
فلو بابن موسى كان شدّ حباله ... لعاذَ بمشبوح الذراع سميدعِ
دعا دعوةً عيسى وهم يسحبونه ... برُمّته سحب الفصيل المقرّعِ
فلو كابن حرب كان أو كابن ظالمٍ ... لما اغتيل عبدُ الله في شرّ مصرعِ
ولو كابن موسى كان أوفى لجاره ... فآب سليماً لحمهُ لم يقطعِ
فإذْ لم تكن مثل السموأل وافياً ... فعش غادراً ما عشتَ في الناس أودَعِ
أهابوا به حتى إذا قيل قد علا ... مع النجم خلّوه وقالوا له قَعِ
وكان إذا ما راح راحت بغاله ... بذي كرم جم الفضائل أروعِ
فعينيّ إن أنزفتها الدمع منكما ... فسُحّا دماً يا مقلتي بأربـعِ

حدثني عبد الله بن صالح عن أبي بكر بن عياش ، قال : كان مما يعد من دهاء المنصور أنه لما وجه جيشه إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بلغه أنه يريد اليمن فأمر كبار قوادره الذين في الجيش أن يكتبوا إلى محمد فيعلموه أنهم إذا صاروا إلى المدينة فواقفوه انقلبوا إليه ، فأقام طمعاً في ذلك ، فلما لقوه كانت إياها .

أمر سديف

حدّثني أحمد بن الحارث عن علي بن صالح قال : كان سديف مولى لآل أبي لهب ، وكان مائلاً إلى المنصور ، فلما استخلف وصله بألف دينار فدفعها إلى محمد بن عبد الله بن الحسن تقوية له ، فلما قتل محمد صار مع أخيه ابراهيم بالبصرة حتى إذا قتل إبراهيم أتى المدينة فاستخفى بها ، فيقال إنه طلب له الأمان من عبد الصمد بن علي وكان واليها فأمنه وأحلفه أن لا يبرح المدينة ، وقدم المنصور المدينة فقيل له : قد رأينا سديف بن ميمون ذاهباً وجائياً ، فبعث في طلبه وأخذ عبدَ الصمد به أشدّ أخذ ووجد عليه في أمره ، فلما أُتي بسديف أمر فجعل في جوالق ثم خِيطَ عليه وضرب بالخشب حتى كسر ، ورمي به في بئر وبه رمق حتى مات .

وقال غير علي بن صالح ، كتب المنصور إلى عبد الصمد في طلب سديف ، فظفر به وحبسه حتى قدم المنصور ، فقال لعبد الصمد : ما فعل سديف ؟ قال : محبوس ، فقال إنه لطويل الحياة ، فقال عبد الصمد لصاحب شرطته : اكفناه ، فقتله .

حدثّني عبد الله بن مالك الكاتب ، قال : كان أحب الطيب إلى المنصور المسك ، فكان يبتاع له منه في كل سنة اثنا عشر ألف مثقال من غلة ضياعه فيستعمل منه في كل يوم عشرين مثقالاً ينفح منها في ثيابه ويغير شيبه ويمسح جسده ، ويصرف باقي المسك فيما يهبه .

أمر ابن هَرْمة

وحدّثني الحسن بن علي الحرمازي، عن أبي مسعود الكوفي، قال: قال المنصور: مارأيت ابن هرمة قط فذكرت أبياته في عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلا هممتُ بأن أسوءَهُ، والأبيات:

إذا قيل من خيرُ من يُرتجى   لمعترٍّ فِهرٍ ومحتاجِها
ومن يعجل الخيل عند اللقاء   بإلجامها قبل إسراجِها
أشارت نساء بني مالك   إليك به قبل أزواجها[1]

فقال عيسى بن علي: ياأمير المؤمنين، فهو الذي يقول فيك:

كريمٌ له وجهان وجهٌ لدى الرضا   أسيل ووجهٌ في الكريهة باسل
له لحظات عن حفافي سريره   إذا كرّها فيها عقاب ونائل
يقاتل عنه الناس مجلود رأيه   على الحق والرأي الجليد مقاتل[2]

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع.
٢ ـ لم يرد البيت الثالث في ديوانه ص ١٦٥ ـ ١٦٩ .

المدائني قال: مدح إبراهيم بن علي بن هرمة المنصور فأعطاه عشرة آلاف درهم فاستقلّها وقال: لي حاجة ياأمير المؤمنين فان قضيتها كنتَ قد كافأتني، قال: وما هي؟ قال: تأذن لي في شرب النبيذ بالمدينة فإن لي هذه الأرواح والماء يضرني، فقال: وكيف أفعل وأنت تعرف كراهة أهل الحجاز للشرب؟ قال: احتل لي ياأمير المؤمنين، فأمر الوالي هناك أن ينظر فمن أتاه بابن هرمة وهو سكران ضربه مائة وضرب ابن هرمة ثمانين، فكان الشرطي يراه سكران بالمدينة فيقول: من يشتري الثمانين بالمائة ويدعه.

وحدثني أبو يحيى المديني مولى الانصار قال: لم يجبه المنصور إلى الاذن في شرب النبيذ ولكن بعض عمال المدينة كان أمر فيه بهذا، وكان ابن هرمة مستهتراً بالنبيذ لايصبر عنه، وهو الذي يقول:

أسألُ الله سكرةً قبل موتي وصياحَ الصبيانِ ياسكرانُ

المدائني قال: وَعَظ سوّارٌ المنصور فوصله فأبى قبول صلته، فقيل له في ذلك فقال: كرهت أن أكون مثل سعيد بن الفضل وعظ هشاماً ثم سأله فأعطاه، فقال هشام: إلى هذا أُجري الحديث!.

أمر أبي داود خالد بن إبراهيم

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي، وأخبرنا المدائني، قالا: استخلف أبو مسلم خالد بن ابراهيم أبا داود الذّهلي حين سار للحج على خراسان، فلما توفي أبو العباس بايع أبو داود للمنصور فكان متخوفاً من أبي مسلم إذ فعل ذلك بغير أمره فلم يكتب بالبيعة إلى أبي مسلم إلا بعد حين، فلما قتل أبو مسلم أتاه البريد بخبر مقتله فأنكر قتله وذكر المنصور ذكراً قبيحاً ونسبه إلى الغدر، فكتب المنصور إليه يأمره بغزو ما وراء النهر، ثم كتب إليه في القدوم عليه ووجّه بكتابه إليه رسولاً مفرداً، فقال: مايقدمني عليه إلا لمسألتي عن أمور أبي مسلم وأمواله ثم قتلي بعد ذلك، ثم قام يفرقع أصابعه ويرقص ويقول: ياأبا جعفر غُرَّ غيري، والرسول يراه. فرجع إلى المنصور فأخبره بما عاين، ولم يجب المنصور على كتابه. فكتب المنصور إلى أبي عصام عبد الرحمن بن سليم مولى عبد الله بن عامر بن كريز: «إن قتلتَ أبا داود فأنت أمير خراسان»، فخرج أبو عصام إلى كُشماهن[1] وقد دسّ إلى أهلها من

١ ـ قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف البرية، آخر عمل مرو لمن يريد قصد آمل جيحون. معجم البلدان.

هيّجهم ليخرج أبو داود فيفتك به، وسمع أبو داود الضجة فصعد لينظر فمشى على جناح في داره وكان ضعيف البصر فسقط على وتد، فقالت له امرأته: من ذا؟ قال: أنا أبو داود قد نزل بي مايريد أبو جعفر، واحتمل فمات ودفن وذلك في سنة تسع وثلاثين ومائة.

وكتب أبو عصام بموته إلى المنصور واجتمع الناس إلى أبي عصام فبايعوه للمنصور، ثم لم يلبث إلا قليلا حتى قدم عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي خراسان والياً عليها على أربع من دواب البريد[1].

---

١ - في هامش الأصل: بلغ العرض بالأصل الثالث ولله الحمد كله.

أمر عبد الجبّار بن عبد الرحمن الأزدي

حدثني أبو مسعود الكوفي، وغيره، قالوا: دعا المنصور عبد الجبار فقال له: قد وليتك خراسان فأطع الله في معصيتي، ولاتطِعني في معصية الله، ولِنْ للمُحسن، وكن خشناً على المسيء. وكان عبد الجبار على شرط أبي العباس، ثم على شرط المنصور إلى أن ولاه خراسان، ثم ولى الشرطة بعده عمر بن عبد الرحمن أخاه، ثم عزله وولى موسى بن كعب التميمي حتى مات، ثم ولى بعده المسيب بن زهير الضبي. فكان المسيب يسعى في فساد حال عبد الجبار عند المنصور ويوحشه منه ويغريه به، وكتب إلى عبد الجبار إن المنصور قال ذات يوم: «من ولّي خراسان، فأصلح ثغورها، وأحسن السيرة في أهلها ورزق جنودها، وكان في بيت ماله بعد ذلك عشرة آلاف ألف فهو الكامل»، فكتب إلى المنصور يعلمه أن عنده بعد سدّ الثغور واعطاء المقاتلة عشرة آلاف ألف، فكتب إليه المنصور في حملها، ولم تكن عنده وإنما كَذَبه، وألح المنصور فيها، فكتب يسأل الإذن له في إشخاص عياله إليه فلم يأذن له في ذلك، وكان يبلغه فسادُ قلبه عليه بما يكيده به المسيب عنده ويقول له فيه، فخلع

وقال: إن أبا جعفر دعاني إلى عبادته وأسرف في القول، فأشخص المنصور إليه المهدي ومعه خازم بن خزيمة فقاتله خازم فظفر به.

المدائني قال: لما مات أبو داود خالد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن قَعْبَل بن ثابت بن سالم بن حذلم بن الحارث بن عمرو بن سالم بن الحارث بن عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة، كتب المنصور إلى أبي عصام عبد الرحمن بن سليم بولاية خراسان، ثم عزله بعد أربعين يوماً، واستعمل عبد الجبار بن عبد الرحمن بن زيد بن فيل بن قيس بن زيد بن جابر بن رافد بن سَبالة بن عامر بن عمرو بن كعب بن الحارث ـ وهو الغطريف الأصغر ـ بن عبد الله بن الغطريف الأكبر ـ واسمه عامر ـ بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ـ واسمه ذر ـ بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان عبد الجبار يتشيّع فسار سيرة حسنة ونظر في أمر الخراج وقوّى الدعوة، ثم كتب إلى المنصور يسأله الإذن في حمل عياله فلم يأذن له في ذلك فدسّ إلى قوم من عمال أبي داود وغيرهم ممن كان مخالصاً للعباسيين فقتلهم. وصار إليه علْجٌ ينظر في النجوم، فقال له: إنك ستغلب على خراسان وغيرها وتنال ملكاً عظيماً، فكتب رجل من عيون المنصور ونصحائه إلى المنصور إنه قد نغل الأديم، فقال لأبي أيوب المورياني، كاتبه ووزيره: ماتراه يقول؟ قال: يخبرك أن عبد الجبار على الخلع، فقال: ماترى؟ قال: تكتب إليه أنك تريد الغزو برجال خراسان ووجوه أهلها وتأمره بتوجيههم إليك، ففعل. فكتب إليه عبد الجبار: إن الترك قد جاشت وخراسان محتاجة إلى رجالها. فكتب المنصور

إليه: إني بخراسان أعنى منيّ بغيرها فإن أحببت أن يوجه إليك أمير المؤمنين رجالاً ممّن قبله فعل، وإنما أراد أن يوجه إليه من الجند من يلطف لأخذه. فكتب: إن خراسان مجدبة فليتها تقوم بمن فيها من الرجال وتحملهم، وأظهر الخلع وقال: ان أبا جعفر دعاني إلى عبادته، وشتمه، وحضّ على طاعة آل أبي طالب ووجه إلى ابراهيم بن عبد الله بن حسن، وهو مُستخف يسأله أن يشخص إليه فلم يفعل، فنصب رجلاً قال إنه إبراهيم بن عبد الله، وكان اسم الرجل يزيد. فولى المنصور المهدي خراسان ووجه معه خازم بن خزيمة، فأقام المهدي بالري ووجه خازماً إلى خراسان.

وخرج على عبد الجبار، الحسن بن حمران مولى مطر بن وساج أخي بكير بن وساج، ودعا إلى المنصور وحضّ على التمسك بطاعته والوفاء ببيعته، ثم إنه غيّر وبدّل فبعث إليه خازم بن خزيمة مَنْ حاربه فقتله وأتى خازماً برأسه.

وخرج على عبد الجبار، الأشعث أبو جابر بن الأشعث الطائي باشتيخن[1] ثم أتى بخارى فقتل عامل عبد الجبار عليها واصطفى أموال من قتل.

وكان عبد الجبار حبس حرب بن زياد الطالقاني من عجمها، ثم خلاه، ووجه إلى بلخ وكتب إلى عاملها في حبسه فحبسه فهرب، ودعا إلى خلاف عبد الجبار وأتى بداعية الطالبيين فقتله بالطالقان.

ولبس عبد الجبار البياض ومعه يزيد المدّعي أنه إبراهيم بن عبد الله، وكان مولى لبجيلة وعمّمه بعمامة سوداء، فخطب المدّعي في يوم جمعة، ودعا

---

١ ـ من قرى صغد سمرقند، وبينها وبين سمرقند سبعة فراسخ. معجم البلدان.

على المنصور، وخطب أيضاً يوم السبت، وذكر قتل المنصور من قتل من آل أبي طالب، وبكى فأبكى الناس ممن كان معه.

وناهض عبد الجبار حربُ بن زياد، فقُتل المدعي، وهزم عبد الجبار في عُصيبة بقيت معه، وكان له دليل فغدر وفرّ عنه، ثم تفرق من معه إلا خمسة نفر ووقع في مقطنة ومعه كاتبه، فطلب وأتاه عبد الغفار بن صالح الطالقاني فقال: ألقِ سيفك، فألقاه، ثم أتاه الجنيد بن خالد بن هريم فحمله على برذون تركي وقد شدّت يده إلى عنقه وهو عريان قد مزق الناس ثيابه وأرادوا قتله وتسرّعوا إليه، فمنعهم حرب من ذلك وأنفذه إلى خازم وهو بسرخس، فحمله خازم إلى المهدي مع نضلة بن نعيم بن حازم، والمهدي بنيسابور، وكان المنجم معه وعدّة غيره، فأمر المهدي بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم، وحمل عبد الجبار إلى المنصور، ورجع إلى الري. فلما صار عبد الجبار إلى المنصور قال له: استبقني ياأمير المؤمنين ولا تذهبن زلتي بحسن بلائي وحرمتي، وماكان مني في هذه الدولة والدعوة، فقال: يابن اللخناء قتلتَ نظراء قحطبة وطبخت أولياءنا طبخاً، وكانت له قدر عظيمة كان أبو مسلم أصابها فكان يغلي فيها الدهن ثم يقيم الرجل من العباسية فيه حتى يتفسّخ، ثم أمر به أن تقطع يده ورجله، فقال: ياأمير المؤمنين قتلةً كريمةً، فقال: يابن اللخناء تركتها بخراسان، فقتل وصلب بالكوفة عند باع المختار. وكان خلع عبد الجبار في سنة إحدى وأربعين ومائة.

وقد قال قوم ان حرب بن زياد بعث بعبد الجبار إلى المهدي، والأول أثبت.

وحدثني المدائني قال: لما خلع عبد الجبّار كتب إلى محمد بن عبد الله بن حسن يسأله أن يتوجه إليه، أو يوجه بعض ولده، وذلك قبل خروجه وظهوره، فأراد الشخوص إليه بنفسه في أربعين من أهل بيته، فلما بلغته هزيمته رجع إلى المدينة فخرج في سنة خمس وأربعين.

قالوا: ولما قتل عبد الجبار أمر المنصور بتسيير عياله إلى دهلك[1] فسبتهم الحبشة فاشتراهم قومٌ من التجّار وأرادوا ادخالهم المدينة، فمنعهم عبد الصمد بن علي من ذلك، وكان عاملاً للمنصور عليها، وكتب إلى المنصور يعلمه خبرهم، فكتب إليه أن اشترهم منهم، فاشتراهم وبعث بهم إلى العراق. وكان عبد العزيز أخو عبد الجبار والياً على البصرة، فلما خلع أخوه وجه المنصور أبا الخصيب مولاه فقدم به، وولى المنصور سوّار بن عبد الله بن قدامة العنبري البصرة مكانه، ثم ولاها هزارمرد، وهو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة، وجعل سوّاراً على الصلاة والقضاء.

قال المدائني: وكانت بنت عبد الجبار عند روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب.

وقال أبو الحسن المدائني: كان يطعن في نسب عبد الجبار وكان شيعياً، وكان أخوه عبد العزيز قاصّاً يرى الاعتزال، وكان له أخ يرى رأي الجماعة، فقتلوا جميعاً.

---

١ ـ دهلك: جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة. معجم البلدان.

قالوا: قدم حرب بن زياد على المنصور في وجوه أهل خراسان فردّه المنصور إلى خراسان والياً، فهمّ بالخلع وأطلق لسانه بقول سيء، فبلغ ذلك المنصور، فكتب إلى وجوه أهل خراسان في أمره، فقتل ببلخ.

أمر عمرو بن عبيد في خلافة المنصور

حدثني عبد الله بن صالح ومسلم بن عبد الله بن مالك الكاتب وغيرهما فسقت حديثهم، قالوا: أحرم المنصور في سنة أربعين ومائة من الحيرة، وحج بالناس، ثم أتى المدينة ومضى إلى بيت المقدس زائراً له، ثم انصرف منه في سنة إحدى وأربعين ومائة إلى الرقة، فأتي بمنصور بن جعونة العامري فقتله، ثم قدم إلى المدينة الهاشمية بالكوفة. وتوجه في سنة اثنتين وأربعين ومائة إلى البصرة فولى عمر بن حفص السند، ودعا بعمرو بن عبيد مولى بني تميم فوصله فلم يقبل صلته، فقال له: بلغني أن محمد بن عبد الله بن حسن كتب إليك يدعوك إلى طاعته فأجبته، وكان محمد مستخفياً يبثّ دعاته، فقال: ياأمير المؤمنين والله لو قلدتني الأمة اختيار إمام لها ماوجدته، فكيف أجيب محمداً وأبايعه، لقد كتب إلي فما أجبتُه، فقال: صدقت ياأبا عثمان وبررت، فلما ولّى قال: من مثلك ياعمرو.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه قال: قدم المهدي من خراسان فبنى بامرأته ريطة بنت أبي العباس بالحيرة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين

ومائة، وحج مع المنصور في هذه السنة، فأُخبر المنصور أن عمرو بن عبيد حاج فدعاه واستدناه وأكرمه وسأله أن يعظه فوعظه، وقضى عمرو بن عبيد حجته وانصرف فمات في طريقه في آخر السّنة، فبلغ المنصور موتُه فقال: يرحم الله عمراً هيهات أن يُرى مثل عمرو.

وحدثني محمد بن سعد، عن الهيثم بن عدي، قال: لما بايع المنصور للمهدي كتب إلى عمرو بن عبيد كتاباً لطيفا يستزيرُه فيه، وكتب إلى عامله على البصرة في إشخاصه مكرّماً، فلما صار إليه بالكوفة ودخل عليه استدناه وقال: كيف كنت بعدي أبا عثمان؟ فقال: أحمد الله وأذُمّ عملي، فتغرغرت عينا المنصور ثم قال له: عظني ياأبا عثمان، فقال: ياأمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها، وأعلم أن الأمر الذي صار إليك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، واعلم أنك لست أول خليفة تموت، فاحذر ياأمير المؤمنين ليلةً صبيحتها القيامة، ليلة تتمخض بيوم الفزع الاكبر، إن الله يقول: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعـاد * إرم ذات العماد﴾، إلى قوله: ﴿لبالمرصاد﴾[1]، ثم قال: هذا تخويف لمن سلك جادتهم واتبع آثارهم، فبكى المنصور ونزل عن فرشه، ثم سكن، فقال: ياأبا عثمان ناولني هذه الدواة، فأبى أن يناوله، فقال: أقسمت لتفعلنّ، فقال: والله لاناولتك إياها، فقال له المهدي، وكان حاضراً: يحلف عليك أمير المؤمنين فتراده باليمين؟ فقال: إن أمير المؤمنين أقدر على الكفارة مني، ثم قال: من هذا الفتى ياأمير المؤمنين؟ قال: هذا ابن أخيك، هذا محمّد المهدي ولي عهد

١ ـ سورة الفجر ـ الآيات: ٦ ـ ١٤ .

المسلمين، فقال: أرى شباباً وجمالاً ونشاطاً، وقد رشحته لأمر يصير إليه إن صار، وأنت عنه في شغل، وقد وطأت له الدنيا، وأنت منتقل عنها إلى الآخرة فهناك الحساب، إن الله قد جعلك فوق كلّ أحد فلا ترضى أن يكون فوقك في طاعته أحَدٌ. ثم سكت عمرو، فقال له المنصور: سلني حوائجك، فقال: حاجتي ان لاتبعث إليّ حتى أجيئك ولاتعطني شيئاً حتى أسألَك، ثم نفض ثوبه وقام، فابتعه المنصور بصرهُ وقال: شُغِل والله الرجل بما هو فيه عما نحن فيه، وقال:

كلكم طالب صيد وهو ذو مشي رُوَيْدِ
غير عمرو بن عبيد

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب، عن الفضل بن الربيع عن أبيه، قال: دخل عمرو بن عبيد على المنصور، وعليه طيلسان مخرق، فأخذ المنصور طيلساناًكان عليه طبرياً فألقاه فوق ظهره، وقال له: عظني، فوعظه حتى بكى، ثم قال له: سلني حوائجك، قال: أولها أن تأمر برفع الطيْلسان عني، وأن لاتعطني شيئاً حتى أسألك، ولاتبعث إليّ حتى أجيئك، فإنه إن جمعني وإياك بلد صرت إليك فيه، ثم مضى.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثني أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثني عبد السلام بن حرب ، قال : قدم أبو جعفر البصرة فنزل عند الجسر الأكبر ، وبعث إلى عمرو بن عبيد فجاءه فأمر له بمال فقال : والله لا أقبله ، فقال المنصور : لتقبلنه ، فقال له المهدي يوهمه ، إن أمير المؤمنين قد حلف لتقبلنه ، فقال عمرو : أمير المؤمنين أقوى على الكفارة عن يمينه من عمك ، قال له المنصور : يا أبا عثمان ، أعلمت أني قد جعلت محمّداً وليّ

عهد المسلمين ؟ فقال : يأتيه الأمر يوم يأتيه وأنت مشغول عنه ، قال : يا أبا عثمان ذكِّرنا ، قال : أذكرك ليلة تمخّض عن صبيحة يوم القيامة .

حدثني علي بن المأمون قال : حُدّث المأمون أمير المؤمنين بأن المنصور كان يكني عمرو بن عبيد ، فقيل له : ان أمير المؤمنين يكنّيك ، فقال : ما ذكرتُ ذلك إلا دخلتني له غضاضة ، فقال المأمون : هذا باطل كان عمرو أعقل وأحلم من أن يقول هذا القول .

حدثني أبو محمد التوزي النحوي عن أبي زيد الأنصاري ، قال : مشى شبيب بن شيبة ونفرٌ معه إلى عمرو بن عبيد فقالوا له : يا أبا عثمان إن أمير المؤمنين المنصور قد قدم ولا نراه قدم إلّا لمكانك لينظر فيما بلغه من كتاب محمد إليك فتنحّ عنه ، فأطرق ثم قال : لا يكون والله ذاك حتى أقوم بما يجب لله عليّ استحياني أو قتلني . قال أبو زيد : فقال المنصور لعمرو : أبايعت محمد بن عبد الله ؟ فقال : لو قلدتني الأمّة أن اختار لها رجلاً ما وجدته ، فكيف أبايع محمداً ؟! .

قال : وكتب أبو جعفر إلى عمرو كتاباً عن لسان محمد ، فلما قرأه خرقه ، فطلب الرسول جواب الكتاب فلم يجبه ، فألح الرسول عليه فقال : دعونا نشرب من الماء البارد ونتنقل في هذا الظل الى أن يأتي الموت ، فقال أبو جعفر : هذا ثغر قد أمنّاه .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب ، عن الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، قال : دخل عمرو بن عبيد على المنصور ، ودخل رجل حسن الأدب ، كأنما لم يزل مع الملوك ، فأجلسه المنصور إلى جانبه فأبى إلّا أن يجلس بين يديه ، ثم قال له : إن الله واقفك وسائلك عن مثاقيل الذر من

الخير والشر ، وأن أمّة محمّد خصماؤك يوم القيامة وإنك لا ترضى لنفسك إلا بان يعدل عليك فإن الله لا يرضى منك إلّا بالعدل على رعيتك يا أمير المؤمنين ، إنّ على بابك نيراناً تأجّج من الجور ، فبكى المنصور ونشج ، فقال سليمان بن مجالد : يا عمرو قد شققتَ على أمير المؤمنين ، فقال : ويحك إنّ أمير المؤمنين ميّت ومُخلٍّ ما في يديه من هذه الدنيا ومرتهن بعمله ، وأنت غداً جيفة بالعراء لا تغني عنه شيئاً ، ولقرب هذا الجدار منه خير له من قربك ؛ يا أمير المؤمنين ، إن هؤلاء اتخذوك سلماً إلى درك ارادتهم وصفاء دنياهم لهم فكلهم يوقد عليك ؛ قال : فكيف أصنع يا أبا عثمان ، ادعُ لي أصحابك استعملهم ، قال : ادعهم أنت واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك ، فإن أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك لأنهم إن باينوهم ولم يعملوا باهوائهم أرشوك بهم وحملوك عليهم ، والله لئن رأوك عُمّالك لا تقبل منهم إلا العدل ليتقربنّ إليك به من لا نيّة له فيه .

حدثني التوزي عن أبي زيد قال : قدم المنصور البصرة قبل الخلافة فقال عمرو بن عبيد لبحر بن كثير السقاء : قد قدم هذا الرجل وكان زوّاراً إذا قدم بلدنا فامض بنا إليه ، فأتياه فلما وقفا ببابه نادى عمرو : يا جارية ، فأجابته جارية ، فقال : قولي لأبي جعفر : أبو الفضل وأبو عثمان ، فأذن لهما فدخلا عليه فإذا هو على مصلّى مخلق دارس ، وإذا بين يديه طبق عليه قصعة فيها مرق لا لحم فيه ، فقال : يا جارية أعندكِ شيء تزيدينه ؟ قالت : لا ، قال : أفعندكِ درهم نشتري به فاكهة لأبي عثمان ؟ قالت : لا ، قال :

ارفعي ، ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾[١] .

وحدثني أبو محمد التوزي عن أبي عبيدة ، قال : قال المنصور لعمرو بن عبيد : أكاتبت عبد الله بن حسن بن حسن ؟ فقال : جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه ، فأجبتُه بخلاف ما أحبّ ، وأنت تعرف رأيي في الخروج ، قال : أفتُبرىء صدري بيمين ؟ قال : وما تصنع باليمين ، لئن كذبتُ تقيّة لاستجيزنّ أن أحلف لك تقية .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب ، عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : دعا أمير المؤمنين المنصور بعمرو بن عبيد ، فلما استأذنتُ له وكانت عليه جبّةُ وَشْي ، دعا بمبطنة مروية فلبسها ، ثم نزل عن فرشه ، فقلت : يا نفس ما كنت أظن أبا جعفر يداري أحداً .

حدثني المدائني قال : كان أمير المؤمنين المنصور يقول : الندم على السكوت خير من الندم على الكلام .

---

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ١٢٩ .

أمر الراوندية ومعن بن زائدة

حدثني أبو مسعود والعمري عن الهيثم وغيره ، أن قوماً من أصحاب أبي مسلم من أهل خراسان كانوا يقولون بتناسخ الأرواح ، فيزعمون أن روح آدم عليه السلام في عثمان بن نهيك ، ويقولون إن أمير المؤمنين يرزقنا ويطعمنا ويسقينا فهو ربنا ، وأنه لو شاء أن يسيّر الجبال لسارت ، ولو أمرنا أن نستدبر القبلة لاستدبرناها ، وكانوا يطوفون حول قصر المنصور فيقولون قولاً عظيماً ، فحبس المنصور منهم نحواً من مائتين من رؤسائهم ، فغضب أصحابهم ، وكان المنصور أمر أن لا يجتمعوا ، فاتخذوا نعشاً وأظهروا أن فيه امرأة ميتة ، وملأوه سلاحاً ، ثم حملوه ومروا إلى باب السجن فأخرجوا أصحابهم وهم مائتان، وكانوا أربعمائة فتتاموا ستمائة ، وقصدوا القصر فتنادى الناس وأُغلقت أبواب المدينة .

وخرج المنصور يمشي من القصر ولم يكن عنده دابّة ، فمن ذلك اليوم ارتبط فرساً في القصر يكون معه ، فلما برز أمير المؤمنين أُتي بدابة فركبها وقصد قصدهم ، فجاء معن بن زائدة الشيباني حتى دنا منه ثم ترجّل وأخذ

أسافل ثيابه فجعلها في منطقته ، وأخذ بلجام دابة أمير المؤمنين ، وقال : أنشدك الله إلاّ رجعت فإنّك تُكفى إن شاء الله ، ونودي في أهل السوق والعامة فرموهم بالحجارة وقاتلوهم وفتح باب المدينة فدخل الناس ، وجاء خازم على فرس محذوف فحمل عليهم فكشفهم ، وقاتل معن يومئذ قتالاً لم يُرَ مثله ، فكان المنصور يقول : كنتُ اسمع انّ رجلاً يقاتل ألفاً فلم أصدق حتى رأيت معناً ، فقتلوا عن آخرهم وهم ستمائة . ورُمي عثمان بن نهيك بنشابة مرض منها فمات ، فصار أبو العباس الطوسي على الحرس مكانه .

وكان أمرُ الراوندية بالمدينة الهاشمية بالكوفة في سنة تسع وثلاثين ومائة أو في أول سنة أربعين ، وجاء الربيع فأخذ بلجام دابة المنصور فقال له معن : تنحّ يا بني فليس هذا من أيامك ، ولما صار المنصور إلى القصر دعا بالعشاء وأمسك يده حتى أتي بمعن ، وأمر بعض أهل بيته فتزحزح له حتى جلس مكانه ، فلما فرغوا من العشاء قال المنصور لعيسى بن علي : يا أبا العباس أسمعتَ بأسَد الرجال ، هو والله معن بن زائدة ، فقال معن : والله ما قوّي مُنّتي إلاّ ما رأيتُ من شجاعتك ولقد وردتُ وَجِلَ القلب حتى أبصرتك ، فقال : أخبرهم عني بما رأيت .

وحدثني أبو الحسن المدائني قال : قال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : يا أبا الوليد لقد كبُرتْ سنّك ، قال : في طاعتك ، قال : وإنّ فيك لبقية ، قال : هي لك ، قال : وإنك لتتجلّدُ ، قال : على أعدائك . قال : وقال له : أني لأعدّك لأمر جسيم ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّ الله قد أعدّ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطةً بطاعتك ، وسيفاً مشحوذاً على أعدائك ، قال : ويقال إن هذا قول جرير بن يزيد بن خالد .

وحدثني العمري ، حدثني الهيثم ، قال : كان معن مع ابن هبيرة فاستأمن هو وطارق بن قدامة ، فلما قتل ابن هبيرة كان معن بالكوفة قد وجّه ببشارة فتح واسط وصلح ابن هبيرةَ ، فأقام في أهله فنجا وقتل طارق ، ثم ظهر من مناصحة معن ما قدّم به على جميع القواد ، فولاه المنصور مصر ، وكان كاتبه محمد بن عبد الله بن المقفع ، وكان جواداً حلواً ظريفاً أتاه رجلٌ بكتاب مزور لم يجفّ طينه ، فقرأه ثم كلم فيه معناً فولاه ولاية سنيّة أفاد فيها مالاً ، فلما انصرف أتى محمداً فقال له : أني أريد العراق ، فأمر له بألف دينار ، وقال له : إن كان من رأيك العودة إلينا فافعل ، وإن كتب لك صديقنا إلينا كتاباً فانتظر أن يجف طينهُ ، ثم قال له : إن حسن ظنك والله بنا أعظم الوسائل لك عندنا ، ومات محمد بمصر . وولي معن اليمن فاعطى عطايا لم يعط مثلها أحد ، وقدم عليه أعرابي من بكر بن وائل فأنشده :

أصلحكَ الله قلَّ ما بِيدي فما أطيق العيال إذ كـثروا
ألَـحَّ دهـرٌ انحى بكلكلهِ فـأرسلوني اليـك وانتـظروا

فقال : لا جَرمَ ، لأعجّلنّ أوبتك إليهم ، يا غلام أعطه ألف دينار وناقتي الفلانية ، ومدحه رجل فقال :

أنت امـرؤٌ همّـك المعـالي وفيضُ معـروفـك الـربيعُ
وأنـت من وائـل صـميمٌ كـالقلبِ تحنو لـه الضلوعُ
في كـل يوم تـزيـد خـيرا يُشيعُـهُ عنـك مـا يشيعُ

فقال : لأصلنّك صلة شائعة الذكر ، وأمر له بمائة ألف درهم .

وحدثني العمري عن غيرِ الهيثم ، قال : كان معن يقول : لم أرَ كالشعر ، لا يواتيني جيّدهُ ولا يدعني رديّهُ .

قال : ونظر معن الى الخطاب بن يزيد يخطر في دار المنصور ، وكان قد وُجّه إلى بعض الشُراة فهرب منهزماً ، فقال :

هلاَّ مشيتَ كذا غداةَ لقيتَهم وصبرتَ عند الموت يا خطابُ
نجّاك خوّار العنان كأنه فوت الرماح إذا استحث عُقاب

وحدثني الحرمازي عن أبي اليقظان ، قال : ولد لمعنٍ : زرارةُ - وكان خليفته على اليمن - والوليد وشراحيل وجسّاس ويزيد - ويكنى أبا داود - ومزيد ، وغيرهم فقال معن :

لا تسألنّ أبا داود شبعته عوّل على مزيدٍ في الخبز واللبن
وفي النبيذ اذا ما جزرة نحرت فإنه بقرى الأضياف مرتهن

وحدثني محمد بن حفص الكاتب عن خالد بن يزيد ، أن معن بن زائدة قال : يحتاج الخطيب إلى تخليص المعاني وتلخيصها مع قلة حصر وجرأة على البشر ، وقال : الصمتُ عن الكلام في موضعه عيٌّ يضع الشريف ويُهجّنُهُ .

قال : وكان معن في دار المنصور فسقط حائط أو حدث أمرٌ تقوّض الناس له ، وكان يحدّث ورجل يستمع حديثه لم يقم عنه مع من قام ، فلما انصرف إلى منزله وكّل بالرجل من أتاه به فأمر له بكسوة وألف دينار ، وقال له : هذا لحسن استماعك حديثي وإيناسك إياي .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، قال : بعث معن إلى ابن عباس : بعني دينك بألف دينار ، فبعث إليه : قد بعتك إياه إلا شهادة أن لا إله إلا الله ، ولو كانت من شأنك لساومتك فيها . وولي معن سجستان للمنصور ، فاندسّ له قوم من الخوارج مع قوم من الصنّاع كانوا يعملون في

داره ففتكوا به وهو يحتجم ، فقتلهم يزيد بن مزيد فلم يفلت منهم أحدٌ ، فرثاه الشعراء ، وفيه يقول حسين بن مطير الأسدي في قصيدة له :

ألا بكٍّ معنا ثم قُل لدياره سقتكِ الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبرَ معنٍ كنتَ أول بقعة من الأرض خُطّت للمكارم مضجعاً
ويا قبر معنٍ حلّك الجودُ كله وما ضمّ قبرٌ قبلكَ الجودَ اجمعا
ولما مضى معن مضى الجودُ كله وأصبح عرنين المكارم اجدعا
فتىً عِيشَ في معروفه بعد موتهِ كما عاد بعد السيل مجراهُ مرتعا
وقد كان معنٌ في المواقفِ غُرّةً لآل نزار سامِيَ الطرفِ أروعا

ومدح شاعرٌ الوليدَ بن معن ، فقال :

تعزَّ أبا العباس بالصبر لا يكن نصيبك من معنِ الندى ان تصعضعا
فما مات من كنتَ ابنَه لا ولا الذي له مثلُ ما أسدى أبوك وما سعى
وما كان مسبوقاً بوتر ولم يدع إلى الغرض الأقصى من المجد منزعا

وحدّثني العمري قال : كان بعض الأعراب يأتي معناً فيعطيه ، ويغيب عنه فيبعث إليه بصلته ، فأبطأت عليه صلته مرةً فقدم من البادية فألفاه قد جاء نعيه ، وأتى ولده فلم يجد عندهم ما أحب فوقف على مجلسٍ هم فيه مجتمعون فقال : لله درك يا معن ، رحمك الله أبا الوليد ، إن كنتَ لمنتهى فخر عشيرتك وبدْع الكرام في أهل دهرك ، فلو كنتَ إذ مُتَّ أبقيتَ لنا خلفاً منك سليّتنا عنك ببعضك فكيف العزاء وقد ذهب كلّك ، إنّا لله وإنا إليه راجعون ، وانشأ يقول :

يا معنُ كنت بداءة الكرم وغنى المُقلِّ وطاردَ العدم
فسطا عليك الدهرُ مقتدراً بصوائب من صرفه غُشُم

وأراك لم تـترك لنا خلفـاً يأوي إلى فضل ولا كـرم
فعليك يا معن السلام فما أبقيت معتصَـمـاً لمعـتصـم

وأنشدني الفضل بن زياد من ولده لبعضهم :

كانت سحائب معن الخير تمطرنا فقد تولى فلا معنٌ ولا مطرُ
مَن للجفانِ إذا عزّ القِرى رذما وللطعان إذا ما استشعر الحصَرُ

وبلغني أن رجلاً مدح مَعْناً فقال :

أتيتُكَ اذ لم يبقَ غيرك جابر ولا واهبٌ يعطي اللّهى والرغائبا

فقال معنٌ : يا أخا بني أسد ليس هذا بمديح انما المديح قول أخي بني تميم لمسمع بن مالك حين قال :

قَلَّدَتْـه عـرى الأمـور نـزار قبل ان يَهلِك السُّراةُ البحورُ

باب في تلطيف الحرارة

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب قال : أصاب عيسى بن علي في بعض الليالي حر شديد فبُلّ له إزار فنام فيه ، فلما أصبح قال له المنصور : يا عم كيف كنت في ليلتك من هذا الحر ؟ فقال : بللت إزاراً ونمت فيه فكنتُ بخير ونمتُ أطيب نوم ، فقال : وأنا والله أمرت فبُلّ لي ثوبٌ فنمتُ فيه ثم لم أزل أرَوِّح . ثم ان المنصور فكّر فأمر فأتي بكرابيس غلاظٍ ثخانٍ فبُلّت وجعلت على ثلاثة أعواد مثل السبائك ونام تحتها ، ثم أخبر عيسى بن علي بما صنع واتخذ عيسى مثل ذلك ، ثم قال عيسى : يا أمير المؤمنين لو اتخذت قبة ثم غشيت بمثل هذه الكرابيس المبلولة وجعلت طاقات كان ذلك أنفى للحر وأوسع في المبيت والمقيل ، فقال المنصور : أو غير ذلك يا عم ؟ يعمد إلى هذا الخيش الذي يأتي فيه القند والأمتعة من مصر فيغسل وينظّف ثم يبلّ وتغشى به القبة مخيطاً عليها فإنه أحبس لرطوبة الماء وأبطأ جفوفاً ، فأمر المنصور بذلك وتتبع الخيش فاشتري من التجار ، وأمر فكتب إلى مصر في اتخاذ شقاق الخيش ، ووجّه في ذلك رسولاً حمله فاستعمله ثم استعمله

الناس . وكانت للمهدي في أيام أبيه قبة تنقل من مقيله إلى مبيته ومن مبيته إلى مقيله ، وكان أول من اتخذ له الخيش الأبيض المهدي في خلافته . قال : وكانت الخيزران أول من اتخذ السرايح[1] .

وحدثني عبد الله بن مالك قال : كان أول من اتخذ الشمع الغلاظ التي فيها الأمْناء الوليد بن يزيد ، ثم صالح بن علي بمصر ، وإنما كانت لبني أميّة ومَنْ قبلَهم من الملوك بالشام سوى الوليد شمعٌ في الشمعة منها الرطلان والثلاثة الأرطال وكانت لها أتوار صغار في التور منها شوكة ترزّ[2] الشمعة فيها ، أو مسرجة عليها شوكة .

وحدثني المدائني عن أبي اليقظان عن جويرية ، قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة : إن من قبلي من الأمراء كان يجري عليهم رزق للشمع ، فكتب إليه : إنك طال ما مشيت في طرق المدينة بلا شمع يُمشىٰ به بين يديك ، فأعرض عن هذا ولا تعاودني فيه .

وحدثني أبو اليسع الأنطاكي عن أبيه قال : كانت ملوك بني أمية تستصبح بالزيت في القناديل ، ويُمشى بين أيديها بالشمع الطوال التي طول الواحدة منها ثلاثة أشبار ، وكان مَن دونهم يستعملون من الشمع الفتايل المثنيّ بعضها على بعض ، فلما كان يزيد بن عبد الملك اتخذ له من الشمع

١ ـ السريحة : القطعة من الثوب جمعها سرائح ، القاموس .
٢ ـ التور : الإناء . ورزّ : غرز . القاموس .

الطوال ما فيه ستة أرطال أو أكثر من ذلك ، ثم أسرف الوليد في استعمال الشمع في مجالسه .

وحدثني عبد الله بن مالك قال : ما كان المنصور يستصبح إلا بالزيت في القناديل ، وربما خرج إلى المسجد ومعه من يحمل سراجاً بين يديه ، ثم إنه حمل بين يديه من الشمع ما فيه الرطل والمَنَا وكان اذا اراد قراءة الكتب أو كتابها أحضر شمعة في تور ثم يرفع اذا فرغ .

حدثني أبو هشام الرفاعي ، عن عمه ، عن عبد الله بن عياش ، قال : قال المنصور لابي أيوب كاتبه في أمر قطيعة اراد ان يقطعها بعض ولده : التمسوا حدودها في ديوان الأحول فانه كان ضابطاً لامره ، يعني هشاماً .

أمر أبي أيوب المورياني كاتب أمير المؤمنين المنصور

المدائني قال : كان أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان المورياني ، مولى بني سليم فيما يقال ، في مجلس من مجالس ديوان يوسف بن عمر ، فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة العراق والياً عليها استعمل الفضل بن زهير الضبي على مناذر ، فقال له أبو أيوب : أنا خليفتك بباب ابن هبيرة في حوائجك فلا تهتم بها واستوص بخالد أخي خيراً واحفظه وأرفقه ، فوليها سنة . ثم وجَّهَ ابن هبيرة رجلاً من أهل الشام إلى مناذر عاملاً عليها ، فزور أبو أيوب إليه كتاباً في ترك مناظرة الفضل بن زهير فيما جرى على يده والتخليه بينه وبين الانصراف ، فاطلع ابن هبيرة على ذلك من فعل أبي أيوب فأمر بطلبه فهرب إلى سوق الأهواز ، فاستخفى بها حتى قدم المسوّدة العراق فأتى أبو أيوب واسطاً والحسن بن قحطبة محاصر لابن هبيرة والمنصور بعدُ بخراسان حين وجَّهه أبو العباس إليها أول ما استخلف لتهنئة أبي مسلم وأخذ البيعة عليه ، فلما قدم المنصور ووجَّهه أبو العباس إلى واسط أتى أبو أيوب إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، وكان كريماً على المنصور ، فسأله أن يضمه إلى أبي

جعفر ليجعله كاتبه ، فكلّمه فيه وأعلمه نفاذه ، وأنه كان يقوم بديوان يوسف بن عمر ، فلما رآه أعجب به فاستكتبه فغلب على الأمر في خلافته ، فكان أول من أفسد حال أبي أيوب عند المنصور حمزة بن زُنَيم ، وذلك أنه ولي الأهواز فعذب رجلاً من أهلها في الخراج وكان كاتب البلد حتى قتله ، فكلم المنصورَ أبو أيوب في أمره حتى عزله ، فلما قدم ودخل على المنصور وكان خبيث اللسان قال : يا أمير المؤمنين إن لك بالأهواز شريكاً في ملكك ، قال : ومن هو ويلك ؟ قال : خالد أخو أبي أيوب له بيت مال ، ولك بيت مال فما يحمل إليك درهم إلا حمل إلى خالد مثله ، فقال أبو أيوب : إن هذا قد اختلط ، ومن اختلاطه قتله كاتب البلد ، فقال : ما اختلطتُ ولكني صدقتُ فادفع إليّ خالدا حتى ادفع إليك خمسين الف الف درهم ، فقال المنصور : قُمْ ، وقد وقر قولُه في قلبه . ومكث المنصور حيناً ثم قال لأبي أيوب : اكتب إلى أخيك خالد أن يحمل إلينا مالاً من بيت ماله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ان ذاك بيت مال مشهور صيّره خالد للمهدي من ضياع استخرجها وابتاعها ومن أشياء كان العمال يرتفقون بها فرأى أن المهدي أحق بها ، قال : فكم اجتمع فيه ؟ قال : عشرون ألف ألف درهم ، قال : فاكتب إليْه أن يحملها ، فحُملت ، وكفّ عن خالد أخي أبي أيوب . قال : وحَسَد مخلد بن خالد أبان بن صدقة ، وكان أبان على أمر أبي أيوب كله وعلى الرسائل من قبله ، فرفع عليه مائة ألف دينار ، فأمر المنصور بأخذها من أبان ، فأدخل بيتاً وطيّن عليه بابه . ثم ندم مخلد بن خالد على رفيعته ولا مَه عمّه أبو أيوب ، فقال مخلد : أنا أؤدي عنه عشرة آلاف دينار ، وقال أبو أيوب : وأنا أحمل عنه خمسين ألف دينار ، فتوزعها آل أبي أيوب فيما بينهم

وأدوها وأخرجوا أبان بن صدقة من محبسه . فعاد أبان إلى أبي أيوب وفي نفسه ما فيها ، فكان يأتي أبا أيوب نهاره ثم ينصرف إلى منزله ، فإذا كان الليل صار إلى الربيع الحاجب فأطلعه على أخبار أبي أيوب وأسراره وكتبها له فيعرضها الربيع على المنصور ، فيأمره المنصور أن يمنّيه ويَعِدَهُ ، ففطن أبو أيوب أمر أبان فوبخه وقال : ويلك يرفع عليك مخلد فتقصد لقتلي ، وأنت تعلم أني داويت الجرح الذي جرحَكه مخلد بمالي حتى أصلحت شأنك ، اذهب عني ، قال : نعم والله يا أبا أيوب ثم لا أعود أبداً ، وخرج حتى أتى الربيع وكاشف أبا أيوب . ومرض أبو أيوب فاستمكنوا منه ، فأرسل المنصور ابنه صالحاً المعروف بالمسكين إلى أبي أيوب يعوده التماساً لأن يصله ، فأرسل أبو أيوب إلى خالد أخيه : ابعث إليّ بمائة ألف درهم لصالح ، فلم يفعل ، فانصرف صالح وقد أبطأ على المنصور فسأل عن سبب إبطائه فأخبر به ، فبعث إلى خالد فأتي به فأمر بخنقه فخنق حتى بال ، ثم أمر به فحبس ، وطلب كل من عنده مال لأبي أيوب وأهل بيته ، ومن كان منه بسبب ، فتتبع التجار وغيرهم وحُبس أبو أيوب في دار ، ثم حُمل إلى السجن وهو مريض فمات فيه .

ويقال إن أخا السجّان كان مع خالداً أخي أبي أيوب بالأهواز فضربه ضرباً مرض منه ومات ، فوضع السجّان على وجه أبي أيوب مرفقة غمّه بها حتى مات ، فلما مات أبو أيوب أخرج أخوه خالد من محبسه وهو مقيد على حمار حتى صلى عليه ودفن ، ثم رُدَّ إلى الحبس واستودي آل أبي أيوب وعذّبوا ، وخرج المنصور إلى الشام وقد استخلف المهدي بمدينة السلام فأمره باستيداء آل أبي أيوب من كان له ولهم عنده مال وديعة ، فسألوه أن يكفلهم

ويخرجوا فيضطربوا في المال فأجابهم المهدي إلى ذلك ، وتوجه منارة مولى أمير المؤمنين إلى المنصور ، فقال له أبو عبيدالله كاتب المهدي : احطِب عليهم وقل لأمير المؤمنين إن مخلداً وغيره منهم يقولون إنك لا تعود إلى العراق ولا تُرى فيه أبداً ، فلما وصل منارة إلى المنصور سأله عنهم فأخبره بما فارق أبا عبيدالله على أن يقول للمنصور ، فقال له : أما الرجوع فإني أرجو أن يكون سريعاً إن شاء الله ، وأما وجهي فلن يروه أبداً . وكتب إلى المهدي بخطه يعنّفه على الترفيه عن آل أبي أيوب ، ويأمره أن يجمعهم فيقطع أيديهم وأرجلهم ويقتلهم ، وختم الكتاب بخاتمه الذي كان في يده وكان نقشُه : «الله ثقة عبدالله وبه يؤمن» ، فقتلوا وقطعت أيديهم وأرجلهم ، ووضع رأس كل امرىء منهم إلى جثته ويداه ورجلاه على صدره على باب المدينة ، ثم حملوا فدفنوا وقد أخذت أموالهم وضياعهم ، وحيز عن أبي أيوب وحده ثمانية آلاف وقيل ثمانية عشر ألف جريب بالبصرة ، وأخذت منهم أموال عظام بلغت مائة ألف ألف درهم .

حدّثنا المدائني قال : دعا المنصور ذات يوم بأبي أيوب فامتقع لونه ، فلما صار إليه ثم عاد إلى مجلسه قال له رجل كان يأنس به : إني رأيت بك منظراً غمّني ، فقال له أبو أيوب : سأضرب لك مثلاً ؛ بلغني أنّ بازياً عاتب ديكاً ، فقال له : أنا طائرٌ وَحشي أوخذ من وكري فآنسُ بأصحابي حتى أصيد لهم وأحبس صيدي عليهم ، وأنت تؤخذ بيضة فتحضن وتربّى على الأيدي وإذا رأيت انساناً نفرتَ ، فقال : أما والله لو رأيتَ من البزاة في سفافيدهم[1] مثل ما رأيتُ من الديوك في التنانير لكنت أشد وحشةً وروعة

١ ـ سفد الذكر على الانثى : نـزا ، والسفود : حديدة يشوى بها . القاموس .

منّي ، فهذه قصّتي ، ما صرتُ إليه قط فظننت أني أرجع إلى مجلسي ، ومن كان من رجال السلطان ولم يكن هكذا فهو جاهل مغتر .

وكان ابن المقفع كتب إلى أبي أيوب رسالة منه وعظه فيها ، فقال في فصل منها : أذمّ إليك السلطان فإن إقبالَه تعبٌ ، واعراضه مذلّة ، فكان يقول حين حُبس : لله درّك يا بن المقفع .

وحدثني الحرمازي ، عن أبي عمرو الجاباني ، قال : ولّى المنصور عقبة بن سلم الأزدي البحرين وعمان ، فقتل سليمان بن حكيم العبدي وكان مخالفاً ، وأسر من أهل البحرين بشراً كثيراً ، وحملهم إلى المنصور ، فقطع عدة منهم ووهب باقيهم للمهدي فمنَّ عليهم وكسى كل انسان منهم ثوبين هرويّين ، وأعطاه دينارين . وكان أسد بن المرزبان صاحب المربّعة بقرب الجسر مع عقبة فكان كثير الخلاف عليه ، وبلغه عنه أنه على الخلع ، فكتب عقبة إلى المنصور بخبره فأمر بقتله ، فولي ذلك منه أبو سويد صاحب المقبرة ببغداد عند باب الشام ، ولما صار عقبة إلى مدينة السّلام قدم جماعة من الخوارج تريد الفتك به لقتله من قتل منهم ، فكمن له بعضهم في الجسر ، فلما مرّ به خرج عليه فوجأ بخنجر له رأسان فقتله وقتل ، ويقال بل ألقى نفسه في الماء فغرق ، فقال الناس : هو أجرأ من قاتل عقبة بن سلم . وكان عقبة يكنى أبا الملد ، وهو الذي مدحه بشار بأرجوزته الدالية[1] .

١ ـ ديوان بشار ص ٣٠٠ ـ ٣٠٧ .

أمر سنفاذ

قال المدائني وغيره : قُتل أبو مسلم وسنفاذ بحلوان فحمل أموالاً كانت معه ومضى يريد خراسان ، فلما كان بالري منعه عاملها من النفوذ ، وكان قد أُمر أن لا يدع أحداً من أصحاب أبي مسلم يجوزه ، وكان معاذ بن مسلم على بريد الري فقال سنفاذ : عَلامَ أُحبس ولست بذي ديوان وإنّما صحبتُ أبا مسلم على المودّة فلما قتل انصرفت أريدُ أهلي ! ثم إنه خرج كالمتنزه وهرب بالليل فبلغ ذلك عامل الري فاتبعه حتى لحقه فاقتتلا قتالاً شديداً وهزم سنفاذُ العاملَ إلى الري ودخلها فحصره في بعض القصر ، وكان يكنى أبا عبدة ، وكان جباناً ، فطلب منه الأمان فأمنه فلما صار في يده قتله سنفاذ ، وغلب على الري وعاد إلى المجوسية فلم يأته مجوسيّ يدّعي على مسلم شيئاً إلا قضى له به ، وأخذ صبياً فذبحه وشواه وأطعم أباه لحمه ، وكان يقتل العرب بالخشب .

وكتب إلى ملك الديلم أنه قد انقضى ملك العرب ، فخفّ إليه في ديالمته ، واجتمع المسلمون فقاتلوهم فقتل من المسلمين بشر كثير ، وقاتله

والي دستُبىٰ وقد جمع له جمعاً فهزمه سنفاذ ، وأقبل صاحب قومس يريده ، فوجه إليه سنفاذ خيْلاً فهزمها ، ثم لقيه سنفاذ فهزمه إلى قومس ، فوجّه المنصور جهور بن مرار العجلي لمحاربة سنفاذ ، فلما صار إليه حضّ أصحابه على الصبر فقال : إنكم تريدون قتال قوم يريدون محق دينكم وإخراجكم من دنياكم ، فلما التقوا وعدوّهم اقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله سنفاذ ومن معه ونادى جهور بالنهي عن التعرض للغنيمة قبل الاثخان ، فقتل من أصحاب سنفاذ زهاء ثلاثين ألفاً وحوى المسلمون عسكرهم . وهرب سنفاذ إلى الأصبهبذ بطبرستان ومعه أخوه في عدّة يسيرة ، فقتلهما صاحب طبرستان وتقرب برأسيهما إلى جهور وصلب جثتيهما .

وكان عمر بن العلاء جزاراً بالري فجمع جمعاً حين قدم جهور وقاتل معه سنفاذ ، فقال له جهور : من أنت ؟ قال : رجلٌ خرجتُ متطوّعاً ، فأبلى وعظم غناؤه ، فأوفده جهور إلى المنصور وكتب يحمده ويثني عليه فقوّده المنصور وعظم شأنه عنده ثم ولي طبرستان فاستشهد بها ، وكان بعده موسى ابنه ومحمد بن موسى مع السلطان .

قالوا : وكان جهور شجاعاً سخياً فقسم ما صار إليه من مال سنفاذ على الجند ، فكتب المنصور إليه يخوّنه وعزله عن الري ، وولاها مجاشع بن يزيد الضبعي وكان على شرطة عيسى بن موسى بالكوفة ، فلما قدم الري أبى جهور أن يسلم إليه العمل فكلمه فأمر به فضربت عنقه وبعث إلى المنصور برأسه وأظهر الخلع ، فوجّه المنصور اليه هزارمرد ، ثم محمد بن الأشعث في قواد منهم شبيب بن واج فاجتمعوا بأصبهان ، فوجّه إليهم جهور ، زبارة البخاري فلقوه فكسروا عسكره وفضوه ورجع إلى الري جريحاً ، وسار جهور

يريد أصبهان فلقيه محمد بن الأشعث وهزارمرد فقاتلاه أشدّ قتال ، فهزم جهور وهرب وأخوه وأرادا اللحاق بملبد الخارجي فلم يبعدا حتى بلغهما خبر مقتله ، فمضى جهور يريد أذربيجان وعليها يزيد بن حاتم ليأخذ له ولأخيه أماناً ، فلما صار ببعض الطريق وثب بعضُ من كان معه من أصحابه به وبأخيه فقتلوهما ، وأتوا يزيد برؤوسهما ، فقال لهم يزيد : ويحكم وثق بكم الرجل وأمِنكم فغدرتم به وقتلتموه ؟ وأمر بهم فقتلوا وبعث برؤوسهم ورأس جهور ورأس أخيه الى المنصور فنصبت بالحيرة ، ووضعت على زبارة العيون والأرصاد حتى أخذ وحمل إلى المنصور ، فأمر بقتله فقتل بالكوفة وصلب .

أمر مُلبّد بن حرملة بن معدان بن سيطان بن قيس بن حارثة ، أحد بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان

المدائني عن سلمة بن سليمان وغيره .

وحدّثني أبو الكردي عن أشياخهم ، قالوا : لما أقبل أبو مسلم مراغماً بعد هرب عبدالله بن علي إلى الرصافة ثم منها إلى البصرة ، بعث المنصور إلى الجزيرة أبا الأزهر المهلب بن العبيثر المهري وصالح بن صبيح مولى كندة وغيرهما إلى الكور بالجزيرة ليتبع أهل الفتنة والفساد من الأعراب والشراة وغيرهم وتسكين الناس ، فنزل رجل من قواد أهل خراسان منزل ملبد بن حرملة بالجزيرة وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائة ، فرأى ابنته ويقال ابنة أخيه فقال له : يا ملبد مُر هذه الجارية أن تغسل رأسي ، فقال ملبد : بل تغسل هذه الأمة رأسك ، فقال : إنكم تأتون خراسان فلا ترضون أن يغسل رؤوسكم إلاّ نساؤنا ، فأمر ملبد تلك الجارية أن تغسل رأسه ، وكان ذا شعرة فأومأ إليها أن ارفعي شعرته عن قفاه ، ففعلت ، وخرج إليه ملبد بسيفٍ قاطعٍ فأندر به رأسه ، ثم حكّم وتتبع بيوت داره وفيها عدة من الجند فقتلهم هو وابن عم له ، وسمع الخوارج بخبره فأتاه عشرون منهم

فبايعوه فأتى مسلحة فيها بكار المروزي فقتله وأخذ سلاحاً ودواب ، ثم صار في مائتين فأتى الموصل فطرد عاملها عبد الحميد بن ربعي ، ولقيه المهلب أبو الأزهر بقرب تكريت بعد حمله عبد الحميد وانصرافه فهزم أبا الأزهر ، وبعث إليه زياد بن مشكان فلقيه بباجَرمى فهزم زياداً وقتل تسعين من أصحابه وزياد في خمسة آلاف ، فكتب إليه المنصور : «العجب كل العجب لمن يخاف ما لم يقض عليه أو يفرّ مما هو مُصيبهُ وإني رأيتك هبتَ قتال عدوك وأنت في أضعاف رجاله وظننت أن فرارك يؤخر يومك ويزيد في عمرك ، أفما علمتَ أنّ للعباد آجالاً لا يستقدمون عنها ولا يستأخرون ! فيا سبحان الله ما أعجزك وأضعف رأيك ورويتك ، أطَمِعتَ في البقاء بعد نفاد عمرك أم تخوفت القتل قبل فناء مدتك حتى آثرت العار واخترت الفرار ورضيت بالشين في ضعف اليقين» ؟ ويقال إنه وجّه الرّيان مولاه فانهزم ، فكتب إليه بهذا الكتاب . وكتب المنصور إلى صالح بن صبيح يأمره بالمسير إلى ملبد فسار إليه ، وكان على مقدمته ابرازخذاه في ألفين واتبعه صالح في أربعة آلاف ، فواقع ملبد ابرازخذاه فقتله بين نصيبين ورأس العين وانهزم أصحابه ، وهجم ملبد على عسكر صالح فحوى ما فيه .

وولى المنصور اسماعيل بن علي عمه الموصل ، فوجه اسماعيل إلى ملبد قائداً في رابطة الموصل فقتله وهزم أصحابه . ثم ولى المنصور يزيد بن حاتم أذربيجان فعرض له ملبد في طريقه فقاتله فقتل من أصحاب يزيد ثمانمائة ونجا يزيد في قميصه راجلاً حتى أتاه بعض من معه بدابة فركبها ، وبعث إليه المنصور بمال فسار يزيد حتى أتى أردبيل . وأتى ملبد أذربيجان فبعث إليه المنصور روح بن حاتم في ثلاثة آلاف ، والشمر بن عبيد الخزاعى في ألفين ،

وسهال بن الشحاج الأزدي في خمسهائة ، ووجّه مهلهل بن صفوان ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدي في عشرة آلاف ، فلقيهم ملبد فقتل منهم ألفاً ومات ناس كثير عطشاً وانهزموا ، وأصاب ملبد متاعاً كثيراً ، فكانوا يبيعون الخرجة مقفلة لا يدرون ما فيها . فلما رأى المنصور ذلك جدّ في أمر ملبد فعقد لخازم بن خزيمة ووجّهه في ستة آلاف منتخبين ، فسار خازم حتى نزل الموصل ، وبلغ ملبداً خبره فتوجه نحوه وعبر دجلة يريد الموصل ، وعلى طلائع خازم ومقدمته نضلة بن نعيم النهشلي ، فلقيهم ملبد فهزمه أصحاب خازم واتبعوهم ، ثم عطف عليهم ملبد فكشفهم فألقوا الحسك ، وأمر خازم أصحابه بالنزول فنزلوا فلما رآهم الخوارج نزلوا أيضاً ، فلما اشتغلوا عن القتال أمر خازم أصحابه بالركوب فلم يشعر الخوارج إلا بالرماح في أكتافهم فقتلوا جميعاً فلم ينج منهم أحدٌ ، وكان بين عسكر خازم وعسكر الخوارج مقدار ألفي ذراع . قال الشاعر :

لم يغنِ عن ملبّد تلبيدهُ   إذ خازم في بأسه يكيده

أمر ظبي بن المسيّب بن فُضالة العَبْدي

قالوا : خرج ظبي بن المسيّب في ثلاثة وعشرين رجلاً وثلاث نسوة ، ابنتين له وجارية سوداء ، وعبد أسود فأتوا موقوع[1] ونزلوا الجلحاء ، فوجه إليهم سفيان بن معاوية اسهاعيل بن مسلم فوعظهم فبينا هو كذلك إذ طلعت عليهم الخيل مع عيسى بن عمرو بن أبي الجمل ، ومعهم ناس من الزط ، وعليهم العاقب الأزدي ، فاقتتلوا فقتلوا جميعاً ، وبعث برؤوسهم إلى سفيان

١ ـ موقوع : ماء بناحية البصرة . معجم البلدان .

فبعث بها إلى أمير المؤمنين المنصور في سفينة فغرقت السّفينة بالبطيحة .

خبر عطية بن بعثر التغلبي

خرج عطية بالموصل في مائة ، ومعهم ابن الوليد بن طريف ، فأخذ على راذان وأتى ابراز الروز والنهروان وأتى مهرجانقذق ، وصار إلى الكلبية ليعترض مالاً قد اجتمع بالسوس يريدون حمله ، وبلغ ذلك أهل الأهواز فبعث محمد بن الحصين ابن أخيه ثابت بن كثير بن حصين بالمال فحمله ثابت فلم يقدروا عليه ، وأقبل الخوارج وهم مائة فنزلوا بالسوس فلم يؤذوا أحداً حتى وقع بين رجل من أهل السوس وبين رجل من الخوارج كلام فاستعرض عطيةُ أهل السوس ، وكان منارة مولى أمير المؤمنين بناحية الأهواز فقاتله عطية فقتل من أصحابه أكثر من مائتين وانهزم منارة . وتوجه عطّية إلى الموصل في طريقه التي ابدأ فيها ، فوجه إلْيه المنصور أبا حَمْيْد المروروذي فوافقه بكلبانية مهرجانقذق نائماً وأصحابه في غفلة ، فأمر أبو حميد أصحابه فرموهم بالنشاب فقتل عطّية وأصحابهُ ، فلم يبق منهم أحدٌ .

خبر حسان بن غسان الهمداني :

خرج حسان في خلافة المنصور فلقي قوماً يريدون مكة فقتلهم ، فسرّح إليه المنصور جميل بن عبد الله الضبي ، وهو ابن عم المسيب ، في سبعة آلاف فلم يزل حسان يتنّقل حتى صار إلى أذربيجان وصار جميل إلى أذربيجان ، فرأى الخوارج تتبعهم ، وكان الحرشي معه ، فكتب إلى أبي جعفر بذلك ، فكتب أبو جعفر المنصور إليه : «قد بلغني يا بن اللخناء أنك

رأيت حساناً فتركته ولم تناجزه» ، وأمره بقتاله اذا لقيه . ونزل الخوارج قصر الجراح فبيت جميل حسان وهو حذر فخرج عليهم وأصحابهُ فهزموهم ، ثم أتى حسان الحنّاية[1] فلقيه سعيد الحرشي في شعب حِبْتُون[2] فعطف عليه حسان فقتله وأصحابه ومضى إلى نصيبين ، فوجه إليه المنصور أبا قرّة صاحب المربّعة ببغداد في أربعة آلاف من أصحاب حميد بن قحطبة فكانت بينهم وقعة . ثم مضى حسان يريد الزابي ، فلحقه أهل خراسان ممن وجه إليه وقد عبر أصحابه وبقي في ستين ، فقتلوه ومن معه ومضى الآخرون فتتبع بعضهم فقتلوا .

خبر عيسى مولى بني شيبان

خرج على المنصور عيسى مولى بني شيبان في خمسين ، فوجّه إليه زياد بن مشكان مولى بني مازن فقتله وأصحابه .

خبر الضحضح الشيباني

حدثني أبو الكردي الإباضي قال : نزل رجلٌ من الجند في أيام المنصور على آل الضحضح ، فأعطوه وأحسنوا قراه ، فمدّ يده إلى امرأة منهم فولوت ونادت قومها ، فشدّ عليه الضحضح فقتله ، ودعا واعتقد فاتبعه خلق يقال إنهم ألف وذلك بسنجار ، فقتل بسنجار من الجزيرة، قتله داود بن اسماعيل الزندي ، وقائد آخر . وقال غير أبي الكردي : هو عامر بن الضحضح .

---

١ ـ في معجم البلدان «الحنانة» هي ناحية من غربي الموصل .
٢ ـ حبتون جبل بنواحي الموصل . معجم البلدان .

أمر بيعة المهدي

حدثني مشايخ لنا ، والمدائني ، قالوا : استخلف أبو العباس المنصور وعيسى بن موسى بعد المنصور ، لأنه كان غائباً بمكة ، فلم يأمن عليه الحدثان في سفره فيضطرب الناس وينتشر أمرهم ، فلما قام المنصور جعل يُرشّح ابنه محمّداً المهدي للخلافة لما رأى فيه من أمارات الخير ، وقدم أبو نخيلة على المنصور فقال له أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي : قُلْ شعراً تدعو فيه أمير المؤمنين إلى البيعة للمهدي ، فقال :

قل للأمين الواحد الموحّد إنّ الذي ولّاك ربُّ المسجدِ
ليس وليُّ عهدها بالأرشد عيسى فزحلفها إلى محمّد[1]

فلما أنشد أبو نخيلة أرجوزته هذه وهي طويلة رَوّاها الخدم والبطانة وأبلغوها المنصور ، فدَعا به وعنده أهلُ بيته وقواده والناس وعيسى بن موسى عن يمينه فاستنشده فأنشده إياها ، وخرج فلحقه عقال بن شبّة فقال له : يا أبا نخيلة ، أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ، فلئن تمّ الأمر لتصيبنّ خيراً

١ - الأغاني ج ٢ ص ٤١٧ مع فوارق . الصولي - أشعار أولاد الخلفاء ص ٣١٠ .

ولئن لم يتم فابتغِ نفقاً في الأرض أو سُلمّاً في السماء[1] ، وكتب المنصور لأبي نخيلة بصلة إلى الريّ ، فوجّه عيسى من لحقه فقتله وسلخ وجهه ، ويقال إنه قتل بعد رجوعه من الري ، وكان المنصورُ يُظهر لعيسى تكرمةً وبرّاً وإجلالاً ، فيوضع له نمارق عن يمينه وشماله ، ثم يدعى بعيسى فيجلس عن يمينه ، ثم يدعى بالمهدي فيجلس عن يساره ، فكلمه في العقد للمهدي ألين كلام وأرفقه ، فقال له : يا أمير المؤمنين كيف بالأيمان والعهود والمواثيق ، ولئن فعلتَ هذا لتكوننّ حجةً لمن ترك الوفاء وخاسَ العهد ، فلما رأى ذلك قدّم المهدي عليه فكان يجلسه عن يمينه .

قالوا : ولما سمع الجند بما يحاول المنصور في أمر المهدي تكلموا فكان عيسى إذا ركب عُرض له بما يكره وأسمع الكلام وينغّص ، فشكا ذلك إلى المنصور ، فقال للمسيّب : تقدّم إلى القواد والجند في أن يمسكوا عن ابن أخي ولا يؤذوه فإنه ثمرة قلبي وجلدةُ ما بين عينيّ ، ودعا بقوم من الحرس فشتمهم فكفّوا ، وكانوا محبين للمهدي لما نشأ عليه من العقل والفضل والسخاء .

وكتب المنصور إلى عيسى كتاباً يذكر فيه ما قذف الله في قلوب أنصار الدعوة وأهل المشايعة على الحق ، وأشرَبَهَا من محبة المهدي ومودته وتفضيله ، حتى صاروا له صاغين ولأعناقهم مادّين ، لا يذكرون إلا فضله ، ولا يعرفون إلّا حقه ولا ينوّهون إلّا باسمه ، وأنه لما رأى ذلك علم أنه أمر تولاه الله له ليس للعباد فيه صنع ، وأنه لابد من استصلاحهم ومتابعتهم ، ويعلمه أنه يرى له إذا اجتمع الناس على ابن عمه أن يكون أوّل من يبدرُ إلى

---

١ ـ انظر سورة الأنعام ـ الآية : ٣٥ .

البيعة له ، وأن يعرف له ما عرفوه ويؤمل فيه ما أمّلوه . فكتب إليه في جواب ذلك يذكّره الوفاء ، ويعلمه أن كثيراً من الناس قد نازعتهم أهواؤهم ودعتهم أنفسهم إلى مثل الذي همَّ به في ولده فآثروا الله وحقّه ، وكرهوا الغدر وعاره ، وسوء عواقبه في الدنيا والآخرة فأمسكوا عن ذلك وكرهوه .

فلما قرأ المنصورُ كتابةَ غضب وقرأه على الناس ، فعاد القواد والجند لأشدِّ ما كانوا عليه ، وكان أشدّ الناس في ذلك قولاً أسد بن المرزبان ، ونصر بن حرب ، وعقبة بن سلم ، وكانوا يأتون باب عيسى فيمنعون من أن يدخل إليه أحدٌ ، ويمشُونَ حوله ويسيرون اذا ركب ويقولون : أنت البقرة التي قال الله : ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾[1] . فشكاهم إلى المنصور فقال : إن هؤلاء قومٌ قد غلب عليهم حبّ هذا الفتى حتى سيط بدمائهم ، واجتمعت عليه آراؤهم ، وأنا والله يا بن أخي وحبيب قلبي أخافهم عليك وعلى نفسي فلو قدّمته بين يديك حتى يكون بيني وبينك لكفّوا ، وأنا لك ناصحٌ وأنت أعلم .

وذكروا أنه دسّ إلى عيسى شربة سمّ فافلت منها ، فقال يحيى بن زياد ابن أبي حُزابة البرجمي الشاعر :

أفلتّ من شربة الطبيب كما ... أفلت ظبيُ الصريم من قبره
من قانص يقنص الفريص اذا ... ركّب سهم الحتوف في وتره
دافع عنك المليك صولته ... بكفّ ليث يرمز في خمره
حين اتانا وفيه شربته ... تعرف في سمعه وفي بصره
ازعر قد طار عن مفارقه ... وَحفُّ أثيثُ النبات من شعره[2]

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٧١ .
٢ ـ انظر الصولي ـ أشعار أولاد الخلفاء ص ٣٠٩ .

ودخل سلم بن قتيبة على عيسى فقال له : أيها الرجل بايع هذا الأمير وقدّمه فإنك لن تخرج من الأمر وأرضِ عمك ، قال : أوَ ترى أن افعل ؟ قال : نعم ، قال : فإني أفعل ، فأتى سلم المنصور فأعلمه بذلك فسُرّ به وعظم له قدرُ سلم عنده ، ودعا المنصور الناس إلى البيعة فتكلم عيسى وسلّم الأمر إلى المهدي وصار بعده ، وخطب المنصور فشكر عيسى على ما كان منه وذكر أنه التالي للمهدي عنده في موضعه من قلبه وحاله عنده ، ووهب له مالاً عظيماً وأقطعه قطائع خطيرة نفيسة ، وولّاه الأهواز والكوفة وطساسيجها . فلما استخلف أمير المؤمنين المهدي ورأى تولية موسى وهارون ابنيه عهده ، قال له المهدي : يا أبا موسى إني آمرك بأمر إن أطعتني فيه سعدتَ ورشدتَ بطاعتي ، وإن عصيتني استحللت منك ما يستحلُّ من العاصي المخالف ؛ قال : وما هو؟ قال : إني قد عزمت على تولية موسى وهارون العهدَ بعدي ، فاخلع العهد وأنا أعوضك منه ما هو خيرٌ لك من الخلافة ولاسيما مع كراهة القواد والجند لك ؛ قال : فإني قد حلفت بصدقة جميع ما أملك وبعتق غلماني وجواريّ أن لا أخلع هذا الأمر حتى يؤتى على نفسي ؛ قال له المهدي : فلكَ بكل درهم اثنان ، وبكل مملوكٍ مملوكان ، وبكل ضيعة ضيعتان ، فرضي وسلّم ، وبايع المهدي لموسى ، وهارون بعد موسى ، ووفى لعيسى بما شرط له ، فأعطاه عشرين ألف ألف درهم ، وأقطعه وأقطع ولده ، فقال مروان بن أبي حفصة :

بمحمدٍ بعد النبي محمد ... حَيِي الحلالُ وماتَ كلُّ حرام
عُقدت لموسى بالرصافة[1] بيعةٌ ... شدَّ الإله بها عُرى الاسلام

١ ـ رصافة بغداد .

موسى وليُّ عصا الخلافةِ بعدهُ   جَفّت بذاك مواقُع الأقلام
موسى الذي عرفت قريشٌ فضَله   ولها فضيلتُها على الاقوام[1]

وقال قومٌ من ولد موسى بن عيسى : أمر المنصور بعيسى فخنق بحمائل سيفه فخَلعَ وضمن له المنصور رضاه ، فوفى له به .

وحدثني أبو مسعود قال : خرج ، في ولاية عيسى بن موسى للمنصور الكوفة رجلٌ يكنى أبا الخطاب وكان رافضياً مسرفاً يدّعي علم الغيب ، وكان جعفر بن محمد يقول : كان أبو الخطاب يأتيني ويخرج من عندي فيكذّب عليّ ويقول إن السلاح لا يعمل فيَّ ، فوجه عيسى من حاربه فقتله وأصحابه وأراحني الله منه .

وفي أبي الخطاب يقول الشاعر :

أو مثل أصحاب أبي الخطاب   القائل الزور العمي الكذاب
قال لهم وقوله فضّاحُ   ما أن يحيك فيكم السلاحُ
فصدقوه للعمى والحين   وربما صدّق أهل المين
فأصبحوا قتلى ذوي غرور   بقوله والويل للمغرور

وحدثني أبو مسعود قال : أراد المنصور أن يبايع لصالح المسكين بعد المهدي ويجعل عيسى تالياً ، فركب المهدي إلى عيسى بن علي فقال له : يا عم قل لأمير المؤمنين أنشدك الله أن تحملني على قطيعة أخي وعقوقه فإنك إن فعلتَ فعلتُ ، وإن كنتَ لابدّ مولّيه فقدّمه قبلي لتبقى الخلافة لعقبي ، فأدّى قوله إليه فأعفاه من ذلك وقال : صدق ابني لو فعلتُ لفعلَ . قال : وكان

---

١ ـ ليست في شعر مروان بن أبي حفصة المنشور في القاهرة ١٩٨٢ .

المنصور يحب صالحاً ويقول : هذا ابني المسكين ، ويأمر الناس أن يَهَبوا له ويعرضه للجوائز ويقول : هذا لابني المسكين ، فُسمّي المسكين .

وحدثني عبد الله بن مالك عن المبارك الطبري قال : لما بايع المنصور للمهدي كتب إلى اسماعيل بن علي ، وهو عامله على واسط ونواحيها في ذلك ، فكتب إليه يذكر بيعة عيسى بن موسى وما في عنقه منها ، فكتب إليه المنصور في القدوم فأقبل حتى نزل كلواذى فلم يلقَه من أهل بيته أحد ، ثم أرسل إليه المنصور في الدخول فلما صار إليه بَرَّهُ وأدنى مجلسه ، ثم قال له : ما بالك تلّويت وتثنيتَ في بيعة ابن أخيك ؟ قال : ظننت أن الكتاب الذي أتاني كان اختياراً ، فإن كان عزماً بايعتُ ، قال : فبايعْ فقد بايع أهل بيتُك والناس ، وبسط له يده فبايعهُ ، وصار إلى المهدي فبايعه .

وحدثتُ أنه لما بويع للمهدي بعث المنصور ، الأعلم الهَمداني ببيعته إلى الحجاز ، فخطب بمكة على منبرها فقال في خطبته : وقد بايع أمير المؤمنين لمحمد ابن أمير المؤمنين ، وهو عباسي النسبة ، يثربي التربة ، حجازي الأسرة ، شامي المولد ، عراقي المنبت ، خراساني الملك ، يملك فلا يأشر ، ويقدر فلا يبطر ، إن سُئل أعطى وإن سُكت عنه ابتدا ، جاءت به الروايات وظهرت فيه العلامات وأحِكمته الدراسات ، في كلام كثير .

وحدثني المدائني قال: لما بويع المهدي أمير المؤمنين جعل الناس يدخلون عليه فيسلمون وقد جلس لهم، فكان فيمن دخل عليه شبيب بن شيبة التميمي ، فلما خرج من عنده سُئل فقال: رأيتُ الداخل راجياً والخارجَ راضياً .

وحُدِّثنا أنّ شريك بن عبد الله النخعي لقي عيسى بن موسى فقال له عيسى: ياأبا عبد الله مارأيتُ قاضياً عُزل، فقال: بلى تعزل القضاة، وتخلع ولاة العهد، ويقال إنه قال: مارأيتُ قاضياً عزل، قال: ولا وليّ عهد خُلع.

أمر سوار بن عبد الله العنبري

قالوا: كان محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قدم البصرة مستخفياً ثم خرج عنها، وبلغ المنصور ذلك فقدم البصرة فنزل عند الجسر الأكبر، ويقال بل قدم في أمر القطائع والمسائح، وأمير البصرة عمر بن حفص، فولى عمر بن حفص السّند، وشهاب بن عبد الملك بن مسمع البحرين، وولّى عبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدي، أخا عبد الجبّار بن عبد الرحمن، البصرة، وولى سوّار بن عبد الله بن قدامة بن عنَزَةِ بن نَقَب - على مثال فَعَل - بن عمرو بن الحارث بن خلف بن مُجَفّر بن كعب بن العنبر بن عمرو بن تميم القضاء. فكان عبد العزيز يكتب إلى أبي جعفر المنصور يذمَهُ، فيدرج المنصور كتبَه بذلك في كتب منه إلى سوّار، فلم يزل على ذلك حتى خالف عبد الجبار وحُمل عبد العزيز إلى المنصور، فولى المنصور سوّاراً صلاة البصرة، وكان عبد العزيز صاحب شراب ولهو فأخرج له من دار الامارة شراب، فأمر سوّار بكسر آنيته وهراقته. وفي سوّار يقول الشاعر:

فمن كان لايرضى أميراً فإننا رضينا بسوّارٍ أميراً وقاضيا

وتقدم إلى سوار رجلان احدهما من عبد القيس فتحفّز العبدي فضرط فقال له سوار: أفسادٌ في الجاهلية وضراط في الإسلام؟ وقال رجل لسوّار وكانت أمّه أمّ ولد: إنك لقليل الخالات بالدهناء، فقال: ولكني كثير العمّات هناك. وقضى على أعرابي فقال:

رأيت رؤيا ثم عبّرتها وكنت للأحلام عَبّارا
رأيتني أخنق في نومتي ضبّاً فكان الضبّ سوّارا

ثم أقبل يدعب خلفه ورمى بنفسه عليه، فوثب الناس إليه فنحوه عنه، فكلمه كلاماً رفيقاً ولم يعاقبه.

وخرج في أيامه عبيد سودان يقال إنهم كانوا أربعين أو أكثر، وكان اجتماعهم عند دار عقبة بن سلم، فاستشار في أمرهم فقائل يقول اقتلهم، وقائل يقول عبيد أضرّ بهم الجوع والضر وإن تركوا تفرقوا، وقائل يقول وجّه إليهم من يفرقهم من الجند؛ فوجه السري بن الحصين الباهلي وعبد الله بن حي بن حُضين الرقاشي فلقياهم عند دار عقبة، أو نهر سليمان بالبصرة، فقتل منهم أربعة عشر عبداً، ويقال عشرة، ويقال سبعة عشر، ويقال أقل من عشرة، فأعطى مواليهم أثمانهم، وبعث برؤوسهم إلى المنصور، ويقال إنه كان يتصدّق في كل سنة من ماله بمثل أثمانهم. وقال له السري بن حصين: مابالك أعظمت قتل هؤلاء؟ والله لو لم تقتلهم لقتلوك، قالوا: وتفرّق من بقي من أولئك السودان فلم يعرض لهم.

قالوا: وكان سوّار يخذّل الناس عن إبراهيم بن عبد الله، وعن أخيه، وسوّد بعد خروج إبراهيم وتمثّل وهو على المنبر:

أين الرجال التي عن حظّها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب، قال: لما حُبس أبو أيوب أمر المنصور الربيع الحاجب بتقلد ديوان الرسائل والنفقات إلى ما كان يقوم به من الحجابة، ففعل، ثم عزله عن الرسائل وصيرها إلى أبان بن صدقة، وأقره على النفقات مع الحجابة فشخص أبان معه إلى الشام وهو كاتبه عليها.

وحدّثني أبو علي الحرمازي عن الفضل بن الرّبيع قال: كان المنصور معجباً بمحمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس، وكان كريماً يسأله الحوائج للناس حتى ثقل ذلك عليه، فحجبه أياماً ثم أذن له على أن لايسأله حاجة لأحد، فدخل عليه يوماً وكمُّه مملوءٌ رقاعاً، فلما جلس تناثرت من كمه فجعل يردها ويقول: إرجعن خاسئات؛ فقال المنصور: ماهذه الرقاع؟ قال: فيها حوائج للناس، فضحك وقال: لاتبرح حتى تُقضى كلها، فقضاها له.

قال الحرمازي: وبعضهم يزعم أن الرجل يحيى بن جعفر بن تمّام، وهو آخر من بقي من ولد تمام، وكان المنصور له محبّاً.

وحدثني ابن الأعرابي قال: قال المنصور لرجل: ممّن أنت؟ قال: من يَشكُر، فتمثل:

ويشكُرُ لاتستطيعُ الوفاء وتعجز يشكرُ ان تُشكرا

وحدثني أبو مسعود، قال: أقدم المنصور، عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب من المدينة بسبب محمد بن عبد الله بن حسن، ويقال لأمر بلغه عنه غير ذلك، فلما أُدخل إليه قال له: ياعدو الله، قال: لست بعدو الله، وليس الأمر على مابلغك، واذكر إدناء أبي أباك وتقديمه إياه على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قبحك الله، أفَما كان لي عليك من الحق ماكان لأبي على أبيك؟ ثم أمر به إلى المطبق، فوقع بينه وبين قوم من

الرافضة مُلاحاة فوثب إلى خشبة فاقتلعها ثم ضربهم بها، فبلغ ذلك المنصور فأمر أن يؤتى به. فلما وقف بين يديه قال له: أما نهتك أولاك عن أُخراك؟ فقال: ياأمير المؤمنين إني كنت أسمع شيئا لو سمعته لأنكرته، سمعت هؤلاء يشتمون عمومتك من المهاجرين: أبا بكر، وعمر، وعثمان، فقال: ردوه إلى المدينة.

حدثني الحسن الحرمازي قال: حبس المستهل بن الكميت بسبب تهمة في أمر الطالبيين، فقال:

لئن نحن خفنا في زمانِ عدوِّكم وخفناكم إن البلاء لراكد

حدّثنا محمّد بن داود الكاتب قال: وليّ القنجز الشيباني عملاً فألزم مالاً، فأمر المنصور أن يؤخذ به فحبس في دار العذاب وكانت إلى جانب المطبق، فكان يعذب فلا يُقر بشيء، فلما طال ذلك كلم معن فيه المنصور فقال: إني عزمت أن لايخرج من محبسه وهو مقيم على هذه المراغمة، ولكني أبعث إليه بمال يؤديه، فبعث إليه بمقدار ماكان يطالب به وهو مائة ألف درهم، فلما صار ذلك إليه حمله إلى منزله، فقال له المستخرج: احمل المال، فقال: أيّ مال، وجحد، فعُذِّب فلم يقر بشيء، فبلغ ذلك المنصور فقال: هذا شيطان، فخلوا سبيله، واصطنعه وقال: لاتولوه جباية، فكان يقال: أصبر من القنجز.

حدثني أبو دهمان قال: عرضت على المنصور قينة فتغنت:

مانقموا من بني أمية إلا انهم يحلمون ان غضبوا
وإنهم صفوةُ الملوكِ فما تَصلُحُ إلا عليهم العربُ

فغضب وأمر بها فأخرجت سحباً. قال: ويقال انها ألقيت من

الخضراء، وذلك باطل، وكان المنصور لايُرى شارباً نبيذاً، ولم يعطِ مُغنياً شيئاً قط، ولاأجرى عليه رزقاً يثبت في ديوان أو يخرج به أمر وكتاب.

وحدّثني المدائني قال: قال أبو عبيدة الكاتب: كان المنصور أعْطَى الناسَ في حقٍّ وأعلمهم بحزم وأشدهم شكيمةً على عدو، حدثني عبدوس مولى جعفر بن جعفر، عن جعفر بن جعفر، قال: أقبل المهدي من داره يريد المنصور، والمنصور جالس في الخضراء في قصره بالمدينة ببغداد، فلما وقعت عينه عليه جعل يعوّذه ويدعو له، حتى إذا تبينه غضب وقال: ردّوه ردّوه، أما رأيتم عليه خفاً أحمر كأنه من عبيد الروم، أهذا لبس من كان مثلَه! فألزمه منزله أياماً ثم دعا به وعاتبه، قال: وكان أمر المنصور جداً كله.

وحدّثني أبو الحسن المدائني قال: كاتب العبسيون من أهل حيار بني القعقاع[1] ومن معهم محمد بن عبد الله بن حسن وكاتبهم محمّد، وكان ممن كاتبه أبو ذفافة. فلما شخص المنصور إلى بيت المقدس في سنة أربع وخمسين ومائة، وغزا الصائفة وتتبع الأجناد والكور، أقدم أبا ذفافة معه فأصحبه المهدي فخص به، وكان يطلعه على أسراره وأموره، فقال له الربيع: ياأمير المؤمنين قد غلب أبو ذفافة على المهدي ورأيُه ما تعلم، فقال: يابني إن المهدي قدم من الري في زيّ أهل خراسان، فجهدتُ أن أنقله عن ذلك بكل حيلة يُحتال بها في مواجهة وتعريض فلم ينتقل عنه، فلما صحبه أبو ذفافة لم أشعر به ذات يوم إلا وقد طلع عليّ معتماً على قلنسوته، وفي رجليه خُفّان أسودان، فوالله لو ضُمّ إلى ملكي مثلّه ماكان ذلك بأسرّ إليّ من هيئته، وإنما أبو ذفافة

١ ـ على مقربة من حلب.

رجل أراد أن ينال شيئا من الدنيا فقد ناله وأكثر منه، وهو رجلٌ شريف وللشريف شكر فلا يسوءنكم مكانَه.

حدثني الحرمازي قال: قال الربيع الحاجب: دخلتُ على المنصور يوماً وعليّ خفٌّ أبيض محكوك مكعب، فقال: لولا أني لم أتقدم إليك لأدّبتك، مالك ولِخفاف الزفّانين[1]؟

حدّثني هدبة بن خالد، قال: دخل المبارك بن فضالة على أبي جعفر وهو بالجسر الأكبر فقال له: ياأمير المؤمنين حدثني الحسن قال: بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله حق فليقم، فما يقوم إلا العافون عن الناس»[2]، فقال المنصور: قد عفوت، ولم يدخل البصرة.

وحدّثني بعض أصحابنا قال: كان المنصور وهو بالبصرة قبل أمر المسوِّدة يجلس في حلقة فيها أزهر السمّان، فلما أفضت إليه الخلافة وَفَدَ إليه أزهر فقال له: ماجاء بك ياأزهر؟ قال: ياأمير المؤمنين داري مستهدمة، وعليّ دَين مبلغُهُ أربعة آلاف درهم وأريد أن أزوّج ابني محمداً، فقال: قد أمرنا لك باثني عشر ألف درهم فخذها ولاتأتنا طالباً، فأخذها وانصرف، فلما كان العام المقبل أتاه، فلما رآه قال: ماجاء بك ياأزهر؟ قال: أتيتك ياأمير المؤمنين مسلّماً، فقال: إنه ليقع في خلد أمير المؤمنين أنك أتيت طالباً، قال: ماأتيت إلا مسلّما، فقال: قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً فخذها ولاتأتنا طالباً ولامسلّماً، فلما كانت السنة الثالثة عاد إليه، فقال: ماجاء بك ياأزهر؟ قال: أتيتك

---

١ ـ زفن: رقص. القاموس.

٢ ـ انظر كنز العمال ـ الحديث ٧٠١٣.

عائداً، فقال: قد أمر لك أمير المؤمنين باثني عشر ألف درهم فخذها ولاتأتنا طالباً ولامسلّماً ولاعائداً، فلما كانت السنة الرابعة قدم عليه فقال: ماجاء بك ياأزهر؟ فقال: سمعتك تدعو بدعاء فجئت لأكتبه عنك، قال: إنه غير مستجاب، قد دعوت الله به ألا أراك فلم يجب، وأمر له باثني عشر ألفاً، وقال: تعال متى شئت فقد أعيت فيك الحيَلُ.

حدثني عبد الله بن صالح العجلي، قال: بعث أبو جعفر المنصور إلى مسعر بن كدام الهلالي فقال له: ياأبا سلمة هل لك في أن أوليك؟ فقال: والله ياأمير المؤمنين ماأُرضي نفسي لأن اشتري لأهلي حاجة بدرهم حتى أستعين بغيري، على أن الثقات قليل، فكيف أغرك من عملك، وأنا إلى أن تصل قرابتي ورحمي أحوج مني إلى الولاية؛ فقال: قال النابغة الجعدي:

وشاركنا قريشاً في تقاها وفي أنسابها شِرْكَ العنان
بما ولدت نساءُ بني هلال وما ولدت نساء بني أبان[1]

يعني لُبابة جدّتك فإنها هلالية، فأمر له بأربعة آلاف درهم وكساه ولم يزل يتعهده ويصله، وكانت آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر، أم العاص وأبي العاص والعيص وأبي العيص بني أمية بن عبد شمس، وكانت صفية بنت حزن عمّة أم الفضل وهي لبابة بنت الحارث بن حزن أم أبي سفيان بن حرب بن أميّة وهي هلاليّة.

وحدثني عبد الله بن صالح قال: كان أبو بكر الهذلي يجالس المنصور، قال: فرأى المنصور في بعض قصره الجديد قوماً في ثياب بيض، قال: ماهؤلاء؟ قلت: جهابذتك وقوم يعملون في خزائنك، فتمثل قول الشاعر:

١ ـ ديوان النابغة الجعدي ـ ط. دمشق ١٩٦٤ ص١٦٤.

كما قال الحمارُ لسهم رامٍ لقد جُمّعتَ من شتى لأمرِ
أراكَ حديدةً في رأس قدح ومتن جلالة مع ريش نسرِ

ثم قال: ياربيع تفقّد هؤلاء وانظر من كان منهم في غير عمل فاخرجه.

وحدثني العُقوي الدلال البصري قال: بلغ المنصور أن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بالبصرة، فخرج إلى البصرة وأظهر أنه يريد ان يُقطع صالحاً المسكين بابقليا، ويقطع سليمان الهنيئة؛ وكان عيسى مستخفياً عند رجل يقالُ له يزيد، فبينا المنصور يخطب في يوم جمعة إذ وقعت عينه على عيسى، وعرف عيسى أنه قد عاينه، فلما دخل المنصور في الصّلاة انسلّ عيسى ويزيد صاحبه فاستعرض الناس بعد الفراغ من الصّلاة فلم يوجدا. ثم إن عيسى مات عند يزيد فأتى يزيد الربيع فقال له: اطلب لي الأمان من أمير المؤمنين وأدخلني إليه حتى أخبره من أمر عيسى بما يسر به، فطلب له الربيع الأمان فأمنه المنصور، فلما دخل عليه قال: ياأمير المؤمنين قد مات عيسى بن زيد وأراحك الله منه، فخر المنصور ساجداً، ووجّه من نظر إليه ميتاً، فوفى ليزيد بأمانه.

وحدثني محمد بن موسى الخوارزمي أن المنصور حج فكان يأتي الطواف ليلاً فيطوف مستخفياً متنكراً لايعلم أحدٌ من هو، فإذا طلع الفجر عاد إلى دار الندوة، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى بالناس، فسمع رجلاً يقول في بعض الليالي: اللّهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، ومايحول بين الحق وأهله من الطمع، فوقف على الرجل ثم خلا به ثم سأله عمّا قال فقال له: أتُؤَمنّي؟ قال: نعم لك الأمان، قال: ماعنيت سواك؛ فقال: كيف تنسبني إلى الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض

بيدي؟ قال: وهل دخل أحداً من الطمع مادخلك؟ احتجبت عن الضعفاء فلم يصلوا إليك، ثم أوعبت الأموال وجمعتها فلم تقسمْها في أهلها، ورآك القوم الذين استعنت بهم خائناً فخانوك وأنت متغافلٌ عن الأمور، كأنك لاتعلم وعلمك حجةٌ عليك، ثم أنت تطمع في السلامة في دينك ودنياك، ووعظه فاحتمل له ذلك وقال: جزيت عن النصيحة خيراً، وأقيمت الصلاة فصلى المنصور بالناس، وطلب الرجل فلم يوجد.

حدثنا الذيّال مولى بني هاشم، قال: سمع المنصور جلبة في داره فقال: ماهذا؟ فإذا خادمٌ له قد جلس وغلمةٌ حوله وهو يضرب لهم بطنبور وهم يضحكون منه، فأخبر بذلك فقال: وما الطنبور؟ فوصفه له حمّاد التركي، فقال له: وأنت فما يدريك ماالطنبور؟ قال: رأيته بخراسان، فقال: نعم، فدعا بنعله وقام يمشي رويداً حتى أشرف على الغلمان فرآهم فلما أبصروه تفرقوا، فقال: خذوا الخادم فاكسروا ما معه على رأسه، ثم قال: ياربيع أخرجه من قصري وابعث به إلى حمران النخّاس حتى يبيعه، فوجه به الربيع من ساعته فبيع بالكرخ.

وحدّثني رجل من ولد حمّاد التركي عن حمّاد قال : ولاني المنصور المدائن ثم عزلني ، فقال لي ذات يومٍ : يا بن الخبيثة كم عندك من المال ؟ فقلتُ أصدقه فإنه لا ينفعني عنده الا الصّدق ، فأخبرتُه بمبلغ المال ، فقال : ادفعه إلى الربيع ، ففعلت ، ثم رحت بالعشي فإني لبين يدي المنصور واقف لأشك في ذهاب المال إذ دخل الربيع فقال له : يا ربيع أحَمَلَ حمادٌ إليك ذلك المال ؟ قال : نعم ، قال : أفعرفت وزنه ؟ قال : نعم ، قال : احتفظ به فإذا تزوج حماد فادفعه إليْه .

وحدثني بعض الهاشميين عن رجل من حشم المنصور ، قال : كان المنصور يقسم علينا الأرزاق وما في الخزائن حتى الفانيد[1] والترياق ، وكان مشايخ أهله يدخلون عليه بالعشيات في النعال والأردية .

وحدثني محمد بن موسى الخوارزمي قال : بلغني أن المنصور خرج يوماً نحو باب قَطْرَبُّل حتى دخل من ناحية باب حرب فأساء بعض أحداث مواليه الأدب ، وسار في ناحية أمر أن لا يسير فيها أحدٌ كراهة للغبار ، فالتفت إلى عيسى بن علي وهو يسايره فقال : والله ما ندري يا أبا العباس ما نصنع بهؤلاء الأحداث لئن حملناهم على الأدب وأخذناهم بما يجب ليقولن جاهل إنّا لم نحفظ آباءهم فيهم ، ولئن تركناهم وركوب أهوائهم ليفسدن علينا غيرهم .

حدّثني المدائني قال : لما خرج ابنا عبد الله بن حسن على المنصور ، وجاءه فتى من ناحية غير ناحيتيهما جعل ينكث بقضيب معه ويقول :

ونصبتُ نفسي للرماح درِيّة إن الرئيس لمثل ذاك فعول

قال : وقال المنصور في آل أبي طالب :

فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتم وبـالله أحمي عنكم وأُدافـعُ
ومازال منا قد علمتم عليكم على الدهر أفضال يُرى ومنافع
ومازال منكم أهل غدر وجفوة وبـالله مغترّ وللرحم قـاطع

قالوا : وركب المنصور وأهل بيته حوله ، وقد بلغه خبر محمد بن عبد الله ، فقال عثمان بن عمارة المريّ : إن حشوَ اثواب هذا الرجل لمكر ودهاء ونكر وما هو إلا كما قال جذل الطعان :

فكم من غارة ورعيل خيل تـداركها وقـد حمي اللقـاءُ

١ ـ الفانيد : السكر المكرر .

فـردّ رعيلها حتى ثناها باسمر ما يرى فيه التواءُ

وقال اسحاق بن مسلم : لقد سبرتُه فوجدتُه بعيدَ الغور ، وعجمت عوده فوجدتُه صلبَ المكسر ، ولمسته فوجدته خشن الملمس ، وذقته فوجدته مرّ المذاق ، وإنه ومن حوله لكما قال ربيعة بن مكدم :

سما لي فرسان كأنّ وجوههم مصابيح تبدو في الظلام زواهرُ
يقودهم كبش اخو مُصمئلّة حليف سرىً قد لّوحته الهواجر

وقال عبد الله بن الربيع الحارثي : هو والله ليث خيسٍ شرس ، وللأقران مفترس ، وإنه لكما قال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

فإن لنا شيخاً إذا الحرب شمّرت بديهته الإقدامُ قبل التزاحف
أخو الحرب قد عضت به فتفللت نواجذُ من أنيابها في المزاحف

وحدثني الحرمازي قال : لما مات جعفر الأكبر ابن المنصور اشتدّ جزعه عليه ، فلما قُبر وسُوّي عليه التراب قال : يا ربيع كيف قال مطيع بن إياس في يحيى بن زياد ؟ فأنشده :

يا أهلِ بكّوا لقلبي القرِحِ وللدموعِ الذوارف السُّفُح
راحوا بيحيى فلو تطاوعني الأقـــدار لم يبتكر ولم يَرُح
يا خير من يحسُنُ البكاء له اليـــوم ، ومن كان أمس للمِدَح
أعقبتَ حزناً من السرور وقد أدلتَ مكروهنا من الفرح

قال : فبكى المنصور وقال : صاحب هذا القبر أحقّ بهذا الشعر .

وحدثني بعض مشايخنا أن المنصور قال للمهدي : يا بنيَّ ، استدم النّعمة بالشكر ، والقدرة بالعفو ، والطاعة بالتألّف ، والنصر بالتواضع لله والرحمة للناس .

وحدثني الحرمازي قال : لما أتى المنصورَ مخرجُ محمد بن عبد الله شنّ عليْه درعه ، ولبس خُفّه ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

مالي أُكفكف عن سعدٍ ويشتمُني ولو شتمتُ بني سعدٍ لقد سكنوا
جهلاً علينا وجُبناً عن عدوهم لبئست الخلّتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عما قمنا به ، فما عضدوا الكافي ، ولا شكروا المنعم ، فماذا حاولوا ، أشرب رَنْقاً[1] على غصص ، وأبيتُ منهم على مضض ، كلا والله إني لا أصِلُ ذا رحم بقطيعة نفسي ، ولئن لم يرضَ بالعفو منّي ليطلبنّ مالا يوجد عندي ، ولأنْ أُقتل معذوراً أحبّ إليّ من أن أحيا مُستذلاً ، فليبقِ ذو نفسٍ على نفسه قبل أن يقضي نحبه ، ثم لا أبكي عليه ولا تذهب نفسي حسرة لما ناله .

حدثني بعض أصحابنا عن ابراهيم بن عيسى الهاشمي قال : خطب المنصورُ يوم عرفة فقال : «أيها الناس إنما انا سلطانُ الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وإرشاده ، وخازنُه على ماله وفَيْئِه أعمل فيه بمشيئتِهِ وأقسمه بارادته وأعطيه باذنه ، وقد جعلني الله عليه قفلاً ، فإذا شاء أن يفتحني فتحني ، فارغبوا إلى الله واسألوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه إذ يقولُ : ﴿اليومَ أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[2] ، أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ، ويلهمني الرأفة بكم ، وقَسْم أرزاقكم فيكم بالعدل عليكم ، والإحسان إليكم» .

١ ـ رنق الماء : كدر . القاموس .
٢ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٣ .

وحدثني عبد الله بن مالك ، أخبرني اسحاق بن عيسى بن علي ، قال : بعث المنصور في سنة خمس وأربعين ومائة رجالاً يطلبون له موضعاً يبنى له فيه مدينة ، فكانوا يأخذون تربة كل أرض فإذا عفنت خرجت منها العقارب والخنافس ، فلما عفنت تربة بغداد خرجت منها بنات وردان فقال : هذه ، هذه ، فنزل الدير الذي على الصراة وقال : بغداد بلد يأتيه الميرة من الفرات ودجلة . فاختطَّ المدينة وفرغ من أساسها ، فإنه لنائم في يوم صائف إذ أقبل سليمان بن مجالد ، وسُليم المكي ، فاستأذنا على المنصور ، فدخل الربيع فاحتال له حتى استيقظ ودخلا عليه ومعهما كتاب صغير من محمد بن خالد بن عبد الله القسري يخبر فيه بخروج محمد بن عبد الله ، فقال المنصور : نكتبُ إلى مصر الساعة أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين وإنهم في مثل الحرجة إذا لم تأتهم الميرة من مصر ، وأمر أن يكتب إلى العباس بن محمّد أخيه وهو على الجزيرة أن يمدّه بمن قدر عليه ولو أن يبعث إليه في كل يوم رجلاً واحداً لينكسر بهم أهل خراسان ، فإنه لا يؤمن فسادُهم مع دالتّهم ، ونادى بالرحيل من ساعته فخرج في حرّ شديد حتى عسكر بنهر صَرْصَرَ ، وصلى العصر هناك ، وأتى الكوفة وعسكر وخندق عليْه ، ودعا بعيسى بن موسى فقال له : إمّا أن تخرج وأقيم فأمّدك وإمّا أن أخرج وتقيم فتمدنّي ، فقال : بل أقيك بنفسي وأكفيك هذا الوجه إن شاء الله ، فشخص ، ثم خرج ابراهيم في عقب خروج أخيه محمد ، فجمع المنصور ولد أبيه فقال : ما تقولون وما ترون ؟ فقالوا : توجه إليه موسى بن عيسى ، فقال : والله يا ولد عليّ ما أنصفتم ، وجهتُ أباه وأوجّهه فأكون قد وجهتُ من ولد محمد بن علي رجلين ، فقالوا : توجه عبد الله بن علي وتصطنعهُ ، فقال :

أبعثُ عليَّ حرباً أخرى ، إن خافني مالأ عدوي عليّ ، وإن ظفر أعاد الحرب بيني وبينه جذعة ، وقد سمعتكم تذكرون أن له أربعة آلاف مولى يموتون تحت ركابه فأيّ رأيٍ هذا ؟ والله لو دخل عليّ إبراهيم بسيف مسلول لكان آمن عندي من عبد الله بن علي

وحدثني الحرمازي قال : لما قُتل إبراهيم بن عبد الله وبعث عيسى بن موسى برأسه أمر المنصور أن يُطاف به بالكوفة ، ثم خطب المنصور بالكوفة فقال : يا أهل الكوفة عليكم لعنةُ الله وعلى بلد أنتم فيه ، للعجب لبني أميّة وصبرهم عليكم كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ويَسبْوا ذراريكم ويخربوا منازلكم ، سبئيّة خشبيّة ، قائل يقول : جاءت الملائكة ، وقائل يقول : جاء جبريل ، وهو يقول : أقدم حيزوم ، ثم عمدتم إلى أهل هذا البيت وطاعتهم حسنة فأفسدتموهم وانغلتموهم ، فالحمد لله الذي جعل دائرة السوء عليكم ، أما والله يا أهل المدرة الخبيثة لئن بقيت لكم لأذِلّنكم .

وحدثني عبد الله بن مالك وغيره ، قالوا : أتمّ المنصور بناء مدينته بغداد ونزلها في سنة ست وأربعين ومائة ، وبنى قصره في الخلد على دجلة سنة سبع وخمسين ، وتولّى ناحيةً منه الربيع ، وناحيةً أخرى أبان بن صَدقَة . قال عبد الله بن مالك : وأنا يومئذ مع أبان ، وكان المنصور يعاقب من سمّاه الخلد ويقول : الدنيا دار فناء وإنما الخلد في الجنة .

حدثني الحرمازي قال : ولى المنصور الحسن بن زيد المدينة بعد جعفر بن سليمان ، فعبث بجلساء جعفر وأصحابه ، وأضرّ باسماعيل بن أيوب المخزومي ، فقال :

وإن بني العباس لن نستطيعهم   فلا ذنب لي فانظرهم حسرات

هُمُ ورثوا ميراثَ أحمد كله ولم يـدّعوه بـاطـلاً لبنـات

حدثني العمري عن ابراهيم بن السندي ، أن المنصور لما أراد الحج في السنة التي توفي فيها أتى قصر عبدويه فأقام به ، ثم دعا بالمهدي فقال له : يا أبا عبد الله اقرأ هذا الكتاب واعمل بما فيه ، فإذا فيه : «أوصيك بتقوى الله ومراقبته ، وعليك بإكرام أهل بيتك وإعظامهم ، ولاسيما من استقامت طريقته ، وطهرت سيرته ، وحسُنت مودّتُه منهم ، فإنّ أقرب الوسائل المودّة ، وأبعد النّسب البغضة ، وانظر أهل الجزالة والفضل والعقل منهم فشرّفهم ، وأوطىء الرجال أعقابَهم ، فإنه لايزال لأمرِ القوم نظام ما كانت لهم أعلام ، وأجزل لهم الإعطاء ، ووسعّ عليهم في الأرزاق ، فإن أكثر الناس مؤونة أعظمهم مروءةً، ثم ليكن معروفك لغيرهم بعدهم، فإن الصلة تزيد الألْفة ، وصنهُم ينبلوا ولا تَبتذِلْهم فيخلقوا ، واعلم أن رضى الناس غاية لا تدرك فتحبَّبْ إليهم بالإحسان جهدك وتثّبت فيما يرد من أمورهم عليك ، ووكل همومك بأمورك ، وتفقّد الصّغير تفقُّدك الكبير ، وخذ أهبة الأمر قبل حلوله ، فإنّ ثمرة التواني الإضاعة ، وكن عند رأس كل أمر لا عند ذَنَبه ، فإن المستَقبِلَ لأمره سابقٌ ، والمستدبِرَ له مسبوق . وَوَلِّ أمورك الفاضلَ تكن مستعلياً ، ولا تولِّ المفضول فإنه مُزرٍ باختيارك ، وانظر الأموال فإنها عدة الملوك ، وبهاءُ السلطان ، ونظام التدبير ، فوفّرها بولايةِ أهل العفافِ عنها والحيطة عليها ، ولا تبتذلها إلاّ في إصلاح أمور السلطان والرعية ، وثواب أهل الطاعة والنصيحة ، وأحسن إلى نصائحك[1] واستدِم مودّتهم ومحبتهم بجميل التعهد لهم والتفقّد لأمورهم ولا تُعطِ عطيّةً تُبطِر

١ - في رواية أخرى «أصحابك» [من الهامش] .

الخاص ، وتؤسِف العام ، واجعل لكل إليك حاجة ، واجعل لهم من فضلكِ مادة ، واسمع من أهل التجارب ، ولا تردّنّ على ذوي الرأي ، وعوّدْ نفسك الصّبرَ على التّعب في إصلاح الرعيّة وترك الهوينا والدّعةِ ، واعلم أن ذهاب السّلطان يؤتى من ثلاثة أمور : قلة الحزم ، وضعف العزم ، وفقد صالحي الأعوان وأنّ ثباته بأربع خلال : المعرفة ، وحسن التّخير ، وإمضاء الاختيار ، وتنكبّ أهل الحرص ، فإن الحريص يبيعك باليسير من حظّه ، وشَرَهُ الوزراء أضرُّ الأعداء ، ومن خانَك كَذَبك ، ومن كذبك غشّك ، واعلم أنّ مادّة الرأي المشاورة ، فاختر لمشاورتك أهل اللب والرأي والصدق وكتمان السّر ، وكافِ بالحسنة ، وتجاوز عن السيّئة ما لم يكن في ذلك ثلم دين ، ولا وهن سلطان ، ودع الانتقام فإنه أسوأ أفعال القادر ، وقد استغنى عن الحقد من عظم عن المجازاة ، وعاقب بقدر الذنب ، واعفُ عن الخطأ ، وأقِل العثرات من أهل الحرمة والبلاء ، وعليك بتلاد نعمتك ، ومواليك من أهل خراسان وغيرها من الآفاق ، فإنهم أنصحُ الناس لك ، وأشدهم سعياً في بقاء دولتك فإنما عزّهم بعزك ، وتجنب دقيق أخلاق أهل العراق ، فإنهم نشأوا على الخبّ ومذموم الأخلاق ، وإذا اطلعت من خاصتك وأهل نعمتك على هوىً مفسدٍ لنصيحتك فلا تُقله عثرةً ، ولا تَرْعَ له حُرْمة ، ودع الاغترار به فإنك إذا اغتررت به كنت كمدخل الحيّة دون شعاره ، إن شاء الله» . ولّما قرأ الكتاب قال : أفهمتَهُ يا بُنّي ؟ قال : نعم ، قال : فاتخذه لك إماماً ومثالاً ، ثم قال : أستودعك الله يا بني وأنشد :

المرءُ يأمل أن يعيشَ وطولُ عيشٍ قد يَضُرّه
تبلى بشاشته ويبقى بعد حلوِ العيش مُرُّه

وتخونه الأيامُ حتى لا يرى شيئاً يَسرُّه
كم شامتٍ بي إن هلكـ ـتُ وقائلٍ لله دَرّه

قال العمري : وقرأتُ هذا الكتابَ بعدُ عند قومٍ من الكُتّاب فوجدتهم قد كثّروه .

حدثني عزّون بن سعد مولى الأنصار ، عن أبيه سعد بن نصر ، قال : حج المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة فودّع المهدي فقال : «يا أبا عبد الله إني وُلدتُ في ذي الحجة ، ووليتُ الخلافة في ذي الحجة ، وقد هجس في نفسي أني أموتُ في ذي الحجة من سنتي وذلك حداني على الحج ، فإذا أفضى إليك الأمر فإن استطعت أن تكون حديثاً حسناً فافعل» .

وحدثني عبد الله بن مالك وغيره عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : إني لَمعَ المنصور في حجته التي توفي فيها ، فلما دنا من مكة اشتد به الوجع فقال ذات ليلة وأنا زميله ، أنزلني ، وكانت به خلفة[1] فعدلنا به عن الطريق فأنزلناه ، فأبطأ ثم أقبل متكئاً على رجلين من مواليه ، وأبو العباس الطوسي ، والمسيب بن زهير مع وجوه أهل خراسان وقوف ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين أبطأتَ فهل حدث شيء ؟ فقال : أنا صالح ، وصاحَ بي فلما صرنا في المحمل قال : ويحك أترى هؤلاء الخراسانية وهم هم وتسألني عن هذه المسألة ؟! أتذكر رؤياي التي أخبرتكم بها ، إني رأيت كأنّ الكعبة انصدعت فجئتُ بحبلٍ فضممتها به حتى التَأمَتْ ثم دفعت الحبل إلى رجل من مواليّ لم أسمّه لكم ، فقلت له : شُد ، أفتدري مَن مولاي ذلك ؟

---

١ ـ أخذته خلفه : كثر تردده إلى المتوضا . القاموس .

قلت : لا ، قال : أنت هو ولكني كرهتُ أن أخبرك بذلك فاتّقِ الله وانظر كيف تكون طاعتك للمهدي .

وحدثني علي بن أمير المؤمنين المأمون ، قال : سمعتُ المأمون يحدّث عن عصيمة سرية المنصور ، وكانت معه في حجته التي توفي فيها ، أنها قالت : مازال يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمد يُحيي ويُميت وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، ثم يعيد ذلك ويهلل ويكبر ويُلبّي حتى قبض ، فغمضه الربيع وشدّ لحيته بعصابة ثم قال : والله لأملأنّ سيفي ممّن صاح حتى أحكم ما أمرني به مولاي . فخرج إلى الناس فأَحكم ما أراد . قال ، وقالت عصيمة : كان المنصور في تسبيحه وتهليله وتشهيده فكلمته فقال : كفي عني ساعة ، فما قطع ذلك حتى شخص .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب عن جماعة ممن حضر وفاة المنصور بمكة قالوا: خرج الربيع إلى من حضر من بني العباس وغيرهم فقال: إن أمير المؤمنين يأمركم بتجديد البيعة للمهدي، فقال عيسى بن موسى: أحبّ أن أسمع ذاك من أمير المؤمنين، فدخل ثم خرج فقال: عند أمير المؤمنين حرمه وهو لايستُرْهنّ من عمه عيسى بن علي فليقم فيدخل عليه ويخبركم عنه بما أعلمتكم، فقال عيسى بن موسى: لابأس قم ياعم، فقام عيسى فدخل فقال له الربيع: إن أمير المؤمنين قد قضى وكان أمر بتجديد البيعة للمهدي وأنا أريد تجديدها وأنت أعلم، فخرج عيسى بن علي إلى عيسى بن موسى فقال: يأمرك أمير المؤمنين بتجديد البيعة، فبايع عيسى بن موسى للمهدي وبايع

الناس، ثم عرف عيسى بن موسى القصة بعد ذلك فقال لعيسى بن علي: أنت الفاعل مافعلتَ.

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي قال: عرض للمنصور اختلافٌ، فكان يحتاج إلى الخلاء في اليوم الخمس مرات وأكثر، ثم أسرف ذلك حتى كان يقوم في اليوم والليلة خمسين مرّة، فتوفي بعد التروية أو قبله بيوم، وفرغ من جهازه عند العصر، وصلى عليه عيسى بن موسى، ويقال عيسى بن علي، ويقال إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي، وهو ابن أخيه، وهو قائم بالموسم عامئذ، ولم يُغَطّ رأس المنصور لانه كان مُحْرماً ودفن عند بئر ميمون بن الحضرمي.

وكان المنصور لما بلغ ثلاثاً وستين سنة يقول: إنه كان يقال لهذه السنة داقّة الاعناق، قبض بها رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر رضي الله تعالى عنهما، فقبض وله أربع وستون سنة.

وقال الواقدي: دُفن المنصور في شعب نافع الخوزي في المقبرة التي تطل عليها ثنية المعلاة، وهي التي صُلب عليها عبد الله بن الزبير، ونزل في حفرته عيسى بن علي، والعباس بن محمد، وعيسى بن موسى، والربيع، ويقطين، والريان مولاه، وجعل في صندوق وأطبقت عليه ألواح، وتوفي وله أربع وستون سنة إلا أيّاماً.

وحدثني عمرو بن عيسى أبو مسعود قال: توفي المنصور بمكة في سنة ثمان وخمسين، ودفن بين الحجون، وبئر ميمون بن الحضرمي، وصلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بوصيّة منه، وكان يوم توفي ابن أربع وستين سنة،

وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وأياماً، وحجّ بالناس في تلك السنة إبراهيم بن يحيى بن محمّد.

وقال بعضهم: مات وله ثمان وستون سنة، وأثبت ماروُي في عمره أربع وستون سنة.

وقال الحسن بن علي الحرمازي، وهو مولى لقريش، غير أنه كان ينزل في بني الحرّماز، قال سلم الخاسر يرثي المنصور، وإنما قيل له الخاسر، لأن أباه كان تاجراً فمات وترك مالاً فأنفقه في طلب العلم وابتياع الدفاتر فقيل هو خاسر:

أين ربُّ الزوراء إذ سوّغتهُ المـ ـلكَ عشرين حجة واثنتان

قال: وقال آخر.

قَفَلَ الحجيجُ وخلّفوا ابن محمّد رهناً بمكة في الضريح الملحد
شهدوا المناسك كلها وإمامُهم تحت الصفائح محرمٌ لم يشهد

وأنشدني غير الحرمازي:

لقيَ الله مُحرِماً وشهيداً فهنيئاً له هنيئاً مريئا

وأُنشدت لبعضهم:

ببئر ميمون ثوى قراره في ملحد اسلمه انصاره

خلافة المهدي بن المنصور

فولد أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله، محمداً المهدي أمير المؤمنين، ويكنى أبا عبْد الله، وأمّه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد بن مثّوب بن الحارث بن شمر ذي الجناح الحميري، ولي الخلافة في سنة ثمان وخمسين ومائة، وفي ذي الحجة، وكانت خلافته عشر سنين وشهرين وأياماً، وكان من أسخى الناس وأجملهم وتوفي بماسبذان[1] في سنة تسع وستين ومائة، ودفن بها، وصلى عليه ابنه هارون الرشيد أمير المؤمنين، وكان معه بماسبذان. وفي المهدي يقول الشاعر:

أكرِم بقرم أمين الله والده　　وأمّه أم موسى بنت منصور

وجعفر بن المنصور وهو الأكبر، ويكنى أبا الفضل، وأمه أم موسى أيضاً، ولاه أبوه الموصل وأعمالها والجزيرة وتوفي ببغداد. فولد جعفر بن أبي جعفر عيسى بن جعفر، وجعفر بن جعفر، وزبيدة بنت جعفر.

فأمّا عيسى بن جعفر فوليَ للرشيد أعمال البصرة، وكور

١ ـ نقل ياقوت أن المهدي دفن في موقع اسمه الرذ يبعد عدة فراسخ عن ماسبذان.

دجلة، والأهواز، واليمامة، والبحرين، والسند، وكان أليف الرشيد وأنيسه وعديله إذا ركب جملاً أو بغلاً عليه قُبّة، وكان جسيماً، فإذا ركب مع الرشيد ثُقِّلت ناحية الرشيد بحجر أو بمثقلات رصاص.

وأمّا جعفر بن جعفر فقد ولي البصرة للرشيد وولايات، وهو صاحب الدار التي ببغداد عند الباب المعروف بباب النَّقْب وهي مُطلّة على دجلة.

وأمّا زبيدة وهي أم جعفر، فتزوجها الرشيد، فولدت له محمد الأمين قتل ببغداد وهو خليفة، ثم ولي أمير المؤمنين المأمون بعده. وأنشدني أبو الأحوص المؤدب في الرشيد.

أبـو أمين ومـأمـون ومؤتمن أكرِم به والداً برّاً وبالولد

والمؤتمن وهو القاسم بن الرشيد، كان الثالث في ولاية العهد بعد محمد وعبد الله المأمون، فتوفي في خلافة المأمون، وكان محمد بن زياد الأعرابي مؤدباً لهارون ابنه.

وإبراهيم بن أبي جعفر المنصور وأمه الحميرية أيضاً، توفي بالهاشمية ولا عَقِب له.

وسليمان بن أبي جعفر المنصور. ويكنى أبا أيوب وَليَ الموسم للرشيد، وولي البصرة والجزيرة والشام، وأمه فاطمة من ولد طلحة بن عبيد الله التيمي، صاحب رسول الله ﷺ.

وحدّثني من أثق به أن اسحاق بن سماعة المعيطي قال قصيدة طويلة يفخر ببني أميّة وبظفر معاوية وبيوم الحرة، وقال، وقد غزا الرشيد الروم وخلّف بالرافقة ابنه المأمون ومعه سليمان بن أبي جعفر، شعراً وهو:

يا طالباً من بني العباس فُرصته في الأمر دونكها إن كنت يقظانا

أما ترى الرقة البيضاء شاغرةً إلا شراذم شُذاذاً وخصيانا
ماترتجي بعد هذا اليوم لاظفرت [كفاك][1] إن لم تنلها من سليمانا
لاعيب بالمرء الا انّه رجل يحكي الخرائد تانيثاً وتِلْيانا

فبلغت الأبيات سليمان فحبسه وحلقه وضربه، فتكلم فيه سعيد الجوهري فخلى سبيله، ثم كلم المأمون فأذن له في حبسه فحبسه فقال في الحبس:

تعفو الكلوم وينبت الشعر ولكل وارد منهلٍ صدرُ
والعار في أبواب منبطح لعبيده ما أورق الشجر

وقال أيضاً:

قل لسليمان على مأرى من طول حبسي واقتراب الأجل
حبستني في غير جرمٍ سوى حكايتي عنك مقال الخطل
قولك ما أعرف من لذة لم أشفِ منها النفس الا الحَبَل

ومات في الحبس، وله شعر يهجو به البرامكة، ويقول في يحيى بن خالد:

يَتبعُ الزنديق يحيى وابنه إنه للغي قِدما مُتّبع

ويعقوبُ بن أبي جعفر، وأمّه فاطمة أيضاً وله عقب، وقد حج بالناس سنة اثنتين وسبعين، سقط عن فرسه فاندقّت عنقه.

وعيسى بن أبي جعفر، وأمّه فاطمة.

وصالح بن أبي جعفر، وأمه أم ولد، وكان يسميه صالحاً المسكين لرقّته عليه، ويقول: ماأشبعُ لصالح من حال ولا برّ، ويقول: ادعوا ابني المسكين،

١ ـ زيد مابين الحاصرتين منَ الصولي ـ أشعار أولاد الخلفاء ص١٦ .

ويقول لقوّاده: بُرّوه، فكانت الأموال تُهدى إليه، وقد ولي صالح بن أبي جعفر الموسم سنة خمس وستين ومائة للمهدي.

والقاسم بن أبي جعفر توفي في خلافة أخيه المهدي، وثب من قُبّة إلى قُبّة فسقط بينهما فمات، وأمه أم ولد.

وعبد العزيز بن أبي جعفر درج؛ والعباس درج وأمهما أم ولد. وعلي بن أبي جعفر، وأمه أم علي من أهل وادي القرى مات ابن سبع سنين.

وجعفر الأصغر وهو ابن الكرديّة، واسم الكردية صغيرة.

والعالية وأمها من ولد خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، تزوجها اسحاق بن عيسى بن علي. وعبيدة، توفيت في حياة أبيها. وفاطمة، زوَّجها المنصور يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس بن عبد المطلب.

ووُلد لأمير المؤمنين المهدي موسى، ويكنى أبا محمد، وهو الهادي، وهارون ويكنى أبا جعفر وهو الرشيد، والبانوقة، أمهم الخيزران جُرشيّة ويقال الخيزرانة، وعيسى، وهي أمّه أيضاً، وإليه نسبت عيساباذ ببغداد.

وعيسى وعبيد الله، أمهما ريطة بنت أبي العباس.

ومنصور بن المهدي، وأمه ابنة الأصْبَهْبَذ صاحب طبرستان وتسمى البخترية، وقيل إنها ولدت للمهدي أيضاً العالية. وسليمة وهي اسماء. والعباسة بنت المهدي لأم ولد. ويعقوب واسحاق لأم ولد. وابراهيم لأم ولد اسمها شكلة وهي من سبي دنباوند.

فأما موسى فولي الخلافة سنة تسع وستين ومائة، وكان يوم وَليها ابنُ خمس وعشرين سنةً، وأتاه خبر وفاة المهدي وهو بجرجان، فقدم الرشيد من ماسبذان مسرعاً إلى بغداد فضبط الأمور هو والربيع الحاجب، إلى أن قدم

الهادي. وكان المهدي حين شخص إلى ماسبذان استخلف الربيع على بغداد. وتوفي موسى بعيساباذ من بغداد وصلى عليه الرشيد، فكانت خلافته سنة وشهرين، وفيه يقول الشاعر:

لما أتت خيرَ بني هاشمٍ   خلافةُ الله بجرجانِ
شَمّر بالحزم سرابيله   تشمير لاغُمرٍ ولا وانِ

وأمّا هارون، فولي الخلافة في سنة سبعين ومائة، ومات بطوس[1] من خراسان في سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن خمس وأربعين سنة.

وقال أبو مسعود الكوفي: ولي هارون الرشيد الخلافة وله ثلاث وعشرون سنة، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وتوفي ابن ست وأربعين.

وأما البانوقة فتوفيت صغيرة.

وأما علي بن المهدي فحج بالناس غير مرة ومات ببغداد، والقصرُ الذي يعرف بقصر ابن رَيْطة بقرب سوق يحيى نُسب إليه، ووَليَ البصرة. وأما عيسى فمات صغيراً.

وأما عبيد الله بن المهدي فولى أرمينية وولي الجزيرة.

وأما منصور بن المهدي فولي فلسطين وغيرها وحَجّ بالناس ووَليَ البصرة، ومال الناسُ إليه في أيام فتنة محمّد الأمين بن الرشيد ببغداد، فأبى أن يدخل فيها أو في شيء من أمرهم.

وأما ابراهيم بن المهدي فإن ابنه هِبَة الله حدّثني أن مُحيّاة الطائفيّة أم ولد المنصور كانت بعثت بشكلة أم ابراهيم إلى الطائف فنشأت هناك ففصحت وقالت الشعر، وأنشدني لها شعراً في أخ كان له يقال له أحمد وهو:

---

١ ـ هي مشهد الحالية في ايران.

أحمدُ يفديه شبابُ فهرِ　　من كلّ ماريبٍ وأمرٍ نُكرِ
قد جاء مثل الشمس غبّ قَطِر　　في حُسن بدرٍ واعتدالِ صَقْرِ
بُنيّ احشايَ وذخر ذخري　　شدّ الهي بأخيك ظهري
وزاده ربُّ العُلى من عمري　　وذبَّ عنهُ من مخوف الدهرِ
وعنك ماأدري وما لاأدري

وكان ابراهيم شاعراً عالماً بالغناء، بايعه أهل بغداد بعد قتل محمد بن الرشيد، فلما ظهر قُوّاد أمير المؤمنين المأمون وأصحابُه، وعلا أمرهم استخفى فمكث حيناً مستخفياً، ثم خرج من موضع إلى موضع، فأنكر أمرُه، وأُخذ فعفا المأمون عنه، فقال فيه شعراً كثيراً، منه قوله:

رددتَ مالي ولم تبخل عليّ به　　وقبل ردّك مالي ماحقنتَ دمي
ففزت منك وما استحققتها بيد　　هي الحياتان من موت ومن عدم

ومن قوله:

فلو وُزنت بحلمك هضبُ رضوى　　لخف بحلمك الجبل الصلود
مننتَ ولو تشاءُ إذاً أسالت　　يداك دمي وقد قطع الوريد

وقوله بعد أبيات:

وعفوتَ عمن لم يكن عن مثله　　عفوٌ ولم يشفع إليك بشافع
الا العُلُوّ عن العقوبة بعدما　　ظفرت يداك بمستكين خاضع
ورحمتَ أولاداً كافراخ القطا　　وعويل باكية كقوس النازع

وأما العباسة بنت المهدي فزوجها الرشيد من هارون بن محمد بن سليمان فمات عنها فزوّجها بعده من ابراهيم بن صالح بن علي.

وأما موسى بن محمد

ابن علي بن عبدالله بن العباس فغزا مع أبيه فتوفي ببلاد الرّوم ، وولِد له عيسى بن موسى ، ولاه أمير المؤمنين أبو العباس عهده وكان من خبره ماقد ذكرناه ، وولي داود بن عيسَى المدينة ومكة ، فأقام بمكة فكتب إليه يحيى بن هشام :

ألا قُلْ لداود ذي المكرمات والعدل في بلد المصطفى
أقمت بمكة مستوطناً فهاجر لِهجرةِ من قد مضى

وقد وليَ ابنُه موسى بن عيسى، وأمّه بنت ابراهيم بن محمّد، ويكنى أبا عيسى، المدينة للرشيد، وولي الكوفة وسوادها للمهدي، وموسى، والرشيد،وولي أرمينية لهارون الرشيد، وولي الموسم للرشيد، وولي مصر للرشيد.

وولي أيضاً أحمد بن موسى بن عيسى اليمامة للرشيد. ومدح ابن هرمة عيسى بن موسى بالأبيات التي يقول فيها:

أتتك الرواحلُ والملجما ت بعيسى بن موسى فلا تعجل

وقال لي الناسُ إن الحباء أتـاك مـع المَلِكِ المقبـل
فدونكها يابن ساقي الحجيج فـإني بها عنك لم أبخلِ
أبـوك الـوصيُّ وأنتَ ابنُـه وصيٌّ نبيّ الهدى المرسل[1]

وكان عيسى إذا حجّ حجَّ ناس يتعرضون لمعروفه فيصلهم ويعطيهم، فقال أبو الشدائد الفزاري:

عصابةٌ إن حجّ عيسى حجّوا وإن اقـام بـالعـراق دجّـوا
قـد نـالهم نـائله فلجّـوا فـالقوم قـومٌ حجُّهم معوجُّ
ما هكذا كان يكون الحج

فقيل له: أتهجو الحاجّ؟ فقال:

اني وربّ الكعبـة المبنيَّـة والله ماهجوتُ من ذي نيّه
ولا امرىء ذي رعةٍ تقيـه لكنني أُبقي عـلى البَـريّـه
من عصبة أغْلَوْا علِي الرعية اسعار ذي مشيٍ وذي مَطِيّه

---

١ ـ ديوان ابن هرمة ص١٨٥ ـ ١٨٦ .

وأما يحيى بن محمد

ابن علي بن عبدالله فإن أمير المؤمنين أبا العباس ولاه الموصل ، فجرد في أهلها السيف ، وهدم حائطاً كان عليها . وكان أهل الموصل أصناف : خوارجَ ، ولصوصاً ، وتجاراً ، فنادى منادي يحيى : الصَّلاةُ جامعة . فاجتمع الناس فأمر بقتلهم جميعاً ،وفيهم تجار ؛ وكان العامل على الموصل قبله محمد بن صول ثم صار خليفته . وقد كان ابن صول يقتل وجوه أهل الموصل ليلاً ويلقيهم في دجلة ، فلما ولي يحيى أمَره بمكاشفتهم ، وكانت ولايته في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وكان أهل الموصل لشرارتهم يسمون خزر العرب . وولّى المنصور يحيى فارس .

وحدثني معافى بن طَاووس الموصلي قال: هرب رجل من أهل الموصل من يحيى بن محمّد فدخل غاراً ومعه ابن له، فبعث ابنه ذات يوم ليتعرف له الخبر فعرفه ثم انصرف، فدلّى رجليه ليدخل الغار، وذهب عن الرجل أنه ابنه وظن أنه رجل جاء ليأخذه فضربه بالسيف فقطع رجله فنزف حتى مات، فذهب عقل الرجل. قال المعافى، قال أبي: فأنا رأيته بعد ذلك بحين

يجلس فيفكّر ثم يسقط فيبكي على ابنه.

وحدثني أبو موسى الفروي عن أبي الفضل الأنصاري قال: كان يحيى ابن محمّد عجولاً قليل الرويّة فيما يصنع، وكان أهل الموصل يسمونه الحتف.

وأما العباس بن محمد

ابن علي فهو صاحب العباسيّة ببغداد ، ولاه المنصور الجزيرة وأعمالاً سواها ومات ببغداد ، وكان يكنى أبا الفضل ، وكان الأعراب قد كثروا ببغداد في حُطمة فأجرى العباس على بعضهم خبزاً كان يفرق فيهم ، فقال شاعرهم حين قطع ذلك عنهم .

إن يقطع العباسُ عني رغيفه فما فاتني من نعمة الله أكثرُ

وفيه يقول سعيد بن سلم المساحقي :

ألا قُل لعباسٍ على نأي داره عليك السلامُ من أخٍ لك حامدِ
أتاني ولمّا ينس ماكان بينه وبيني من ود فكنت كشاهدِ

في أبيات .

وقد حج عبيد الله بن العباس بالناس، وولي الفضل بن العباس مكة للرشيد، وحج بالناس.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر ضرار بن عبد المطلب:

وأما ضرار بن عبد المطلب أخو العباس لأمه، فإنه لم يولد له ولم يتزوج وماتَ قبل الاسلام وهو حدّث.

وقال الكلبي: كان يُكنى أبا عمرو. وذكر بعضهم أنه كان أسن من العباس بسبع سنين.

وقال أبو اليقظان: كان ضرار يقول الشعر ولاعقب له.

وأما حمزة بن عبد المطلب:

فيكنى ابا يعلى وأبا عمارة وهو أسد الله وأسد رسوله، وامه هالة بنت أهيب الزهري. وروي أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده انه لمكتوب في السماء حمزة بن عبد المطلب اسد الله وأسد رسوله».

وقال الكلبي: كان لحمزة بن عبد المطلب من الولد يعلى وبكر وعامر درج، وأمهم بنت الملّة بن مالك من الأوس.

وقال غير الكلبي هي من بني سليم.

وعمارة بن حمزة وأمه خولة بنت قيس بن قَهْد من الأنصار من بني

النجار. وأمامة بنت حمزة، وأمها سلمى بنت عُميس الخثعمية.

قال: وكان ليعلى بن حمزة أولاد وهم: عمارة، ويعلى، والفضل، والزبير، وعقيل، ومحمد، درجوا فلم يبق لهم عقب.

وقال هشام الكلبي: زوّج النبي ﷺ أمامة بنت حمزة، سلمة ابن أم سلمة زوجته، وأبوه أبو سلمة بن عبد الأسد، فهلك قبل أن يجتمعا، وأخوا امامة لأمها: عبد الله، وعبد الرحمن ابنا شداد بن الهاد الكناني.

وقال الواقدي: كانت ابنة حمزة بمكة، فقال علي لرسول الله ﷺ في عمرة القضاء: علام نترك ابنة عمنا حمزة يتيمة بين ظهراني المشركين، فأخرجها فتكلم فيها زيد بن حارثة فقال: أنا أحق بها لأني وصي أبيها، وقال علي: أنا أحق بها هي ابنة عمي وأنا اخرجتها، وقال جعفر بن أبي طالب: أنا أحق بأن تكون عندي، هي ابنة عمي، وخالتها عندي، فقال رسول الله ﷺ: «الخالة والدة»، وقضى بها لجعفر. وبعض الرواة يقول ان اسم بنت حمزة أمة الله، وبعضهم يقول أم أبيها، وقال بعضهم اسمها عمارة، والثبت أن اسمها أُمَامة.

وحدثني حفص بن عمر العمري، حدثني اسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه عن جده، أن عُمارة بن حمزة قدم العراق مع المسلمين فجاهد وقتل دهقاناً ثم انصرف فتوفي.

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن يونس بن يزيد الايلي عن الزهري، قال: زوّج رسول الله ﷺ أمامة بنت حمزة من سلمة بن أبي سلمة، فلم يضمّها إليه، وذلك أنه أصابه خبل وإكسال، ومات في أيام عبد الملك بن

مروان، وكان عمر أخوه أسن منه، فتزوج أمامة ومات أيضاً في أيام عبد الملك.

قالوا: وكان اسلام حمزة عليه السلام غضباً لرسول الله ﷺ، وذلك أن أبا جهل بن هشام آذى رسول الله ﷺ وأسمعه وشتمه، فأخبرتْ حمزة بذلك مولاة لابن جُدعان التيمي، ويقال سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب، وقد انصرف من قنصه، وكان صاحب صيد، فقصد إلى أبي جهل فضربه بقوسه فشجه وقال: اتشتم ابن أخي وتضيمه وأنا على دينه، وشهد بشهادة الحق.

وقال الواقدي: نال أبو جهل وابن الأصدا الهذلي، وابن الحمراء ذات يوم من رسول الله ﷺ وآذوه، فبلغ ذلك حمزة، فدخل المسجد مغضباً فضرب رأس أبي جهل بقوسه ضربة أوضحت في رأسه، ثم أسلم، فعزّ به رسول الله ﷺ وذلك بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وفيها جدد البيعة على حمزة وعلى أخته صفية بنت عبد المطلب، وكان أسلم قبلها، وكان حمزة أسنّ من النبي ﷺ بنحو من أربع سنين.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أن يعضدني بأحب عمومتي إليه، فعضدني بحمزة والعباس».

وروي أن النبي ﷺ قال: «إن الله أكرمني باسلام خيار أهل بيتي، فيميني حمزة، وشمالي جعفر».

وحدثني علي بن محمد المدائني قال: بلغني أن هالة بنت أُهيب كانت تقول، وهي تعني حمزة: والله ماحملته وضعاً ولاوضعته يَتْناً، ولاأرضعته غيلاً، ولاأنمته على مأقة، وقد روي هذا القول عن أم تأبط شراً الفهمي. الوضعُ

والتُّضْعُ جميعا ان تحمله على استقبال الحيض، واليَتْنُ أن تخرج رجلاه قبل رأسه، والغَيْلُ: أن تسقيه لبنها وهي حامل،والمأقَةُ البكاء.

وقال الواقدي: لما هاجر حمزة نزل مع رسول الله ﷺ على مكتوم بن الهدم، ويقال على سعد بن خيثمة،وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة مولاه،وإليه أوصى يوم أُحد عند القتال. وكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لواء حمزة. ويقال كان لواؤه ثانياً. وكان حمزة يوم بدر معلماً بريشة نعامة، ويقال بصوفة بيضاء في صدره، وبارز يومئذ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فقال حمزة: أنا أسد الله ورسوله، فقال عتبة: أنا أسد الحلفاء، فقتله حمزة. وبارز علي عليه السلام، الوليد بن عتبة بن ربيعة فقتله،وبارز عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، شيبة بن ربيعة فاختلفا ضربتين فارتثّ عبيدة وكرّ حمزة وعلي جميعاً على شيبة فأجهزا عليه وتخلصا عبيدة فمات بالصفراء[1]، وقال بعضهم ان الذي بارز حمزة شيبة وان المبارز لعبيدة عتبة، وقتل حمزة وعلي يومئذ حنظلة بن أبي سفيان بن حرب وغيره، ونكيا في العدو نكاية شديدة، فقالت قريش: مافعل الأفاعيل إلا أخو صفية وابنها وابن أَخيها يعنون: حمزة،والزبير، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وروى محمد بن اسحاق أن حمزة قتل يوم بدر: الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وطعيمة بن عدي النوفلي بأمر النبي ﷺ بين يدي النبي ﷺ صبراً[2].

علي بن محمد المدائني عن أشياخه قالوا: انصرف حمزة يوم بدر، ولعلي

---

١ ـ الصفراء: واد قرب المدينة بينه وبين بدر مرحلة. المغانم المطابة.

١ ـ سيرة ابن هشام ج١ ص٥٢٨ ، ٥٣١ .

شارف، فنظر حمزة إليها وهو يشرب وذلك قبل تحريم الخمر وقينة تغنيهم، فقالت القينة:

الا يا حمز للشُّرفِ النواء وهنَ مُعقّلاتٌ بالفِناء
ضع السكين في اللبات منها فضرجهن حمزةُ بالدماء
وعجّل من أطايبها لشرب كرام من طبيخ أو شواءِ

فقام حمزة إلى الشارف فنحرها وجبّ سنامها، فشكا علي ذلك إلى رسول الله ﷺ وبكى، فقال حمزة: لقد أنكرت غيرَ منكر، ومتى لم أكن لك سيّداً!.

قالوا: وحمل حمزة لواء رسول الله ﷺ في غزاة بني قينقاع ولم تكن الرايات يومئذ، وكان اللواء ابيض.

وحدثني عبد الله بن أبي أميّة عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال أمية بن خلف الجمحي لعبد الرحمن بن عوف يوم بدر: ياعبد الإله من المعلم بريش نعامة في صدره؟ قال: ذلك حمزة عم رسول الله ﷺ، فقال: ذاك الذي فعل الأفاعيل. قالوا: وبارز حمزة يوم أحد أبا نيار سباع بن عبد العزى بن نضلة بن عمرو بن غبشان الخزاعي، وكانت أمه قابلة بمكة، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يابن قطّاعَة البظور، فقتله حمزة وأكبّ ليأخذ درعه فزرقه وحشي فقتله.

وقال الكلبي والواقدي: أم انمار بنت سباع هذا هي مولاة خباب بن الأرت.

واستشهد حمزة رضي الله عنه يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وهو ابن تسع وخمسين سنة؛ وكان رجلاً ربعة ليس بالطويل

ولاالقصير، قتله وحشي بن حرب الأسود عبد جبير بن مطعم؛ وذلك أن جبيراً ضمن له إن أصاب رسول الله ﷺ أو حمزة أو علياً أن يعتقه، ويقال إنه كان مولاه ولم يكن عنده فجعل له جعلاً، ويقال إنه كان عبداً لطعيمة بن عدي.

وروي أن وحشياً كان عبداً لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان أبوها قتل يوم بدر فقالت له: إن قتلت أحد هؤلاء الثلاثة فأنت عتيق، فلما قتل حمزة عتق. ويقال إن هنداً بنت عتبه أم[1] معاوية قالت لوحشي: إن قتلت حمزة أو علياً فلك حكمك، فلما قتل حمزة أعطته سلبها وما كان عليها من حلي، وزادته على ذلك، وكانت في رجليها خواتيم فدفعتها إليه.

وروي أيضاً ان حمزة لما قتل سباعاً وأكبّ ليأخذ درعه سقط في جرف فرماه وحشي بمزراقه فوقع في ثنته[2] حتى خرج من بين رجليه فقتله، ثم شقّ بطنه وأخرج كبده فجاء بها إلى هند فمضغتها ثم لفظتها، وجاءت فمثلت به واتخذت مما قطعت منه مَسَكتين[3] ومعضدين وخدمتين[4] فقدمت بذلك وبكبده إلى مكة، فسميت آكلة الاكباد.

وعمد معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن امية إلى حمزة فجدع أنفه فقُتِل على أحد بعد انصراف قريش، وليس له عقب إلا عائشة بنت معاوية أم عبد الملك بن مروان.

١ ـ بالأصل: بنت وهو تصحيف صوابه ماأثبتناه.
٢ ـ في هامش الأصل: الثنة مابين السرة والعانة.
٣ ـ المسك: الأسورة والخلاخيل. القاموس.
٤ ـ أي خلخالين. القاموس.

قالوا: وفقد رسول الله ﷺ حمزة، فقال للحارث بن الصمة الانصاري: «ألا تعلم لي علم عمي حمزة»، فمر به مقتولاً فكره أن يخبر النبي ﷺ بذلك، فقال لعلي: «ألا تعلم لي علم حمزة»، فمرّ به مقتولاً فكره أن يخبر النبي ﷺ بذلك، فقال لسهل بن حُنيف الأنصاري: «ألا تعلم لي علم حمزة»، فلقي علياً والحارث بن الصمة فأخبراه بخبر حمزة فأقام معهما. ثم قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «ائتني بخبر حمزة»، فلم يجد بداً من أن يأتيه به فأخبره بمصابه فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: «لاأُصاب بمثله فعند الله أحتسبه». وتصفح رسول الله ﷺ القتلى فوجده في بطن الوادي قد مُثِّل به فبكى، وقال: «لولا أن أغمَّ صفية أو تكون سُنّة بعدي ان لا يُدفن القتلى لتركته حتى يُحشر من حواصل الطير وبطون السباع، ولئن اظهرني الله عليهم لأمثّلنّ بقتلاهم»، فانزل الله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾[1] فقال ﷺ: «بل نصبر».

وقال الواقدي في روايته: وجاءت صفية وكانت أخته لأمه وأبيه تسأل عن خبر رسول الله ﷺ، وخبر حمزة فقالت لعلي: كيف رسول الله ﷺ؟ فقال: سالم صالح، فسألته عن حمزة فلم يبين لها شيئاً من خبره فجعلت تطلبه وقد تزاحمت الأنصار عليه فلم تره، فأمر رسول الله ﷺ ابنها الزبير بن العوام فردها فانصرفت. وكفن رسول الله ﷺ حمزة في بردة قصُرت عنه، فغطى وجهه، وجعل الحرمل[2] على رجليه.

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، حدثنا حاتم بن اسماعيل، حدثنا

١ ـ سورة النحل ـ الآية: ١٢٦ .

٢ ـ الحرمل نبات، حبه يخرج السوداء والبلغم اسهالا. القاموس.

أسامة بن زيد عن ابن شهاب عن أنس بن مالك، قال: أتى رسول الله ﷺ على حمزة يوم أحد فوقف عليه فرآه قد مثِّل به فقال: لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته تأكله الطير العافية حتى يحشر من بطونها، ثم دعا بنمرة فكفنه فيها فكانت إذا مدت على رأسه بدت رجلاه وإذا مدت على رجليه بدا رأسه.

قال: وكثرت القتلى وقلت الثياب، فكفّن الرجلان والثلاثة في ثوب واحد، ودفنوا في قبر واحد جميعاً، وجعل رسول الله ﷺ يسأل عنهم أيّهم أكثر قرآنا فيقدمه إلى اللحد، ودفنهم رسول الله ﷺ ولم يصلِّ عليهم.

وحدثنا اسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا أبو الوليد سليمان بن داود الهاشمي، حدثنا ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عروة، قال: أخبرني الزبير أنه لما كان يوم أحد اقبلت امرأة تسعى حتى كادت تشرفُ على القتلى، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم فقال: المرأة المرأة! قال الزبير: فتوسمت فإذا هي أمي صفية بنت عبد المطلب، فخرجت أسعى إليها فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى قال: فلدمت[1] في صدري، وكانت امرأة جلدة وقالت: إليك لاأرض لك، قال فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك، قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله فكفنوه فيهما، قال: فجئت بالثوبين ليكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قد فعل به كما فعل بحمزة فوجدنا غضاضة وحياء أن يكفن حمزة في ثوبين والأنصاري بلا كفن فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر فاقترعنا بينهما فكفنّا كل واحد في الثوب الذي طار له.

١ - لدم: لطم، وضرب بشيء ثقيل يسمع وقعه.

قالوا : ودفن حمزة وعبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي ، وأمه أُميمة بنت عبد المطلب ، وهو أخو زينب بنت جحش في قبر واحد . وكان حمزة أول من صلى عليه النبي ﷺ من الشهداء يومئذ ، ثم جعل يؤتى بشهيد بعد شهيد فيوضع إلى جنب حمزة فيصلّي عليه النبي ﷺ ، وعلى الشهيد حتى صلى على حمزة سبعين مرة ، ونزل في قبره : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والزبير ، وكان رسول الله ﷺ على شفير القبر وقال : لقد رأيت الملائكة غسلت حمزة .

قالوا : وانصرف رسول الله ﷺ من أُحُد فسمع بكاء النساء على قتلاهن فقال : «لكن حمزة لا بواكي له» ، فجمع سعد بن معاذ نساء بني عبد الأشهل بن الأوس إلى باب رسول الله ﷺ فبكين على حمزة ، حتى سمع رسول الله ﷺ بكاءهن فقال : «قد آسيتن وأحسنتنّ» ، ودعا لهن وردهن ، فليس تبكي امرأة من الأنصار مُذْ ذاك ميتها حتى تبدأ بالبكاء على حمزة ، ثم تتبع ذلك بالبكاء على ميتها .

حدثني عبدالله بن صالح قال : حُدّثت عن عبد الجبار بن الورد عن أبي الزبير عن جابر أنه قال : لما أراد معاوية أن يجري عينه التي بأُحد كتبوا إليه : إنا لا نستطيع أن نجريها إلاّ على قبور الشهداء ، فكتب : انبشوهم ، قال : فرأيتهم يحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام ، وأصابت المسحاة طرف رجل حمزة فانبعث دماً .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله أن معاوية بن أبي سفيان أمر بكظامة[1] تصنع له ، فمرت

١ ـ الكظامة : فم الوادي ، وبئر بجنب بئر بينهما مجرى في بطن الأرض . القاموس .

بقتلى أحد فاستخرجوا من قبورهم رطاباً تنثني أطرافهم بعد أربعين سنة .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا أبو الزبير عن جابر وعمرو بن دينار ان المسحاة أصابت قدم حمزة فدميت بعد أربعين سنة .

قال كعب بن مالك الانصاري يرثي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

ولقد هُدِدْتُ لفقد حمزة هَدّةً ... ظلّت بنات القلب منها ترعدُ
ولو انه فجع الجبال بمثله ... ظلت رواسي صخرها تتهدّد
قرمٌ تمكّن في ذؤابة هاشم ... حيثُ النبوة والتُّقى والسؤدد
التاركُ القِرن الكمّي مجدّلاً ... يوم الكريهة والقنا يتقصّد
وتراه يرفل في الحديد كأنه ... ذو لبدةٍ شثن البراثن أربد
عم النبي محمد وصفيّة ... ورد الحِمامَ فطابَ ذاك المورد
وأتى المدينة معلماً في أُسرة ... نصروا الإله وحقَّه فاستشهدوا
ولقد أتاني أنّ هنداً بشّرت ... لتميت عاجل غصّةٍ لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل[1] قومها ... يوماً تغيَّب فيه عنها الأَسعد[2]

وقال أيضاً :

صفيّةُ قومي ولا تعجزي ... وبكّي النساءَ على حمزة
ولا تسأمي أن تطيلي البكاء ... على أسد الله في الهِزَّة[3]

---

١ ـ العقنقل : الكثيب من الرمل .
٢ ـ انظر القصيدة كاملة في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٧ .
٣ ـ الهزاهز : تحريك البلايا والحروب للناس .

فقد كان ركناً لنا راسياً وليث الملاحم في البزّة[1]
يريد بذاك رضى أحمد ورضوان ذي العرش والعزّة[2]

وقال حسان ويقال كعب بن مالك :

بكت عيني وحُقّ لها بكاها وما يُغني البكاءُ ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول[3]

في أبيات .

وحدثني المدائني عن الوقاصي عن الزهري ، قال : كان حمزة مُعلماً يوم أحد بريشه نسر ، فنظر إليه صفوان بن أمية وهو يهدّ الناس هدّاً فقال : من هذا ؟ قالوا : حمزه بن عبد المطلب ، فقال : ما رأيت كاليوم رجلاً أسرع في قومه .

حدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح عن الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة عن الحسن بن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بقتل وحشي قاتل حمزة فيمن أمر بقتله من ابن خطل وغيره ، فهرب إلى الطائف ، فلم يزل مقيماً هناك حتى قدم في وفد أهل الطائف فدخل على رسول الله ﷺ وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقال ﷺ : وحشي ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : حدثني كيف قتلت حمزة ؟ فأخبره فقال رسول الله ﷺ : «غيّب

١ ـ البزة : السلاح والشارة الحسنة .
٢ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٨ .
٣ ـ نسب ابن إسحاق القصيدة إلى عبدالله بن رواحة . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٦٠ .

عني وجهك قاتلك الله»[1] . قال وحشي : فكنت اذا رأيته تواريت ، ثم خرج الناس إلى مسيلمة الكذاب وخرجت معهم فزرقته بالحربة ، وضربه رجل من الأنصار فربّك أعلم أيُّنا قتله .

وحدثني الوليد ومحمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن ابن أبي عون عن الزهري عن عروة عن عبيدالله بن عدي بن الخيار قال : غزونا الشام في زمن عثمان ، فمررنا بحمص فقلنا : وحشي ، قالوا : لا تقدرون عليه هو الآن يشرب الخمر حتى يصبح ، فبتنا من أجله ونحن ثمانون رجلاً ، فلما صلينا الصبح أتيناه فقلنا له : حدثنا عن قتلك حمزة ، فكره ذلك فألحنا عليه ، فقال : كنت عبداً لمطعم بن عدي فورثني جبير بن مطعم ، فلما خرج إلى أُحد دعاني فقال : قد رأيت مقتل عمي طعيمة بن عدي قتله حمزة بين يدي محمد ، فإنْ قتلته فأنت حر ، ومررتُ بهند بنت عتبة فقالت : ايه أبا دسمة اشتَفِ واشف .

فلما وردنا أُحد رأيت حمزة يقدم الناس ويهدُّهم هدّاً ، فكمنت له خلف شجرة ومعي مزراقي ، وعرض له سباع الخزاعي ـ وكانت أمه ختّانة بمكة وهي مولاة لشريق بن عمرو الثقفي ـ فقتله . وأزرقه زرقة وقعت في ثنّته حتى خرجت من بين رجليه فقتلته ، وأمرّ بهند فأعطتني حليها وثيابها ،

وأما مسيلمة فاني زرقته وضربه رجل من الأنصار فالله أعلم أينا قتله ، إلا أني سمعت امرأة تصيح : قتله العبد الحبشي . قال عبيدالله : فقلت اتعرفني ؟ فأكرّ بصره ينظر إليّ ثم قال : ابن عدي لعاتكة بنت أبي العيص ؟

---

١ ـ مغازي الواقدي ص ٨٦٢ ـ ٨٦٣ .

قلت : نعم ، قال : أما والله ما لي بك عهد بعد أن رأيتك في محفتك التي أرضعتك فيها فعرفت قدميك .

وقال عبدالله بن جعفر : بلغني أن هنداً أعطته خدمتين من جزع ظفار ، كانتا في رجليها ، ومسكتين من ورق، وخواتيم من ورِق .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو داود صاحب الطيالسة ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، حدثنا عبدالله بن الفضل الهاشمي عن سليمان بن يسار عن عبيدالله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل قال : أقبلنا من الروم فلما كنا بحمص قلنا : نأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة ، فانطلقنا فرأينا رجلًا فسألناه عنه فقال : هو رجل قد غلب عليه شرب الخمر فإن أنتم أدركتموه شارباً فلا تسألوه عن شيء ، وإن وجدتموه صاحياً فسيخبركم عما تسألونه عنه . فمضينا نريده فاذا هو قاعد على بابه ، فلما رفعنا له نظر فقال : ابن الخيار ؟ قلت : نعم ، قال : والله ما رأيتك مذ ولدتك أمك بذي طوى ، فإني حملتك إليها فلما رُفعت لي قدماك عرفتهما . فقلت : جئنا نسألك عن قتلك حمزة . فقال : سأحدثكم كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني؛ إني كنت غلاماً عبداً لآل مطعم بن عدي فقال لي ابنُه : إن قتلت عمَّ محمد بعمّي فأنت عتيق . فخرجت وما لي حاجة إلّا قتل حمزة ، فأخذتُ حربتي وأنا من الحبشة ألعب بالحربة لعبَهم وذلك يوم أُحد ، فنظرتُ إلى حمزة وهو مثل البعير الأورق ، وما يرفعُ له أحد إلا قمعه بالسيف فهبتُه هيبة شديدة ، ونظرت كيف أصنع ، فبدرني إليه سباع فلما رآه حمزة قال : هلمّ إليّ يا بن مقطّعةالبظور ـ وكانت أمه ختّانة ـ فدنا منه فضربه ضربة بالسيف ففرغ منه ، فهبتُه وفرقته فاستترت بشجرة وأَمَلْتُ حربتي حتى

إذا رضيتُ موقعها أرسلتها فوقعت بين ثندوتيه ، فذهب ليقوم فلم يستطع ، ثم أخذت الحربة وجلست فما قاتلت أحداً قبل ولا بعد ولا قتلته ، فلما قدمت مكة عتقتُ .

وقال الكلبي : قتل وحشي حمزة وشرك في قتل مسيلمة فكان يقول : قتلت خير الناس وشر الناس .

قال : وقالت صفية بنت عبد المطلب : أشرفت من الأطم فرأيت رجلاً زرق أخي بمزراق فقلت : أو من سلاحهم المزاريق ؟ ولم أدر أنه إنما وقع بأخي حمزة .

وحدثني محمد بن حاتم بن ميمون وعمرو بن محمد قالا : حدثنا ابن نمير- زياد بن المنذر عن أبي جعفر قال : كانت فاطمة تأتي قبر حمزة فترمّه وتصلحه .

وحدثني مظفر بن المرجّى عن ابن أبي فديك عن أبي حميد عن ابن المنكدر قال : لما ناح نساء الأنصار على حمزة قام النبي ﷺ يتسمّع ثم انصرف ، فقام على المنبر من الغد ينهى عن النياحة كأشدّ ما نهى عن شيء قط وقال : كل نادبة كاذبة إلا نادبة حمزة .

وأما المقوم بن عبد المطلب :

وهو أخو حمزة لأمه ، فكان يكنى أبا بكر ، ومات عبد المطلب وهو ابن خمس عشرة سنة ، ومات هو قبل المبعث بست سنين . وكان للمقوم ابنة تزوجها عمرو بن محصن أحد بني مبذول بن مالك بن النجار من الخزرج يقال لها هند ، فولدت له بشيراً ، وهو أبو عمرة بن محصن قتل مع علي يوم صفين . وكانت عند مسعود بن معتب الثقفي فاختة بنت المقوم ، ثـم خلف عليها معتب بن أبي لهب ، ثم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وفاختته لقب ، وكانت تكنى أم عمرو . وكانت عند أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أروى بنت المقوم فلها منه بنات . وأم ولد المقوم بنت عمرو بن جعونة بن عربة من بني سهم .

وأما حجل[1] بن عبد المطلب :

وهو أخو حمزة أيضاً لأمه ، فكان اسمه المغيرة ، والحجل لقب ، وهو اليعسوب[2] ، وكان أصغر من المقوم بسنة مات بعد المقوم بسنة فاستكمل عمره ، قال ابن الأعرابي : أخبرني بذلك المسيبي . قال : وكان لحجل ابن يقال به قُرّة بن حجل ، وبه كان يكنى ، وهو القائل :

اذكر ضرارا إن عددتَ فتى ندىً ... والصتم[3] حجلاً والفتيّ الرآسا
واذكر زبيرا والمقوّم بعده ... والليث حمزة واذكر العباسا

وقد كتبنا أبياته على تأليفها فيما تقدم .

١ ـ في هامش الأصل : بتقديم الحاء المهملة على الجيم الساكنة .
٢ ـ اليعسوب : أمير النحل . القاموس .
٣ ـ الصتم : الرجل البالغ أقصى الكهولة . القاموس .

وأما الحارث بن عبد المطلب :

وبه كان يكنى ، فأن كنيته أبو ربيعة ويقال أبو المغيرة ، ومات قبل مولد رسول الله ﷺ ، وهو أكبر اخوته وأمه صفية بنت جُنيدب من بني سُواءة بن عامر بن صعصعة ، وكان له من الولد : ربيعة وهو أسنّ من عمه العباس بسنتين ، ويقال أربع ، أسر يوم بدرٍ كافراً ففداه العباس ثم أسلم ، وقد روَى عن النبي ﷺ ، وكان يكنى أبا أروى وداره بالمدينة في بني جَدِيلة ومات في خلافة عمر بن الخطاب . وقال رسول الله ﷺ : «نعم الرجل ربيعة لو قصَّ من شعره وشمّر من ثوبه» . وكان لربيعة ابن يقال له آدم قتلته بنو ليث في حرب كانت بينهم وبين هذيل ، وكان مسترضعاً له في هذيل فأصابه حجر وهو يحبو ، فوضع رسول الله ﷺ دمه مع ما وضع من الدماء في الجاهلية يوم الفتح .

قال أبو عمرو الشيباني وغيره : خرج حذيفة بن أنس الشاعر بقومه غازياً لبني الدِّيل وبكر بن كنانة فوجدهم قد انتقلوا عن المنزل الذي عهدهم فيه ونزله بنو سعد بن ليث فأغار عليهم ، فقتل آدم بن ربيعة ، وكان

مسترضعاً له فيهم ، وهو صغير . ومن ولد ربيعة ، محمد بن ربيعة بن الحارث ويكنى أبا حمزة ، وكان فقيهاً . ومن ولد ربيعة عبد المطلب بن ربيعة .

حدثني عمرو بن محمد عن محمد بن فضيل بن غزوان عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال : مشى بنو عبد المطلب إلى العباس فقالوا : كلِّم رسول الله ﷺ في أن يجعل إلينا من هذه السعاية على الصدقات ما يجعل إلى الناس . قال : فبعث العباس ابنه الفضل وبعثني أبي ربيعة بن الحارث إلى النبي ﷺ حتى دخلنا عليه فأجلسني والفضل عن يمينه وشماله ثم أخذ بأذني وأذن الفضل فقال : «أخرجا ما تصرّران» ، فقلنا : بعثنا إليك عمك واجتمع بنو عبد المطلب يسألون أن تجعل لهم نصيباً في هذه السعاية ، فقال : «إن الله أبى لكم يا بني عبد المطلب أن يطعمكم أوساخ أيدي الناس ، أو قال غسالة أيدي الناس ، ولكن لكما عندي الحباء والكرامة ، أما أنت يا فضل فقد زوجتك فلانة ، وأما أنت يا عبد المطلب بن ربيعة فقد زوجتك فلانة» ، فرجعنا فأخبرنا بقول رسول الله ﷺ .

وقد روي أيضاً أن العباس مشى إلى النبي ﷺ ومعه الفضل و(عبد) المطلب فكلمه في توليتهما الصدقة وقال : قد بلغا ولا نساء لهما ، فقال : «إنما هي أوساخ الناس وما أنا بموليهما» .

ومن ولد ربيعة ، محمد بن عبد المطلب بن ربيعة كان ناسكاً فاضلاً ، من ولده : عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبد المطلب ولي اليمن ، ومحمد بن عبدالله بن سليمان ولاه الرشيد المدينة ، والمغيرة بن الحارث بن عبد

المطلب ، وهو أبو سفيان الشاعر الذي كان يهاجي حسان بن ثابت الأنصاري وفيه يقول :

أبوك أبو سوءٍ وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالكا[١]

وكان يقول في رسول الله ﷺ ، ثم أسلم في الفتح فحسن اسلامه ، ومدح رسول الله ﷺ وهو الذي يقول :

لعمرك إني يومَ أحملُ راية لِتغْلِبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدِ
لكالمدلج الحيران أظلمَ ليلُه فهذا أواني اليوم أهدي وأهتدي

في أبيات .

وأسلم أبو سفيان بن الحارث في الفتح فحسن إسلامه ، وصبر مع النبي ﷺ يوم حنين ، وقال له رسول الله ﷺ : «أنت ابن أمي ومن خير أهلي» ، وقال : «إني لأرجو أن تكون خلفاً من حمزة» . ومات أبو سفيان بالمدينة سنة عشرين وصلى عليه عمر بن الخطاب ، ودفن في دار عقيل بن أبي طالب . وأُمُ أبي سفيان (و) ربيعة ونوفل وعبد شمس ، وعبدالله ، وأميّة بني الحارث غُزَيّة بنت قيس بن طريف بن عبد العُزّي بن عَامِر ، من بني الحارث ابن فهر .

ومن ولد أبي سفيان : جعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، يذكر أهله أنه أدرك مع النبي ﷺ حنيناً ، ومات في وسطٍ من أيام معاوية .

ومن ولد الحارث بن عبد المطلب نوفل بن الحارث وكان يكنى أبا الحارث ، ويقال إنه محمد ، ثبت مع النبي ﷺ يوم حنين ومات لسنتين من

١ ـ ديوان حسان ج١ ص ٥٠١ .

خلافة عثمان . ومن ولده المغيرة بن نوفل ولاه الحسن بن على الكوفة حين سار إلى معاوية . وسعيد بن نوفل كان فقيهاً ، والصلت بن عبد الله بن نوفل كان فقيهاً ، وعبد الله بن المغيرة بن نوفل بن الحارث أبو محمد هلك في زمن عمر بن عبد العزيز . وكان لوط بن اسحاق بن المغيرة بن نوفل بن الحارث ، يكنىٰ أبا المغيرة ، عابداً عالماً فقيهاً مات في خلافة أبي جعفر أمير المؤمنين ، ومات ابنه محمد بن لوط في خلافة أبي جعفر أيضاً .

ومن بني نوفل يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل ، ويكنى أبا خالد ، وكان فقيهاً مات بالمدينة سنة سبع وستين ومائة . ومنهم الزبير بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن الحارث ، ويكنى أبا القاسم ، مات في أيام المنصور أبي جعفر .

ومن ولد جعفر بن الحارث ، الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، صحب النبي ﷺ واستعمله على بعض أعمال مكة ، وولاه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مكة ، ثم انتقل إلى البصرة واختط بها داراً ونزلها في ولاية عبد الله بن عامر بن كريز ، ومات في آخر خلافة عثمان .

وقال محمد بن سعد : كان عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أول من ولي القضاء بالمدينة في زمن مروان بن الحكم ، ومات في سنة أربع وثمانين . وقال أهل بيته مات في زمن معاوية ، وكان يشبّه بالنبي ﷺ ، وأنكروا أن يكون ولي القضاء[1] .

ومن ولد نوفل ، عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو بَبَّة ، وإنما سمي ببّة لأن أمه هند بنت أبي سفيان بن حرب

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٤٤ ـ ٤٥ مع شيء من الفوارق .

ـ وأمها أم عمرو ابنة أبي عمرو بن امية ـ وكانت تزفنه صغيراً ـ أي ترقصه فتقول :

لأُنكحن بَّبه جارية خدبّه عظيمة كالقبه

إذا بدت في نقبه تمشطُ رأس لعبه تجب أهل الكعبه

كريمة في النسبه

وكان ممن سفر بين الحسن بن علي وبين معاوية في الصلح ونزل مع أبيه بالبصرة . وكان سأل معاوية توليته فقال : لام الف ، يعني لا ، وولاه عبيد الله بن زياد أمر مدينة الرزق ، وأعطاء الناس ، وحبسه ابن زياد ثم خلى سبيله .

ولما هاج أهل البصرة بابن زياد بعد موت يزيد بن معاوية واستخفى ابن زياد في منزل مسعود بن عمرو الأزدي ، التمس أهل البصرة من يقوم بأمرهم ، فقلدوا الاختيار لهم النعمان بن صهبان الراسبي ، وقيس بن الهيثم السُّلمي . وكان رأي قَيس في بني أمية ، ورأي النعمان في بني هاشم ، فخلا النعمان بن صهبان بقيس فقال له : الرأي أن نقيم رجلاً من بني أمية ، فقال : نِعْمَ ما رأيت ، فخرجا إلى الناس فقال قَيس : قد رضيت بمن رضي به النعمان وسماه لكم ، فقال النعمان : قد اخترت لكم عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث الهاشمي ، فقال له قَيس : ليس هذا بالذي اعلمتني أنك تختاره ، فقال : بلى لعمري ما ذكرتُ غيره أفَبَدَا لك وقد مضى الأمر ؟ فرضوا به وبايعوه إلى أن يجتمع الناس على إمام ، ومكث عليهم أشهراً .

ثم إن الامور انتشرت واضطربت فقيل لبّبه : قد أكل بعض الناس

بعضاً وظهر الفساد حتى أن المرأة لتؤخذ فتفضح فلا يمنعها أحد ، وقد انتشرت الخوارج بالمصر، قال: فماذا ترون؟ قالوا: تبسط يدك وتشهر سيفك ، قال : ما كنت لأصلحكم بفساد نفسي وديني ، يا غلام هات نعلي ، فأعطاه نعله فلبسها ومضى إلى أهله ؛ وقال : ولّوا أمركم من شئتم ؛ فأمّروا عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي من قريش ، وقدم بعده القباع من قبل عبد الله بن الزبير ، وكان عمر قد أخذ البيعة لابن الزبير ، فزعم بعضهم أنه كتب إليه بولايته ، ثم بعث بالقباع بعده . ثم إن ببّه خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ، فلما هزم ابن الاشعث خاف ببّه الحجاج فهرب إلى عُمان فمات بها بعد دخولها بقليل ، وهو شيخ كبير . وكان في اذن ببّه ثقل . ويقال إن أهل البصرة ولّوا بعد ببّة عمر بن عبيد الله بن معمر أو أخاه عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ، ثم ولى ابن الزبير عمر بن عبيد الله فاستخلف أخاه عبيد الله . وكان ببّة قد تناول من مال عمله أربعين ألفاً من بيت المال واستودعها رجلاً فأخذه بها عمر وحبسه وعذب مولى له فأدّاها . وقال يزيد بن عبد الله بن الشخّير لببة : اصبت من المال وزعمت أنك اتقيت الدّم ، فقال : تبعة المال أهون من تبعة الدم .

وقال الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش ، ان اهل البصرة كتبوا الى ابن الزبير : إنّا قد اصطلحنا على ببّة ، فأقره عليهم سنة ثم ولّى القباع المخزومي ، والخبر الاول أثبت ، فقال الشاعر الحنظلي :

وبايعتُ أقواماً وفيتُ بعهدهم وبايعتُ عبد الله أهل المكارم
وفيتُ له لما عقدتُ ولم يكن أمية لولا العهد عندي كهاشم

وكان أهل البصرة يقولون :

قد خطبَ الجمعةَ بانكويِّه أميرُنا بَبّة لا لُبَيّه

وقال الفرزدق :

وبايعتُ أقواماً وفيتُ بعهدهم وببّةَ قد بايعتُه وهو نائم[1]

وكان من ولد ببّة الأرجوان ، وهو عبيد الله بن عبد الله ببّة بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وحُدَّ في الشراب مرتين . وكان من ولد ببة عبد الله بن عبد الله ببة بن الحارث أبو يحيى ، قتلته الشموس والسموم بالأبواء سنة تسع وتسعين ، وهو مع سليمان عبد الملك ، وهو صَلى عليه .

وكان من ولد الحارث بن عبد المطلب ، عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه الفضل بن العباس ، وابنه الفضل بن عبد الرحمن الذي يقول :

إذا ما كنت متّخذاً خليلاً فلا تجعل خليلك من تميم
بلونا حُرّهم والعبدَ منهم فما عُرف العبيدُ من الصميم
موالينا إذا احتاجوا إلينا وسيرٌ قُدَّ من وسط الاديم
وأعداءٌ إذا ما النعل زلّت وأولُ من يغير على الحريم

وهو الذي رثى زيد بن علي ، وقد كتبنا شعره مع مقتل زيد .

وكان عبد الرحمن مع ابن الاشعث وشخص معه الى سجستان فتأمّر بها على فلّه حين لجأ ابن الأشعث إلى رتبيل ، وصار إلى خراسان فغلب على هراة ، فزحف إليه يزيد بن المهلب فهزمه يزيد ، وأمر أن لا يتبع وأن يمسك عنه ، فمضى إلى السند فمات بها . وكان يقال لعبد الرحمن هذا روّاض

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

البغال ، وكان يتخذها ويجيد ركوبها ، وقاتل أيضاً بأهل البصرة وأهل الكوفة ممن كان مع ابن الاشعث بالمربد حتى هزم ، وكان يقول :

أنا ابن عباس بن عبد المطلب للاجر يوم المربد من محتسب
ابيض شارٍ بالدماء مختضب

ثم هرب فلحق بسجستان ، فقال الفرزدق :

وافلت روّاض البغال ولم تدعِ له الخيل في عرسيه اذ فَرَّ مشغرا[1]

وحدثني أبو مسعود بن القتّات قال : لما بلغ عبد الله بن حسن بن حسن موت الفضل بن عبد الرحمن ، وجم حتى عرف ذلك فيه ، فقيل له ما الخبر فقال : مات سيدنا بالعراق الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث ، وكان الفضل زيدياً ، ومات في سنة تسع وعشرين مائة .

١ ـ ديون الفرزدق ج ١ ص ٢٤٠ وفيه «له الخيل من إخراج زوجيه معشرا» .

رؤيا عبد المطلب

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس قال : رأى عبد المطلب بن عبد مناف في منامه أن يحتفي زمزم ويحفرها ، ودُلّ موضعها ، وكانت جرهم دفنتها عند إخراج خزاعة إياها عن مكة ، فنازعته قريش حين حفر زمزم في حفرها ، وليس له يومئذ من الولد إلا الحارث وحده فقال له عدي بن نوفل بن عبد مناف : يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذّ لا ولد لك إلا الحارث ؟ فقال عبد المطلب : أأنتَ تقولُ هذا ؟ وإنما كان نوفل أبوك في حجر هاشم ، وكان هاشم خلف على أمه وافدة نكاح مقت ؛ أبالقلة تعيرني ؟ فوالله لئن آتاني الله عشرة من الذكور لأنحرن أحدهم عند الكعبة . فآتاه عشرة فأقرع بينهم فوقعت القرعة على عبد الله ، وكان أحب الناس إليه ، فقال : اللهم هو أم مائة من تلاد إبلي ، فأقرعَ بينُه وبين مائة من إبله فوقعت القرعة على المائة فنحرها وقسمها في فقراء مكة ومن وردها من الأعراب .

وقال الواقدي : تكأد[1] عبد المطلب حفر زمزم فقال : لئن تمّ حفرها

١ ـ تكأد الأمر : تكلفه وكابده . القاموس .

لأنحرنّ بعض ولدي ، فوقعت القرعة على عبد الله فاقرع بينه وبين مائة ناقةٍ من إبله فوقعت القرعة على الإبل فنحرها ، ومات الحارث بن عبد المطلب في السنة التي نحر فيها عبد المطلب الإبل ، وكان لابنه ربيعة بن الحارث حين مات أبوه سنتان .

وقال الواقدي : كان نحر الابل قبل الفيل بخمسن سنين ، فكان ربيعة أسنّ من رسول الله ﷺ بسبع سنين لأن رسول الله ﷺ ولد في عام الفيل ، وكان ربيعة أسن من عمه العباس بأربع سنين . وكان العباس أسنّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين ، وكانت لمحمد بن ربيعة بن الحارث شعرة حسنة فذهبت ، فكان أبو هريرة الدّوسي يقول : إنما مثل الدنيا مثل جُمّة أبي حمزة محمد بن ربيعة . وكانت للحارث بن عبد المطلب ابنة يقال لها أروى تزوجها أبو وَداعة بن صُبيرة السهمي .

وكان لأبي سفيان بن الحارث من الولد : جعفر ، وأبو هيّاج ، أمهما جمانة بنت أبي طالب ولا عقب لهما ، ويقال ان جعفراً شهد وقعة حنين مع النبي ﷺ وكانت عنده أروى بنت المقوّم فولدت له بنات .

وكان من ولد الحارث بن عبد المطلب لصلبه عبد شمس ، فولده قليل يقال لهم المَوْزة بالشام ، وهم بالشام ولهم عدة لا يزيدون عليها ، وقال بعض الرواة إنهم لم يزيدوا على اثنين قط ؛ وقال بعض المدنيين هو عبد شمس بن ربيعة بن الحارث .

وكانت عند تميم الداري أم حكيم من ولد نوفل بن الحارث .

وكانت رقية ابنة سعيد بن نوفل بن الحارث عند بكر بن حصين بن ربيعة بن أُويس بن سعيد بن أبي سرح ، من بني عامر بن لؤي ، وكانت

تقدمت إلى عبد الملك بن مروان وهو بالمدينة فتكلمت في أمر زوجها فقال : ومن زوجك ؟ قالت : بكر بن حُصين ، قال : اذكري أباً آخر ، قالت : عهدي بالقوم حديث إلا انه يُنسب إلى أويس ، فقال : ويحك أوَ تنكح الحرة عبدها ! فقالت : يا أمير المؤمنين :

إنّ القبور تنكح الأيامى النسوة الأرامل اليتامى
المرء ما تبقى له السُّلامى

فقال عبد الملك : لعن الله هشام بن اسماعيل ، وكان عامله على المدينة ، وقضى حاجتها .

وكان عبد الله بن المغيرة بن نوفل بن الحارث ويكنى أبا محمد محدِّثاً هلك في أيام عمر بن عبد العزيز .

وكان عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، ويكنى أبا يحيى محدِّثاً قتلتهُ السموم بالأبواء سنة تسع وتسعين وهو مع سليمان بن عبد الملك وصلى عليه سليمان ، وروى عنه الزهري .

وقال محمد بن سعد : كان يقال للحارث الأرَت ، وكانت ابنته بُحينة عند مالك الأزدي حليفهم ، وعبد الله بن بُحينة أحد المحدثين .

وأما قثم بن عبد المطلب :

وأمه صفية بنت جنيدب أم الحارث بن عبد المطلب ، فدرج صغيراً .
وقال غير الكلبي : مات قبل مولد النبي ﷺ بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين فوجد عليه عبد المطلب وجداً شديداً ، وكان له محبّاً يتبرك به ، فلما ولد رسول الله ﷺ سماه عبد المطلب قثم ، فأخبرته أمه آمنة أنها أُرِيت في منامها أن تُسَميه محمداً فسماه محمداً .

وأما أبو لهب :

فاسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكان فائق الجمال فكناه أبوه أبا لهب لذلك ، وكانت كنيته أبا عتبة ويقال أبا عتيبة ، وأمه لُبْنَى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشيّة بن سلول من خزاعة ، وكان جواداً وفيه يقول حذافة بن غانم العدوي :

أبو عتبة الملقي إليّ حباله   أغر هجان اللون من نفرٍ غرّ

ومات بعد وقعة بدر بسبعة أيام ولم يشهدها ، لأنه وجه العاص بن هشام المخزومي مكانه ، وكان لا عَبه على إمرةٍ مطاعة ، فقمره فبعثه إلى بدر بديلاً منه فقتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان لأبي لهب من الولد : عُتْبة ، ومُعَتِّب ، وعُتيبة . وكان عتيبة سمع النبي ﷺ يقرأ : ﴿والنجم إذا هوى﴾[1] فقال : كفرت برب النجم ، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» ، فإنه لبحوران من أرض الشام إذ أقبل أسد فجعل يتشمّم أصحابه واحداً واحداً حتى بلغ إليه فضمغه ضمغة فجعل يقول ،

١ ـ سورة النجم ـ الآية : ١ .

وهو بآخر رمق: ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس، ثم مات. وقال بعضهم احتمله الأسد فأكله.

وأم أولاد أبي لهب أم جميل بنت حرب بن أمية، أمها أزدية. وكان موت أبي لهب بداء يعرف بالعَدَسة[١].

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده وغيره، قالوا: أُرِي عبد المطلب ان يحتفر زمزم، وكانت جرهم دفنتها وطمّتها، فلما احتفرها وجد غزالاً من ذهب وفضة مُقرّطاًمشنّقاً، فصيّره في الكعبة. وكان لمقيس بن قيس بن عدي السهمي قينتان يقال لهما أسماء وعثمة، وكان بيته مألفاً لرجال من قريش، وكان أبو لهب بن عبد المطلب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وأبو اهاب بن عزيز بن قيس بن سويد بن ربيعة بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بني نوفل بن عبد مناف، وديك ودُبيك موليا خزاعة يجتمعون عنده، فإن هؤلاء جميعاً لعنده إذ نفدت خمرهم وأقبلت ضافطة[٢] من الشام فقال أبو لهب: ما أعلم موضع شيء نبتاع به خمراً إلا غزال أبي الذي في الكعبة، فأعظم القوم ذلك وأبوه فقال: أنا أحق الناس به قوموا بنا، فقاموا معه فسرقوا الغزال واشتروا ببعضه خمراً وحلّى أبو لهب منه القينتين، وحلاهما الحارث بن عامر بن نوفل من قسمه قرط الغزال أو شنفه، فقال فيه أبو إهاب بن عزيز:

أبلغ منافاً إذا جئتها ... فأيّ فتى ولدت نوفل

---

١ ـ بثرة تخرج بالبدن فتقتل. القاموس.

٢ ـ الضافطة: الإبل الحمولة، والرفقة العظيمة. القاموس.

إذا شرب الخمر أغلَى بها وإن جهدت جهدها العُذَّل
دعـاه إلى الشّـنـف شـنـ ـف الغزال هواه لخمصانة عيطل

وقال حسان بن ثابت لأبي اهاب بن عزيز :

أبا إهاب أَبِنْ لي عن حديثكم أين الغزال عليه القرط من ذهب[1]

فطلبت قريشٌ سَرَقَةَ الغزال فقطعوا بعضهم وهرب بعض ، ولجأ أبو لهب إلى أخواله من خزاعة فمنعوه ودفعوا قريشاً عنه ، وكان أشدّ قريش طلباً لسرقة الغزال عبدالله بن جُدعان التيمي ، فقال الشاعر في منع خزاعة من أبي لهب :

هُمُ منعوا الشيخ المنافيّ بعدما رأى الشفرة الحجناء[2] فوق البراجم

وقد كتبنا لأبي لهب أخباراً فيما تقدم من كتابنا فلم يحتج إلى اعادتها .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه قال : كانت ابنة زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم عند سويد بن ربيعة جدّ أبي إهاب بن عزيز ، وكان المنذر بن ماء السماء ـ وهي أمّه ، وهي من ولد النمر بن قاسط ـ وضع ابناً له عند زرارة يقال له مالك ، فمرّ مالك بإبِل لسويد فأعجبته بكرةٌ منها فأمر بها فنحرت وأكل منها وأطعم باقيها . وكان سويد قد خرج يتصيّد فلما جاء أُخبر بخبر البكرة فاستشاط غضباً فوثب على مالك بن المنذر فضربه فأمّه[3] فلم يلبث أن مات ، فحلف عمرو بن المنذر ليحرقن من بني حنظلة مائة ،

١ ـ انظر ديوان حسان ج ١ ص ١٣٥ مع فوراق .
٢ ـ التحجن : الاعوجاج . القاموس .
٣ ـ أي أصاب راسه .

فأحرقهم ، وهرب سويد فلحق بمكة فحالف بني نوفل بن عبد مناف ، واختط بمكة داراً فولده بها ، وسمي عمرو محرّقاً .

ومن ولد أبي لهب الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر ، وأمه ابنة العباس بن عبد المطلب .

حدثني منصور بن أبي مزاحم عن شعيب بن صفوان قال : كان الفضل بن عباس بن عتبة أنِساً بالوليد بن عبد الملك ، فحج الوليد فبينا هو مسند ظهره إلى زمزم قال له الفضل : ألا آتيك بماء من زمزم تشربه وتغسل منه وجهك ، فقال : افعل ، فجعل يستقي ويقول :

يا أيها السائل عن عليٍّ تسأل عن بدرٍ لنا بدري
مردّد في المجد أُبطحيٍّ سائلة غُرّتُه مضيّ
زمزمُ يا بوركت من طويّ بوركت للساقي وللمسقيّ
اسقي على مأثرة النبي

فقال له الوليد ، ما أكثر لغطك ، فقال : ان هذا الشعر في علي بن عبدالله بن عبدالله بن العباس ، ويُروى :

تسأل عن قرم لنا بدري

نسبة إلى البدر ، ويقال هو في علي بن أبي طالب ، يريد أنه شهد بدراً .

وحدثنا محمد بن زياد الأعرابي الراوية عن المفضل الضبي قال : كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب يُعَينّ فاذا حلّت دراهمه على غرمائه ركب حماراً له كان يسميه شارب الريح فيقف عليه ثم يقول :

بني عمنا رُدُّوا الدراهم إنه يفرق بين الناس حبُّ الدراهم

قال : وكان رجل من بني الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة يقال له عقرب عَسِر القضاء فإذا تعلّق به غرماؤه أفلتهم وهرب عنهم وقال :

فلو كنتُ الحديد لكسّروني ولكني أشدّ من الحديد

فعيّنه الفضل مالاً ، فلما كان قبل محله جاء فبنى على باب عقرب معلفاً لحماره وأتى بشيء فبسطه ، فلقي كل واحد منهما من صاحبه شرّاً ، فهجاه الفضل فقال :

قد تَجَرَتْ عقرب في سوقنا لا مرحباً بالعقرب التّاجِره
إن عادت العقربُ عُدنا لها وكانت النّعلُ لها حاضره
كل عدو يُتّقى مقبلاً وتُتقّى لسعتُها دابره
إنّ عدوًا كيدهُ في استِه لغير ذي كيد ولا نائره
قد خابت العقرب واستيقنت أنْ ما لها دنيا ولا آخره

المدائني عن أبي اليقظان قال : وفد الفضل بن عباس بن عتبة على الوليد فوصله وأجازه ، فقال : يا أمير المؤمنين لا تنس شارب الريح ، يعني حماره ، فقال : ولم لا نحملك على خير منه ، قال : إن له بي حُرمة وهو أحب إليّ من غيره فارزقه ، فأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير فكان يقبضها مع رزق كان أجرَاه عليه ؛ وكان لا ينفق على حماره شيئاً إنما كان يتطلب له العلف والحشيش من الناس ، فكتب بعض أهل المدينة قصة وجعلها في عنق الحمار وساقه إلى صاحب الشرطة بالمدينة ، وكان في القصة : إني بالله وبالمسلمين ، فإن صاحبي يقبض رزقي ولا يعلفني منه بشيء .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين قال : دخل الفضل بن عباس بن عتبة على الوليد بن عبد الملك فأنشده :

أتيتُك خالاً وابنَ عمّ وعمّةٍ ولم أكُ شعباً ناطني بك مُشْعب
فَصِلْ واشجاتٍ بيننا من قرابةٍ ألا صلةُ الأرحام أدنى وأقرب

وكان عند الوليد ، الحارث بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط الدعيّ ، فهمس إلى الوليد فيه بشيء ، فقال الفضل : يا أمير المؤمنين إن نوحاً عليه السلام حمل في سفينته من كل زوجين اثنين ولم يكن معه فيها دعيّ ، فامتقع لون الحارث واطرق .

وحُدّثت عن المسيّبي أنه قال : دخل الفضل بن عباس بن عتبة على الوليد بن عبد الملك ، وعنده عبّاد بن زياد ، وكان بينه وبين عمر بن عبد العزيز شيء ، فأنشد الفضل شعره الذي يقول فيه :

ولم أكُ شَعْباً ناطني بك مُشْعب

فقال عبّاد : ينبغي والله يا أمير المؤمنين أن توصل رحمه ، فقال عمر بن عبد العزيز :

النخس يكفيك البطيء المحثل[1]

المدائني قال : لما مات الوليد بن عبد الملك ، وقد كان مسيئاً إلى أخيه سليمان ، وفد الفضل إلى سليمان ورثى الوليد فقال :

امررْ على قبر الوليد فقل له صلى الإله عليك من قبر
يا واصل الرحم التي قطعت وأصابها الجفواتُ في الدهر

فقال سليمان : يصل رحمك ويقطع رحمي ؟ ثم أمر به فوجئت عنقه وأخرج من بين يديه .

---

١ ـ أي أن الحث يحرك البطيء الضعيف ويحمله على السرعة . مجمع الأمثال للميداني ـ ط . القاهرة ١٩٥٩ ج ٢ ص ٣٤٦ .

قالوا : وهاجى الفضلُ الحارثَ بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة فاجتمع الناس لحضور انشادهما فأنشد الفضل :

وأنـا الأخضرُ من يَعـرفُني أخضرُ الجلدةِ في بيتِ العرب
من يُساجِلْني يُساجِلْ ماجداً يملأ الدَّلو إلى عَقْدِ الكُرَب

فلما فرغ قال الحارث : ﴿تبّت يدا ابي لهب وتب﴾[1] فصاح الناس بالفضل وضحكوا ، وانهزم عنه وأنشأ يقول بعد ذلك :

ماذا يريد إلى شتمي ومنقصتي أم ما يريد إلى حمّالةِ الحطبِ
غرّاء سائلةٌ في المجد فضّلها فـي الجاهلية فضلُ السادة النجب

ويروى :

غراءٌ سائلةٌ في المجد غُرتّها كانت سلالة شيخ ثاقب النسب

وكان أبو خداش بن عتبة من جلساء معاوية ، وكان ذا لسن .

وحدثني عافية التميمي عن إسحاق بن إبراهيم قال : أنشد الأحوص الشاعر الأنصاري الفضل شعراً من شعره فقال : ما أحسن شعرك إلا أنك لا تأتي من غريب الكلام بشيء ، فقال : وكيف وأنا أقول :

ما ذاتُ حبلٍ يراهُ الناسُ كلُّهم وسط الجحيمِ فلا يخفى على أحد
ترى الحبال حبال الناس من شَعرٍ وحبلُها وَسطَ أهلِ النّارِ مِنْ مَسَد[2]

وكان مسلم بن معتب بن أبي لهب يشبّه بالنبي ﷺ ، وكان جميلاً ، وقد شهد وقعة حنين مع النبي ﷺ .

وكان من ولد أبي لهب ، حمزة بن عتبة بن إبراهيم ، وكان جميلاً ،

١ - سورة المسد - الآية : ١ .
٢ - شعر الأحوص الأنصاري ص ١٣٦ - ١٣٧ .

وكان حماد البربري رفعه إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد في قوم من القرشيين من أهل مكة ذكر أنهم يتشيّعون في آل أبي طالب ، فلما رآه الرشيد رأى جمالاً ونبلاً ، فقال : ياحمزة أَتَتشّيع في آل أبي طالب ؟ فقال : والله ما أعرف من أتشيّع له من نظرائي خيراً منّي ، لأني رجل من بني هاشم . فأعجب ذلك الرشيد وجعله في صحابته .

وأما الغيداق بن عبد المطلب :

واسمه نوفل ، والغيداق العام الكثير المطر ، يقال جاء في عام غيداقٍ ويقال هو مطر غيداق اذا كان كثير الماء ، والغيداق أيضاً الغلام قبل بلوغ الحُلم ، ويقال أيضاً لفرخ الضب غيداق . ومات الغيداق بعد وفاة أبيه بخمس سنين .

وقال الكلبي : الغيداق من أكابر ولد عبد المطلب ، تزوج أمه أيام حالفته خزاعة وهي ممتعة بنت عمرو بن مالك بن مؤمل من خزاعة . وأخو الغيداق لأمه عوف بن عبد عوف ، أبو عبد الرحمن بن عوف الزهري . وزعم بعضهم أن الغيداق هو حجل ، وذلك غلط ولا عقب للغيداق .

وقال أبو اليقظان قال حسان بن ثابت يهجو أبا لهب :

عَليك سماهيجاً فانت ابن نوفها   متى كنت ترجو أن تنال الأعاظما
فإن أباك اللؤم لحيان فانتسب   اليه ودع عنك الاكارم هاشما[1]

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٣٩٠ ، مع فوارق .

ذكر أن سماهيج جدة له يعاب بها ، ونسبها إلى لحيان بن هذيل بن مدركة .

قال حذافة بن غانم العدوي لابنه :

أخارج أما أهلكن فلا تزل لهم شاكراً حتى تُغيّب في القبر
بني شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر
كهولهمُ خيرُ الكهول ونسلهم كنسل الملوك كلهم طيب النشر
لساقي الحجيج ثم للشيخ هاشم وعبدِ منافٍ ذلك السيد الفهر
ابوكم قصيٌّ كان يدعى مُجَمِّعاً به جمع الله القبائلَ من فِهر
وأنتم بنـو زيد ابـوكم به زيدت البطحاءُ فخراً على فخر

وقد سمعتُ من ينشد منها بيتاً مفرداً فيقول :

«وعبد مناف ذلك السيد القمر» ، ويذكر أنه كان يقال لعبد مناف القمر .

بنات عبد المطلب

أمُّ حكيم البيضاء ، توأمة أبي رسول الله ﷺ ، وُلِد ثم وُلِدت بعده ، وهي الصنَّاع لا تعلم ، والحَصان لا تكلم ، يقال انها قالت هذا القول لنفسها ، تزوجها كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فولدت له أروى بنت كريز ، فتزوج أروى عفّان بن أبي العاص بن أمية ، فولدت له عثمان بن عفّان ، فأم حكيم جدة عثمان لأمّه . ثم خلف على أروى بعد عفان عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية ، فولدت له الوليد بن عقبة ، وعُمارة بن عقبة ، وخالد بن عقبة ، وأم حكيم جدتهم لأمهم أيضاً . وبقيت أروى إلى خلافة عثمان فصلى عليها وانصرف من قبرها وجعل يقول : اللهم اغفر لأمي . وماتت أم حكيم بعد المبعث ولها سبعون سنة ، أو قريب منها .

وقالت أم حكيم وهي ترقص عثمان ابن بنتها في صغره :

ظنّي به صدق وبر يأمره ويأتمر من فتية بيض زهر

يحمون عورات الدبر ويضرب الكبش النعر يضربه حتى يخر

من قُبُلٍ ومن دبر

وعاتكة وهي : أم عبد الله بن أبي أمية ، وزهير بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ لابيها ، وأم عاتكة أيضاً أم أبي رسول الله ﷺ . وعاتكة صاحبة الرؤيا التي رأتها ، فقال أبو جهل للعباس : أما رضيتم يا بني عبد المطلب بأن تتنبأ رجالكم حتى تنبّت نساؤكم ! وقد كتبنا خبرها في أخبار العباس ، وقد أسلمت وماتت قبل الهجرة .

وبَرّة : وهي أم أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي ، زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ ، وهي أيضاً أم أبي سبرة بن أبي رُهْم أحد بني عامر بن لؤي ، وكان أبو رهم خلف عليها بعد عبد الأسد ، وأمها أم أبي رسول الله ﷺ .

وأروى : وهي أم طُلَيب بن عُمير بن وهيب بن عبد بن قصي ، ويكنى أبا عدي ، واستشهد طُليب يوم أجنادين بالشام وهو ابن خمسٍ وثلاثين سنة . وكان طليب لقي أبا إهاب بن عزيز التميمي ، وقد دُسّ للفتك برسول الله ﷺ ، فضربه بلحي جمل فشجّه ، فضرب وحمل إلى أمه فقالت : محمد ابن خاله وهو أولى من دافع عنه وغضب له . وقالت أروى :

إنّ طُليباً نصر ابنَ خالـه آسـاهُ في ذي دِمِهِ ومـالـه

وكان المسلمون يصلون في شعبٍ فهجم عليهم أبو جهل ، وعقبة بن أبي معيط وجماعة من سفهائهم ، فعمد طليب إلى أبي جهل فشجّه فاوثقوه ، فقام أبو لهب دونه فتخلّصه وشكي إلى أروى ، فقالت : خير أيّامه أن ينصر محمداً ، وكانَت قد أسلمت . ورأى طليب عقبة بن أبي معيط يوماً ومعه مكتل فيه مَذر[1] قد نثره على باب رسول الله ﷺ في السحر ، فأخذ المكتل

---

١ ـ المذر : القذر . القاموس .

وأخذ باذنيه فجعل يضرب به رأس عقبة فتشبث به عتبة وذهب به إلى أمه فقال : ألا ترين ما صنع طليب ؟ فقالت : أنفسنا وأموالنا دونه .

وأميمة بنت عبد المطلب : وهي أخت أبي النبي ﷺ لأمه وأبيه ، وهي أم زينب بنت جحش ، وعبد الله بن جحش ، وأبي احمد ، وعبيد الله ، وجحش من بني أسد بن خزيمة .

وصفية بنت عبد المطلب ، وهي أخت حمزة لأمه وأبيه ، وأخت المُقَوّم وحَجل ، وهي أم الزبير بن العوام والسائب بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي ، وكانت قبل العوام عند الحارث بن حرب بن أمية ، فولدت له جارية . وتوفيت صفية في سنة عشرين ، وهي ابنة ثلاث وسبعين سنة .

حدثني بعض أصحابنا عن الزبير بن بكار قال : أُقطع عثمان بن عفان رضي الله عنه المغيرة بن شعبة داره التي بالبقيع ، فأخذ الزبير سيفه ، والمغيرة يحدُّها ، فجعل يذود به عن قبر أمه صفية .

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري أن علياً والزبير رضي الله عنهما اختصما في ولاء موالي صفية ، فقال علي: أنا أحق بولاء موالي عمتي وأنا أعقل[1] عنهم، وقال الزبير: أنا أحق بولاء موالي أمي وميراثهم ، فقضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الزبير احق بميراثهم بالولاء . قالوا : فإن عقلهم على علي وبني عبد المطلب . وذكر أبو اليقظان أن عبد المطلب كان يسمى عامراً .

انقضى نسب بني عبد المطلب .

---

١ ـ العقل : الدية والحصن والملجأ . القاموس .

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما نضلة بن هاشم[1]

وبه كان يكنى ، وأمه أميمة ، وكان قد ولد له الأرقم بن نضلة فلم يبق له عقب . ولد الأرقم نساءً إحداهن زينب تزوجها عبد يغوث بن وهب الزهري ، وهند تزوجها جميل بن معمر ذو قلبين الجمحي ، والشفّاء ولدت السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكان السائب يُشبّه بالنبي ﷺ .

وأما صيفي بن هاشم فدرج ولم يولد له قط .

وأما أبو صيفي ، واسمه عمرو ، وسماه أبوه باسمه في حياته ، وكان اسم هاشم عَمْراً ، فولد له الضحاك ورقيقة وهي أم مخرمة بن نوفل الزهري ، وهذا قول الكلبي .

1 ـ في هامش الأصل : رجع إلى ذكر أولاد هاشم بن عبد مناف المذكور في أوائل هذا الكتاب .

وقال بعضهم : ولد له صيفي وعمرو فسماهما باسمه واسم ابيه ، وأمهما كنانية .

ورقية أمها هالة بنت كلدة من بني عبد الدار بن قُصي ، تزوجها نوفل بن عبد مناف بن زهرة ، ولا عقب لصيفي وعمرو .

وأما أسد بن هاشم :

وأمه قيلة وهي الحزوز بنت عامر الخزاعية ، فولد فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأخوته ، وأمها حُبّى بنت هرم بن رواحة من بني عامر بن لؤي ، وخالدة بنت أسد ، تزوجها الأرقم بن نضلة بن هاشم .

ويقال ان رجلاً يقال له حنين[1] ، وأُمّه أَمَةٌ رومية تسمى سميّة ، ويقال مارية ، ادعى انه ابن أسد بن هاشم ، فلم يثبت نسبه ، فأتى القافة فأنكروه فرجع إلى مكة وخُفَّاهُ على عاتقه ، فقيل : رجع حنين بخفيه خائباً ، وضرب بذلك المثل ، فقيل لكل مخفق وراجع بغير طلبته : «رجع بخُفَّيْ حنين» ، وهذا الثبت .

ومن الناس من يقول إن حنين بن بَلّوع العَبادي المغنيّ سافر سفراً ، فقطع عليه الطريق فدخل الحيرة وهو عريان قد علّق خُفّيه ، فقيل لمن اخفق : «رجع بخفي حنين» . وقيل أيضاً إن أعرابياً قدم الحيرة ومعه راحلة ، فوقفها ناحية ودخل السوق فرأى عند اسكاف يقال له حنين خفّين فابتاعهما منه ثم مضى يريد راحلته فوجدها قد سُرقت ، فانصرف إلى قومه

١ ـ في هامش الأصل : ضرب المثل بخفي حنين .

راجلاً فقالوا : أين راحلتك ؟ فقال : سرقت ، وأراهم الخفين فاستحسنوهما فقال : إنهما من عمل اسكاف بالحيرة يقال له حنين فارِه[1] سهل البيع ، فضحكوا به وقالوا : «رجع بخفّي حنين» ، فمضت مثلاً .

وكَان لحنين المدّعي انه ابن أسد بن هشام من الولد : عمرو ، وعبد الرحمن ، وأمهما سخطى بنت عبد عوف بن عبد الحارث الزهري .

وولد عبد الرحمن بن حنين امرأة تزوجها المثلّم بن جبار الفزاري فولدت له .

وولد عمرو بن حنين امرأة ولدت في آل سعد بن أبي وقاص . ويقال إنه كان لحنين ابن يقال له عبد الله فوُلدت له ابنة يقال لها أم هارون ، كانت عند موسى بن سعد بن أبي وقاص .

المدائني عن شريك قال : سئل علي عن بني أمية وبني هاشم فقال : هم أكثر، وأنكر ، وأمكر ، ونحن أفصح ، وأصبح ، وأنصح . قال : وقيل لمعاوية أنتم اشرف ام بنو هاشم ؟ قال : كانوا أشرفَ واحداً ، ونحن أكثر عدداً حتى جاء مزبّد الأولين والآخرين ﷺ .

انقضى نسب بني هاشم بن عبد مناف[2] .

---

١ ـ فاره : حاذق . القاموس .

٢ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض بأصل ثالث ، ولله كل حمد وفضل .

المحتوى